عظات مختارة
على أناجيل القداسات
٢

صوم يونان والصوم الكبير

للأب متى المسكين

كتاب: عظات مختارة على أناجيل القداسات
(٢) صوم يونان والصوم الكبير
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ٢٠١١م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١١/١٩٢٩٦
رقم الإيداع الدولي: 977-5334-61-6
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

يُطلب من : ٠١٢٢٥٣٧٨٧٠٧
ومن المكتبات المسيحية بالقاهرة والأقاليم.

استهلال

هذا هو الجزء الثاني من كتاب "عظات مختارة للأب متى المسكين"، ويخص أناجيل قداسات أيام صوم يونان والصوم الكبير.

فكرة هذا الكتاب ترجع إلى أن أبانا متى المسكين كان عادة ما يُلقي كلمة روحية على الرهبان بعد إنجيل القداس تختص بقراءة اليوم، وإذا كان ذلك متعذراً فيكون آخر النهار بعد رجوعهم من العمل.

وكان اجتماعهم هذا معاً، حول مائدة المسيح، هو مصدر وحدتهم وألفتهم، كأبناء يتشربون من أبيهم الروحي عصارة الحياة الروحية.

وتنيح أبونا في ٢٠٠٦/٦/٨، وجرت مياهٌ كثيرة، ولكن بقيت كلماته، وما أغزرها وما أكثر تنوعها، فكانت الفكرة في إعداد عظات مختصرة من كتبه وعظاته المسجلة، وتخص المناسبة الكنسية لكي تُتلى على الرهبان في فترة لا تتجاوز العشر دقائق.

وغرضنا الأساسي هو أن تكون هذه العظات بمثابة فاتح الشهية ومادة تشويقية للقارئ ليعود بعدها للنص الأصلي الكامل في الموضع المُشار إليه.

وهذه العظات ليست شرحاً منهجياً، ولا تفسيراً حرفياً للإنجيل، ولكنها تأمل خاطف سريع، القصد منها أن يلتهب القلب وتنشط الروح وينفتح الإنجيل.

وقد اكتفينا بعظات على أناجيل القداسات، بالإضافة إلى بعض الأعياد الكنسية التي لم ترد في سلسلة كتبه: "الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية".

وقد حوى الكتاب الأول الشهور الأولى من السنة القبطية حتى بداية الصوم الكبير، ثم الشهور التي تلي فترة الخمسين المقدسة وحتى نهاية العام القبطي. أما الكتاب الثالث فهو عن الخمسين المقدسة.

وفي النهاية الفضل كل الفضل لمن قال وكتب، والتقصير كل التقصير لمن اختار ونقل.

الفهرس

صوم يونان ٩

اليوم الأول من صوم يونان ١١

اليوم الثاني من صوم يونان ١٦

اليوم الثالث من صوم يونان ٢٠

فصح يونان ٢٧

الصوم الكبير ٣٣

قداس أحد الرفاع ٣٥

الأسبوع الأول ٤١

يوم الاثنين من الأسبوع الأول ٤٣

يوم الثلاثاء من الأسبوع الأول ٤٨

يوم الأربعاء من الأسبوع الأول ٥٣

يوم الخميس من الأسبوع الأول ٥٨

يوم الجمعة من الأسبوع الأول ٦٤

قداس الأحد الأول ٧٠

الأسبوع الثاني ٧٥

يوم الاثنين من الأسبوع الثاني ٧٧

يوم الثلاثاء من الأسبوع الثاني ٨٣

يوم الأربعاء من الأسبوع الثاني ٨٩
يوم الخميس من الأسبوع الثاني ٩٤
يوم الجمعة من الأسبوع الثاني..... ١٠٠
قداس الأحد الثاني..... ١٠٦
الأسبوع الثالث ١١١
يوم الاثنين من الأسبوع الثالث ١١٣
يوم الثلاثاء من الأسبوع الثالث ١١٧
يوم الأربعاء من الأسبوع الثالث ١٢٣
يوم الخميس من الأسبوع الثالث ١٣٠
يوم الجمعة من الأسبوع الثالث..... ١٣٥
قداس الأحد الثالث..... ١٤١
الأسبوع الرابع ١٤٧
يوم الاثنين من الأسبوع الرابع..... ١٤٩
يوم الثلاثاء من الأسبوع الرابع ١٥٤
يوم الأربعاء من الأسبوع الرابع..... ١٥٩
يوم الخميس من الأسبوع الرابع ١٦٥
يوم الجمعة من الأسبوع الرابع..... ١٧٠
قداس الأحد الرابع ١٧٦
الأسبوع الخامس ١٨٣
يوم الاثنين من الأسبوع الخامس ١٨٥

يوم الثلاثاء من الأسبوع الخامس ١٩١
يوم الأربعاء من الأسبوع الخامس ١٩٧
يوم الخميس من الأسبوع الخامس ٢٠٣
يوم الجمعة من الأسبوع الخامس..... ٢٠٧
قدّاس الأحد الخامس..... ٢١٢
الأسبوع السادس ٢١٩
يوم الاثنين من الأسبوع السادس..... ٢٢١
يوم الثلاثاء من الأسبوع السادس ٢٢٧
يوم الأربعاء من الأسبوع السادس..... ٢٣١
يوم الخميس من الأسبوع السادس ٢٣٦
يوم الجمعة من الأسبوع السادس..... ٢٤١
قدّاس الأحد السادس ٢٤٧
الأسبوع السابع ٢٥٥
يوم الاثنين من الأسبوع السابع ٢٥٧
يوم الثلاثاء من الأسبوع السابع ٢٦٣
يوم الأربعاء من الأسبوع السابع ٢٦٩
يوم الخميس من الأسبوع السابع ٢٧٣
جمعة ختام الصوم ٢٧٩

صوم يونان

اليوم الأول من صوم يونان

(مت١٢: ٣٥: ٤٥)

[اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: «إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَاباً يَوْمَ الدِّينِ. لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ». حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ. رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا! مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هُهُنَا! إِذَا خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ، يَطْلُبُ رَاحَةً وَلاَ يَجِدُ. ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ. فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ فَارِغاً مَكْنُوساً مُزَيَّناً. ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ مَعَهُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ، فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ، فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذلِكَ الإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ. هكَذَا يَكُونُ أَيْضاً لِهذَا الْجِيلِ الشِّرِّيرِ].

يونـان ونينوى ونحـن[1]

ليس عبثاً وضعت الكنيسة هذا الصوم المبارك في هذا الوقت بالـذات، فترتيب الكنيسة دائماً مُلهم.

تعلمون أننا قادمون على الصوم الأربعيني المقدس. والكلام هنا مُركَّـز وموجَّه. فكلمة الأربعين" ذات أهمية خاصة، ذلك لأننا قادمون على موت يجوزه المسيح عن البشرية كلها. وهذا ما حدا بالابن المبارك أن يترك مجده ويلبس بشريتنا لكي ينقذها. قدَّم نفسه عوضاً عن هلاكها ثم قام، فـصار موته وقيامته مصدر خلاص وتوبة لا تنتهي. صار آية لكل من يريد أن يرى.

من جهة نينوى المدينة العظيمة، فنحن قادمون هنا لنظر مـن المنـاظر الرهيبة، إذ بمجرد أن سمع الملك بما حدث ليونان، وبما نادى به، قام عـن كرسيه الملكي وخلع ثيابه وفخفخته وجماله وفخـره الكـاذب، ولـبس المسوح، وأعطى أمراً أن يُرفع الطعام عن كل إنسان، كبيراً كان أم صغيراً، بل حتى الرضيع عن صدر أمه، وعن البهائم كلها. وهنا كأنما الخليقة كلها تتمثل في قصة توبة نينوى.

مدينة فيها ٢٥٠ ألف نسمة تتوب كلها ويعفو الرب عنها من أجـل توبة جماعية ناشطة، وتدبير مُتقن لهذا الملك النصوح الواعي الذي استطاع

---

(١) ملخص عظة أُلقيت في كنيسة أنبا مقار في صوم يونان سـنة ١٩٧٤ بعنـوان: يونـان، ونينوى، ونحن.

بحكمته أن يرفع حُكم الموت عن شعبه. يا للرعاية، ويا لحكمة الراعي.

ثم ما هذا الحضن المتسع يا الله؟ إن هذا عجب كبير حقاً!! مدينة وثنية تؤمن بالله بكرازة واحدة.

نعم، ليس بآية من السماء ولا من الأرض تتوب البشرية أو يُعفى عن إثمها، بل بالاتضاع والصوم والصلاة وتذلل القلب لدى الله القدير.

آه لو علم كل خاطئ هذا، ما استكثر خطاياه أبداً على عفو الله. لو علمت الكنيسة ما ينبغي أن تكون عليه من توبة جماعية، لجلست مع أبنائها في هذه المسوح وفي تراب المذلة إلى أن تجتذب لنفسها عفواً من السماء، لكانت أزمنة الفرج تأتي من السماء سريعاً، كما قال بطرس الرسول.

يا أحبائي، إن تعطّلت أزمنة الفرج فالعيب هو منّا. نينوى كانت تسير إلى الهاوية والهلاك أكيداً وسريعاً، ولكن بوقفة شريفة وشَجاعة أمينة على قدر الدعوة وقدر التهديد استطاعت أن تجتذب لنفسها عفواً من السماء. ماذا يعوزك أيها الخاطئ؟ أيعوزك المسوح؟ أيعوزك التراب؟ ماذا يعوزك؟؟

لو كانت التوبة بذهب وفضة، لو كانت تستلزم سُلّماً عالياً نطلع به إلى السماء، لو كانت تستلزم جهداً نفسانياً أو عقلياً أو جسمانياً أو حكمة فائقة أو علماً زاهراً، لكي نُحدر المسيح من السماء، أو نُصعده من الهاوية؛ لقلنا إن التوبة صعبة وشاقة. ولكن ملك نينوى وشعبها ونساءها وأطفالها وبهائمها عرفوا طريقهم سريعاً إلى النجاة. فما بالنا نتعطل نحن، وما بالنا

نذهب يميناً ويساراً ونستشير الكبير والصغير، والخلاص أمامنا وبابه مفتوح، والذين دخلوا منه كثيرون، ومن كل شعب ولسان وأمة.

ها هي نينوى، التي قيل عنها في الكتاب: إنها لا تعرف شمالها من يمينها، تضع لنا نموذجاً لتوبة بسيطة قادرة بعنفها أن تفتح أبواب السماء، وتُحدر عفواً شاملاً بلا أي استثناء للمدينة بأسرها.

يا إخوة، نحن قادمون على الأربعين المقدسة، يعوزنا قلبٌ كقلب ملك نينوى وشعب نينوى. أمَّا مجرد ذِكر البهائم الصائمة وهي خائرة على مذاودها، ففيه توبيخ لنفسي، لأني أرى في نفسي وحوشاً ضارية تتعالى على غيرها كما يعلو الأسد على الغزال. كم فيك يا نفسي، من غرائز تحتاج إلى تذلل بالجوع والمسوح! منظر نينوى وبهائمها واقفة على المذاود تئن، مرعبٌ لشهواتي وملذاتي. الثيران وقعت من الجوع خائرة. وكم فيكِ من هذا، يا نفسي، يا مدينة الله! ما أجملك يا نفسي، وأنتِ جالسة في المسوح والتراب مُتشبهة بنينوى! جيدٌ لكِ، يا نفسي، في هذه الأربعين المقدسة أن تربطي حواسكِ كلها، البهيمي منها والوحشي، ولا تفتكري أنكِ بنت المدينة العظمى التي تعرف شمالها من يمينها، لأن الخطية لا يتعالى عليها إلا من ذاق ما ذاقته نينوى.

اليوم، يا أحبائي، أكشف أمامكم سر السماء بلا ستار، بلا حجاب: ملك يترك عرشه وينتزع الخلاص ويغتصب العفو السمائي، بتوبة جميلة رائعة استطاع أن يحصل عليها وهو في التراب والرماد.

ثقوا أن ساعات الخلاص وأيام الرجاء لا تأتي جُزافاً أبداً. فإن كنت تريد خلاصاً سريعاً؛ إن كنت تريد أزمنة فرج، فاليوم عليك أن تتعلَّم من درس نينوى، وهو درس للأجيال كلها: «جيل شرير يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية نينوى». اليوم، يا أحبائي، هو يوم نينوى ونبيها الرقيق المشاعر القائل حينما هاج البحر: [هذه خطيتي أنا، ولم يقل هذه خطية نينوى].

يونان هنا يُنادي كل خادم، كل واعظ وكاهن، كيف يرى خطية شعبه ومدينته، ويرى في آلامه وحزنه وضيقه، بل في موته، فدية لأولاده.

صلاة

يا رب الفداء الحقيقي الذي منك نستمد كل معنى وكل قوة للفداء، أعطِ، يا رب، روح الفداء لرعاة شعبك، أعطهم روح يونان.

أمَّا رعيتك، فأعطِها طاعة كطاعة نينوى لملكها لقبول مرارة التوبة، لتنجو ولا تُدان مع العالم، وليؤمن شعبك بالحق أنَّ الرب قادر أن يُميت ويُحيي.

فيا شعب الله، اطلبوا الحياة بسيرة التوبة، ولا تسعوا بسيرة أهل العالم في طريق الموت.

يا رب، أعطِ رعيتك جميعاً روحاً كروح نينوى ليتوب شعبك، بل كل مدن الأرض، حتى تأتي أزمنة الفرج سريعاً من عندك على العالم. آمين. (٢)

---

(٢) صلوات الأب متى المسكين ص٢٨

اليوم الثاني من صوم يونان

(لو١١: ٢٩_ ٣٦)

[وَفِيمَا كَانَ الْجُمُوعُ مُزْدَحِمِينَ، ابْتَدَأَ يَقُولُ: هذَا الْجِيلُ شِرِّيرٌ. يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ، لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى، كذلكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً لِهذَا الْجِيلِ. مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ رِجَالِ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ ههُنَا. رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ ههُنَا! لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيَضَعُهُ فِي خِفْيَةٍ، وَلاَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ، لِكَيْ يَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ. سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَمَتَى كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً، وَمَتَى كَانَتْ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ يَكُونُ مُظْلِماً. اُنْظُرْ إِذاً لِئَلاَّ يَكُونَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلْمَةً. فَإِنْ كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّراً لَيْسَ فِيهِ جُزْءٌ مُظْلِمٌ، يَكُونُ نَيِّراً كُلُّهُ، كَمَا حِينَمَا يُضِيءُ لَكَ السِّرَاجُ بِلَمَعَانِهِ].

صوم يونان والأربعين المقدسة [٣]

أيها الأحباء، إنّ قصة صوم يونان ومن إحكام وضعه قبل الأربعين المقدسة هو إلهام بالروح، نُدرك من خلاله أهمية الصوم سواء لدى الله الذي يجازي، أو الإنسان الذي يتوب. فليست توبة بلا صوم، إن كان حقاً بخوف الله وبصراخ صادق من القلب، فإنه قادر أن يفتح باب الرحمة

(٣) ملخص مقالة: يونان والمسيح، سنة ٢٠٠٠

لتتدفق إحسانات الله بدل عقاب التأديب. فهو الإنقاذ الوحيد من حـــرج موقف الخاطئ حينما يسمع بأُذني قلبه أن صبر الله قد فرغ وتعدَّت الخطايا حدود اللياقة، خاصة إن كان الإنسان قد تزيَّا بزي الأتقياء، فلم يصدر منه إلا الخطايا والعيوب تحت اسم التقوى الكاذبة وصورة أعمالها وأقوالها التي يُصدِّقها الناس ويمدحونها بشبه نينوى العظيمة.

وقد حسب المسيح أن صوم الجسد هو توطئة لازمة لقهر الشيطان، إذ بعد ما أكمل صومه جاع، وكأن الجسد بجوعه أعطى فرصة للـــشيطان أن يتقدم، بعد أن كان ممنوعاً من الاقتراب طيلة الأربعين؛ إذ كان الصوم حداً من نار يُرعب الشيطان. لذلك كانت أهمية وصية الصوم.

عجيب حقاً، يا إخوة، أن يترك لنا المسيح مثال صومه لنسير على إثـــر خطواته لننال قوةً وانتصاراً. وهل يمكن أن نسير خلفه حاملين الصليب إلا بعد أن نجوز خبرة صومه وجهاده وننال قوة ونصرة من حياته؟ إنَّ صـــوم المسيح هو جزء لا يتجزأ من صعوده على صليب موته وفدائه. فإذا كانت القيامة سبقها موته، فموته سبقه صيامه.

ثم أليس صوم المسيح يُخزي القائلين بأن الصوم عمل سلبي؟ فما صـــام المسيح لكي يضبط الجسد، وما صام ليتغلب على شهوات أو انحرافـــات؛ ولكنه صام بتدبير الآب؛ لأنه لم يذهب إلى البرية ليصوم بمشيئته، ولكـــن يقول الكتاب بوضوح: «ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح»، لا هروباً من تجربة إبليس، بل لكي يواجهها. فكان صومه سلاحاً إيجابيـــاً جبـــاراً

كقاعدة انطلق منها ليواجه تجارب إبليس.

بهذا الوضع قدَّم المسيح لنا الصوم كقاعدة إيجابية نواجه بها تجارب إبليس ونتحداه: «أما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم»، لأن المسيح يعلم أنه بالصوم يرتقي العقل الواعي فوق الجسد ومشاغباته، فيكون العقل مستعداً أن يحتمل أشد الضربات وأسوأ الحوادث المفاجئة التي يسوقها العدو لانهزامنا، ولكن يقف الإنسان صاحياً كأسد لا يهتز. فالصوم انحياز كلي للوعي الروحي، بل هو انحياز لقُوى الروح ومشورة السماء. وبدونه يستحيل أن يقول إنسان إني قد صُلبت مع المسيح. فالذي يقبل أن يُصلب يكون سبق وقدَّم الجسد على مذبح الصوم أولاً.

و[أنا] الإنسان يستحيل أن تقبل أن تُصلب مع المسيح إلا بعد أن تتحرر الأنا، من عبودية الجسد أولاً، وهذا لا يتم إلا بالصوم. لأن الذي يقول: "أنا صُلبت مع المسيح"، فهذا يعني أنه قد مات بالجسد العتيق، والجسد العتيق لا يمكن أن يذوق الموت إلا بالصوْم.

لذلك يُحسب الصوم في أقوى حالاته أنه شريك القيامة، أو هو قوة للذين يعيشونها.

ثم ما السر المخفي وراء الصوم الشديد وضياع قوة الجسد؟ هذا نعرفه بصورة خاصة جداً من ملاك إيليا الذي استحضر له كعكة وكوز ماء ليأكل بعد أن سار يوماً كاملاً بلا أكل ولا شرب إلى أن جاء وجلس تحت الرتمة. فلما أكل الكعكة وشرب الكوز نام من الإنهاك، فمسَّه الملاك وأيقظه

واستحضر له كعكة ثانية وكوز ماء وقال له: "قُم وكُل، لأن المسافة كثيرة عليك. فقام وأكل وشرب، وسار بقوة تلك الأكلة مدة أربعين يوماً حتى بلغ جبل حوريب". وفي النهاية رأى إيليا الرب وتكلم معه وأخذ توبيخاً وأخذ رسالة. وكأنما أُعطي الصوم للإنسان ليرى وجه الله ويسمعه.

ولولا أن شعب إسرائيل صنع حماقة وطلب خبزاً في البرية وماءً لَسَار الأربعين سنة بأكلة الفصح حتى دخل أرض الميعاد. فالذي سار أربعين يوماً وأربعين ليلة بأكلة وشربة ماء؛ لا يصعب عليه وهو تحت يد الله أن يسير بها الأربعين سنة. ويتم قول الأمثال: «**بركة الرب هي تُغني ولا يزيد معها تعب**».

وفي الحقيقة، يا إخوة، إننا لو فحصنا بالروح سر قيام الإسقيط حتى اليوم ودوامه، وما وراء ما خلّفه لنا شيوخه الأماجد من كنوز تركوها لنا ميراثاً نعتز به؛ لوجدنا الصوم هو الكنز الأكبر، تركوه لنا مُختبئاً في برية، فبعنا العالم واشترينا البرية لنفوز بالكنز!

صلاة

أعطِنا اليوم توبة ولو على مستوى نينوى،

توبة لا بالمُسُح ولا بالرماد يا ربِّي،

ولكن توبة بالضمير؛ بالقلب؛ بجدّة الحياة؛ بالروح القدس؛ بالتوسّل المشفوع بالدموع وبقَرْع الصَدْر؛ بالتوسّل المشفوع بالصلاة الدائمة أمامك التي لا تكفّ وبصراخ لا يهدأ يا رب. (٤)

---

(٤) صلوات الأب متى المسكين ص٣١

اليوم الثالث من صوم يونان

(مت ١٥: ٣٢ الخ؛ ١٦: ١- ٤)

[وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْرِفَهُمْ صَائِمِينَ لِئَلاَّ يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ». فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «مِنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خُبْزٌ بِهذَا الْمِقْدَارِ، حَتَّى يُشْبِعَ جَمْعاً هذَا عَدَدُهُ؟». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ وَقَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ». فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَالسَّمَكَ، وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ، وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْجَمْعَ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ سَبْعَةَ سِلاَلٍ مَمْلُوءَةٍ، وَالآكِلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلاَفِ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ. ثُمَّ صَرَفَ الْجُمُوعَ وَصَعِدَ إِلَى السَّفِينَةِ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ مَجْدَلَ. وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحْوٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ. وَفِي الصَّبَاحِ: الْيَوْمَ شِتَاءٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ بِعُبُوسَةٍ. يَا مُرَاؤُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ، وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ». ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَى].

سفر يونان والمضمون النبوي

من هو هذا المدعو يونان؟

هو إنسانٌ نبيٌّ، من العبرانيين، أتاه صوت الرب هكذا: «وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلاً قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة».

ويقول الكتاب إنَّه «قام وهرب» إلى ترشيش من وجه الرب، وذهب وهاج البحر.

السِّفر لم يوضح أكثر من هذا، وطبعاً إن أي عدم توضيح في الأسفار أو الإنجيل ليس معناه قصوراً أو خللاً في التدوين؛ ولكنه فسحة في الفكر العميق وللنفس المتأملة، لتستوعب الأشياء التي لا يمكن أن تُكتب في سطور.

صوت الرب يقول ليونان: اذهب وبشِّرها لأن شرها صعد أمامي. فهرب ونزل في بطن الماء وبقى فيه ثلاثة أيام، وبالتعبير الكتابي، المسيح نزل إلى الهاوية ثلاثة أيام وثلاث ليالي. ويونان نزل إلى العمق، في بطن الحوت، ثلاثة أيام وثلاث ليالي، وبتعبيره هو قال: «صرخت من جوف الهاوية». وهكذا يبدو سفر يونان تطبيقياً، وكل سطر وكلمة فيه تشير إلى المسيح بصورة قوية جداً. وهنا يمكن اعتبار يونان بمثابة يوحنا المعمدان في العهد الجديد الصارخ ليُعد طريق الرب.

يونان رمز حيٌّ بشخصه، يمثل المسيح.

عماد المسيح دفع به إلى الأربعين المقدسة، والأربعين إلى الصليب ثم

القيامة، تماماً كما نزل يونان الماء ثم ذهب لنينوى كارزاً لها بالتوبة قائلاً: إن المدينة ستهلك بعد أربعين يوماً- كأنما هنا إشارة خفية أن الأربعين يوماً هذه مهمة في تحديدات الله- وكأنها وفاء أقصى مدة مُحددة للهلاك. لكن الرب وفّاها وقضاها في صومه الأربعيني عن البشرية كلها.

أما هروب يونان وكأنه يستصعب الدعوة، لكنه بعد أن نزل في الماء وظل فيها ثلاثة أيام حدث له شيء ما، لأنه بعد أن ألقاه الحوت على الشاطئ، قال له الرب ثانية بنفس الألفاظ الأولى: «قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد لها بالمناداة التي أنا مُكلمك بها»، فانصاع يونان هذه المرة وكأنما تجدد فكره بعد أن اعتمد لنينوى ثلاثة أيام في العمق!

هنا شيء سري حدث. وكأنما النزول في الماء- معمودية يونان- هو اجتياز الموت والقيامة لنينوى.

وضعت الكنيسة هذا السفر أمام أعيننا لكي نستوعبه لأنفسنا، لأن ليونان ونينوى رسالتين في حياتنا. فيونان يضع لمسات صورة المسيح القادم من بعيد. ونينوى تبكتنا بشدة: «رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه، جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي».

«**هذا الجيل**»، لا يقصد به الوحي زمن جيل المسيح فحسب، ولكن كل جيل فيه الشرير والفاسق يكون هو «هذا الجيل». إنه جيل قايين وجيل يهوذا، الجيل الصالب، هو ممتد حتى هذا اليوم.

وقد يبدو هنا قسوة في كلام المسيح، ولكن الأمر ليس هكـذا، فالفسق والشر في الإنجيل مقصود به الوضع الروحي وليس الجسدي (فالوضع الجسدي يمكنه بطعنة في الضمير الحي من سيف كلمة الله أن يُحوِّل أشر الناس إلى القداسة). فالشر الروحي هو أن نعبد غير الله، أن نرتمي في أحضان الشيطان. هذه هي الخيانة الزوجية. لأن المسيح اتخذ الكنيسة لنفسه عروساً، حسب نفسه عريساً للكنيسة: «لأني خطبتكم لرجل واحد لأُقدم عذراء عفيفة للمسيح».

أمَّا جيل المسيح الذي هو جيل الرسل فهو جيل مستمر وممتد فينا وبنا حتى الآن. إنه الجيل الشاهد للمسيح حتى آخر يوم في تاريخ البشرية.

«**يطلب آية**» ربما يريد هذا الجيل من الله أن يرسل ناراً من السماء؟ أو يسقط لهم منَّا سماوياً. ولكن ألم يسبق وأن قدَّم لهم المسيح الطعام في معجزة إكثار الخمس خبزات والسمكتين (إنجيل اليوم الثالث من صوم يونان)؟ ولكن لننتبه لأنفسنا جيداً لأن الآية لا تزيد الإيمان، ولكن الإيمان بحد ذاته آية. فالمسيح لم يستطع أن يصنع في الناصرة قوات كثيرة لعدم إيمانهم (راجع مت١٣: ٥٨).

لن يستطيع المسيح أن يعمل لك آية في حياتك إن لم يسبقها إيمان.

«**آية يونان النبي**»، لن تنفع هذا الجيل الشرير آيات السماء؛ ولكنه يحتاج لآية وحيدة تقيمه من موت الخطية، وآيته هي آية يونان، إنها آية الموت، فيونان في عُرف المنطق والعلم كان يتحتم أن يموت في بطن الحوت. يونان مات، نعم مات، والرب أقامه.

ما أجملك يا يونان، يا نبي الفداء، وأنت تموت ثلاثة أيام بلياليها لتكفر عن خطيتك وخطية نينوى العظيمة. وما أجمله موتاً ذلك الذي نموته كل يوم من أجل الآخرين!

يقول البعض إنَّ يونان يُمثل الابن الأكبر (في مَثَل الابن الضال)، لأن نينوى لَمَّا خلصت حزن يونان وصار مثل الابن الأكبر الذي لم يُرِدْ أن يدخل البيت! ولكن الحقيقة هي أن يونان تمنع من الذهاب لنينوى لئلا يبشرها بالخراب، هو يعلم يقين العلم أن الله طويل الأناة بطيء الغضب، وسيصفح عنها حتماً في النهاية. لذلك هرب يونان لئلا يواجه محنتين : محنة التبشير بالخراب، وهو عسرٌ كل العسر على النفس الوديعة؛ ومحنة رجوع الله عن غضبه، فيظهر يونان وكأنه يسخر من شعب غريب!

ولكن أين يهرب يونان من وجه الله؟ فالله دائماً يُطارد الخادم الهارب. فكل إنسان يمكن أن يهرب من وجه الله، إلا من سمع صوته وحمل نيره وقَبِل اسمه القدوس.

فيونان (في الفكر القبطي) لا يمثل الابن الأكبر الحزين على خلاص الآخرين، ولكنه مثال المسيح الفادي المخلص. فيونان هو نبي الفداء المبدع.

في إنجيل لوقا إشارة سرية للغاية تكشف عن حدوث صلة توبيخ لأهل نينوى بسبب المخاطرة العظمى والموت المحقق الذي تعرَّض له يونان من أجلهم: «وكما كان يونان آية **لأهل نينوى**؛ كذلك ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل». إذاً فقد بلغ أهل نينوى أن يونان عبر محنة الموت في داخل بطن

الحوت ثلاثة أيام، ثم قام من أجل خلاصهم.

قصد الإنجيل أن يوضح أن يونان بنفسه، وليس بكرازته فقط كان آيـــة لأهل نينوى. هكذا ابن الإنسان، فهو بنفسه، وبموته وقيامته آية هذا الجيل.

صلاة يونان

إن صلاة يونان هي المزامير الجديدة للسائرين في طريق الجلجثة والـــتي حتماً تُردد قرارها في السماء كل الرواح المُبرَّرة في المجد. إنها السُلَّم الجديد الذي نرتفع عليه لكي نطل خلسة إطلالة سريعة على المجد المُعدّ.

نعم، هكذا يُغتصب ملكوت السموات، بصلاة كصلاة يونان وهـــو في عمق الهاوية.

اليوم، يا أحبائي، هو يوم التوبة الغاصبة لميراث القديسين وميراث ابن الله.

اليوم مفهوم جديد لمعنى الكرازة بالبذل حتى الدم.

اليوم، دعوة للكارز ليسلك طريق النجاة لنفسه وشعبه، للراعي والرعية.

هذه نينوى تعطينا صورة حاسمة لكل دقائق ومعنى استرضاء وجه الله.

يا رعية الله، صغيرها وكبيرها، شيخها وطفلها، مريضها وسليمها، هذه نينوى أمامنا آية.

ويا كارزي المسكونة، ويا واعظي الكنيسة، هوذا يونان لكم اليوم مَثَلٌ يُحتذى، كيف كان؟ وماذا صار؟ فيونان قبل أن يدخل محنة الموت بلياليها، ما كان نافعاً لا لنينوى ولا لنفسه، حيث كان سيذهب إلى ترشيش ليأكل الخرنوب مع الخنازير.

وها هوذا يونان بعد أن صلى من عمق التجربة وأهوال الموت، يُرينا كيف جاز التجربة حتى النهاية، وصار يونان كارزاً بشبه المسيح، وحُسب له موته بشبه فداء. وهكذا تكرَّم يونان بهذه التجربة، فصار هو النبي الوحيد الذي أخذه المسيح ليضعه نموذجاً لموته وقيامته! وآية للتائبين!!(٥)

(٥) عظة بتاريخ٥/٢/٧٤

فصح يونان

(يو٢: ١٢- الخ)

[وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيباً، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَراً وَغَنَماً وَحَمَاماً، وَالصَّيَارِفَ جُلُوساً. فَصَنَعَ سَوْطاً مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هذه مِنْ هُهُنَا. لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ». فَتَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي». فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمُ: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي ستٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هذَا، فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ. وَلَمَّا كَانَ فِي أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ، آمَنَ كَثِيرُونَ بِاسْمِهِ، إِذْ رَأَوْا الآيَاتِ الَّتِي صَنَعَ. لكِنَّ يَسُوعَ لَمْ يَأْتَمِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ. وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ].

التوبة في سفر يونان

التوبة في العهد القديم تختلف عنها في العهد الجديد. توبة العهد القديم، والتي تُمثلها توبة أهل نينوى خير تمثيل، هي توبة مؤقتة وقتية. أما التوبة في عهدنا الجديد فهي حياة، توبة غير موقوتة. الكنيسة في المفهوم الأرثوذكسي السليم هي جماعة تائبين، والأسقف هو تائب أول يقود تائبين. ومن هم الرهبان إلا جماعة تحيا في التوبة.

خطية آدم الأولى والعظمى ليست هي الكبرياء أو العصيان، أو أنه يريد أن يكون مثل الله، فكل هذه الخطايا من الممكن أن الله يتنازل ويعفو عنها؛ ولكن خطيته الأساسية هي عدم التوبة، لم يقل لله أنا أخطأتُ سامحني واغفر لي. لو كان آدم قدَّم توبة، لكان الله في الحال قد سامحه. ولكن لأنه لم يتبْ هو وحواء وقع القصاص بالكامل عليهما. الله لا يرحم إطلاقاً إنساناً يرفض التوبة، لن تشرق شمس رحمته على من يستهتر بها.

في قصة توبة أهل نينوى ينكشف لنا سرٌّ عجيبٌ من أسرار أحكام الله، هو أن أحكامه ليست نهائية، ليست هي قضاءً مُبرماً، بل هي أحكام قابلة للاستئناف والنقض والمراجعة، وما على الخاطئ إلا أن يترافع ويُقدِّم توبة. أوضح مثلين يؤكدان هذا المعنى نراهما أولاً في توبة أخآب الملك، كنموذج لتوبة فردية، هذا الشخص الذي صار عنواناً للشر والخطية، ولكن عندما أمر الرب بإهلاكه، تاب أخآب قال الله لإيليا: "أرأيت كيف اتضع أخأب أمامي؟"، وكانت النتيجة أن عفا الرب عن أخآب.

المثال الثاني هو في رجوع الله عن دينونته وعقابه لنينوى وشعبها الوثني كنموذج للتوبة الجماعية.

يجب أن تتغير ذهنيتنا عن مفهوم قضاء الله. لأننا كلما ضخَّمنا في مفهوم صرامة الله؛ كلما قطعنا على أنفسنا خط الرجعة. في مَثَل المسيح عن الوزنات، قال صاحب الوزنة الواحدة: "علمت أنك صارم"...هنا نحن أمام إنسان لا يؤمن برحمة الله، لا يُصدِّق أن الله يمكن أن يقبل التوبة. لذلك عندما وضع هذا

الشخص في نفسه أن الله خصم قاسٍ، لا يشفق ولا يرحم، عامله الله على هذا المبدأ. فنحن الذين نُحدِّد طريقة معاملة الله لنا.

«فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة ندم على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه». إنه حكم استئناف في صالح نينوى، ولكن ما حدث لا ينُم فقط عن رحمة الله أو محبته؛ ولكنه يُظهر أن الله عنده إمكانية التراجع عن قضائه. فالخاطئ الذي وقع عليه الحكم يُعطيه الله مُهلة ليُصلح نفسه، فإذا استطاع أن يعمل أعمال توبة واتضاع؛ فإن الله يرفع غضبه ويتراجع عن حكمه. إذن تغيير الأمر ليس من ناحية الله، ولكنه يرجع بالأساس للإنسان. فلو لم تتضع نينوى لكانت قد انقلبت مثل سدوم، ولو لم يتضع أخآب لكان قد تم هلاكه فعلاً. (٦)

موقف يونان من نينوى(٧)

في الحقيقة نحن لا يمكننا أن نقول ونجزم أن يونان مخطئ، فالرب تحدث معه بلطف، ولم يقل له أنت أخطأت، وحيث أنك لم تُطع أمري، فأنا سحبتُ ثقتي فيك، وسأختار نبياً آخر بدلاً منك، كما فعل ذلك سابقاً مع إيليا النبي، عندما خاف وهرب من إيزابل عاصيا أمر الله، فأمر الرب برسم أليشع بدلاً من إيليا.

ولكن لماذا اغتاظ يونان؟ لماذا قال له الرب: هل اغتظت بالصواب؟

---

(٦) توبة نينوى، عظة بتاريخ ١٠- ٢- ١٩٨٢.

(٧) عظة يونان رمز التوبة سنة ٧٧

في الحقيقة إنَّ يونان كان يعرف بالضبط من هو الله. يونان كان يعرف قلب الله الرحيم، وأنه لا يمكن أن يُهلك المدينة. بالتأكيد كان يونان قد عرف أن الرب من بعد الطوفان لن يعود يعاقب الإنسان بحسب أعماله. ولكن كان يونان يعيش في جو الناموس الذي يُعرِّفه أنه طالما قال الله كلمة، فلابد أن ينفذها، فهنا يونان يدافع عن إلهه الذي في الناموس. سِفر يونان قائم على الانتقال من الحرف الذي يقتل إلى الروح الذي يُحيي، من وضع الناموس الذي كل من يتعداه ينال جزاءه، إلى مراحم الرب التي تغفر للخاطئ وتسامحه عن ماضيه.

سؤال الرب ليونان: "هل اغتظت بالصواب"، هو صوت لنا جميعاً. فرحمة الله لا يجب أن تزعجنا.

للأسف نحن مازال فينا إحساس أن الله يجب أن يكون عادلاً وحقَّاني!! كم مرة وقفنا أمام الله وشكونا له من هذا وذاك، وطالبناه بأن ينتقم لنا منهم، وسألناه: لماذا يتركنا هكذا، أين عدله، أين جبروته؟!!

ولكن عندئذٍ يرد علينا صوت الرب قائلاً لنا: إذا أنت أردتني أن أستخدم عدلي؛ فأول من سينطبق عليه قانوني وعقابي هو أنت. فعدوك وخصمك لا ينادي بالعدل والحق، فأنا لن أطبق عليه قانون العدل، ولكن أنت الذي تُطالب توقيع القانون على غيرك؛ عليك أن تقبل أن يُنفذ عليك أولاً. وهنا سيطالبك الله أن توفي كل ديونك وأخطائك التي صنعتها، بل سيُذكِّرك بها، ولن تخرج من أمامه إلا بعد أن توفي فلسك الأخير.

في الحقيقة إنَّ الرب لو طبَّق العدل، فهو عندئذ لن يحابي، سندخل جميعنا في قفص الاتهام. فنحن جميعاً قدام عدل الله مدانون، وأمامه سوف يستد كل فم.

كان يونان يحس بأنه أفضل من هذه الأمم الوثنية. مصيبتنا، نحن المسيحيين، أن كل واحد سار قليلاً في الطريق الروحي يحتقر الذي وراءه. وكل من صعد خطوة على السلم ينظر من فوق ويرى الذي تحته أنه أقل منه!! وللأسف هذه خطية كل من جاهد أكثر من غيره في أي ممارسة نسكيَّة، فيبدأ يتعصب لنفسه ويرثي لحال غيره مُتعالياً عليه.

صـــلاة

رب المسرّة، يسوع المسيح، الشكر والتسبيح والسجود والمجد الدائم لاسْمك العظيم.

مع نينوى، أيضاً يا ربِّي، لا يزال لنا مكان،

لا بالمُسُح ولا بالرماد، ولكن بانكسار القلب الذي هو أصعب بكثير جداً.

نقف أمامك يا رب من أجل حياتنا السابقة، جهالاتنا، لئلا نكون قد نسيناها بغباء وظنَّنا أنفسنا أبرياء أو أبراراً.

ولكن الدينونة لا تزال قائمة بقدر ما نحن ضعاف في توبتنا؛

ضعاف في رجوعنا إليك عن أخطائنا وعيوبنا التي نعرفها جيداً.

لا نزال نسلك كأرضيين؛ لا نزال نستثقل اتضاع المزود؛ لا نزال نستثقل إحناء الرأس لإخوتنا.

عدونا لا يزال يشتكى على مُختاريك يا رب ليل نَهار.

والشكوى تَجوز علينا، لأننا أهْمَلنا خلاصنا، ولا نزال نتوانَى ونتكاسل في توبتنا،

لا نقدِّم حياةً جديدة، ولا نسعى في تَجديد الحياة كل يوم.

ألسنا نكذب في مواضع كثيرة؟

ألسنا نفتري على إخوتنا؟

ألسنا نتغاضى عن محبة الإخوة، التِي هي فعل دم يسوع المسيح على الصليب؟

نلغيه بكلمة حاقدة؛ ناقمة؛ مجنونة، نلغى المحبة ونعيش في جهالة، في ظلمة لأننا لا نقدِّمها.

لا نريد أن ننتقل من الموت إلى الحياة لأننا نستثقل محبة الإخوة، نستثقل انحناء الرأس للكبير والصغير.(٨)

(٨) صلوات الأب متى المسكين ص٣١

الصوم الكبير

قداس أحد الرفاع

(مت٦: ١- ١٨)

[احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالُكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً. وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً. وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلاً كَالأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ. فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ. فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلاَّتِكُمْ. وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لاَ تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً، بَلْ لأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً].

صلاة أبانا الذي في السموات (٩)

الصلاة إرادة أولاً وقبل كل شيء، فكما حينما تجوع تريد في الحال أن تأكل؛ هكذا الصلاة جوعٌ روحي، إذا اشتد على الإنسان، أراد في الحال أن يصلي. ما معنى هذا؟ معناه أن الصلاة حاجة ملحة على الإنسان، لا يرتاح حتى يكملها. وهذا معناه أيضاً أننا إذا كنا نصلي بدون إرادة الجوع الحقيقي بالروح لله تكون صلاة كاذبة كالأكل لإنسان ليس جوعاناً. لذا، فالصلاة هي خسارة لمن لا يكون جوعاناً وعطشاناً لله.

كلمات صلاة "**أبانا الذي..**" هي من فم الرب نفسه، وهي كلمات لها فاعلية، مملوءة قوة وسلطاناً، وحينما تصلي بها فأنت تنطق بنطق الله، تخرج من فمك كسهام تبدد الظلمة وتضيء لك بنور الله.

أبانا الذي: تأتي بالجمع المنادَى، لأن الآب السماوي هو أبونا كلنا. وهو أبونا لأنه أبو ربنا يسوع المسيح. هذه هي روعة التجسد: الله أخذ صورة الإنسان مولوداً من امرأة؛ فصار أباً لكل من يؤمن أن الله صار جسداً.

الذي في السموات: لأول مرة في تاريخ الإنسان يُنادي الإنسان وهو على الأرض الله كأب في السماء. لقد أُعطيت لنا الصلاحية والسلطان أن ننادي الله في السماء كأب. لقد زالت الفوارق بين الجسد والروح عندما أُعطي للروح أن تصرخ لتُنادي الله في السماء قائلة "أبانا". لم ترتفع الأرض

---

(٩) من نبذة بعنوان: متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات.

للسماء؛ بل السماء هي التي تطأطأت ونزل ابن العلي ليأخذ صورة إنسان. فكما صار هو صورة منا؛ صرنا نحن في صورة الابن نرنو إلى السماء وننادي الآب كما ينادي الابن أباه. وكما ارتبط الابن بالناسوتية؛ ارتبطنا نحن برباط اللاهوتية، وإلا ما استطعنا أن ننادي الله في السماء بأبينا.

نحن حين نحقق قول المسيح ونقول: «أبانا الذي في السموات» فهذا يشير إلى الرباط الذي يربطنا بالسماء، لأنه إن كان أبونا في السماء؛ فحتماً يكون البنون أيضاً. والمسيح بذلك يشير إلى وطننا الآتي، فنحن غرباء نطلب وطناً أفضل سماوياً. ونحن حين ننادي: «أبانا الذي في السموات»، فنحن نُقرِّب المسافة الشاسعة التي تفصل الأرض عن السماء. فنحن لا نشبع من النظر إلى فوق، إلى أبينا السماوي، حتى نؤخذ إلى هناك ونصير مع الآب في شركة المسيح.

ليتقدس اسمك: نعم، فاسمه قدوس ويتقدس من كل فم. والله أمرنا أن نكون قديسين، كما هو قدوس، بمعنى تقديس الله في قلوبنا وعقولنا وأفواهنا. فتقديس اسم الله قادر أن يخلص حياتنا. لا تستهينوا، يا إخوة، بتقديس اسم الله، فهذه هي صنعة القديسين في السماء. ولن نتعلم هناك إلا تقديس اسم الله بلا توان.

ليأتِ ملكوتك: ملكوت الله هو مُلْكه الفائق القداسة، ويشمل السمائيين والأرضيين والكل خاضعٌ له بعنق العبودية عن حب وفرح. ولكن مُلكه السماوي كامل متكامل، إلا أن مُلكه الأرضي ينمو ويتكامل

حتى يبلغ غاية خلقته.

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض: هكذا يطلب المسيح أن تتم مشيئة الله التي هي تحقيق ملكوته على الأرض كما هو في السماء. يتوجب علينا إنه إن نحن طلبنا تدخل مشيئة الله؛ فيجب علينا أولاً أن نستمد هذه المشيئة من مشيئة تسليم المسيح لحياته على الصليب، الذي قال: «ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت.. يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك». إن كل ضيقة وكل ألم نعانيه في هذا الزمان وهذا الجسد، لا يمكن أن يخرج عن مشيئة الله الصالحة والمرضية الكاملة، إذ تُحسب أنها شركة في ضريبة الصليب وآلام المسيح. هكذا عاشت الكنيسة بهذه الروح: «الذين يتألمون بحسب مشيئة الله، فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير».

خبزنا كفافنا أعطنا اليوم: المسيح يُنبه أذهاننا أن يكون خبزنا اليومي هو كفافنا، بمعنى عدم السعي وراء الزيادة والكثرة والإسراف. وفي الحقيقة إن الكفاف هو الدواء الذي يحتاجه العالم وكل إنسان في زماننا هذا. إن حاجتنا اليوم وكل يوم ليس إلى خبز حنطة يُخبز في التنور نأكله ونموت؛ ولكن الحاجة أشد، يا إخوة، إلى خبز حي نأكله ولا نموت! نأكله في شقائنا هذا لنحيا حياة لا يقربها شقاء ولا موت! خبز نأكله فتنفتح أعيننا وتلتهب قلوبنا فينا بحضرة المسيح.

واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا: إن غفراننا لذنوب وخطايا الآخرين من نحونا هو أسهل الطرق لمغفرة ذنوبنا نحن. الله في هذه

الوصية يُعطي الدرس للإنسان لكي يكون رحوماً على الآخرين حتى يجد رحمة لدى الله، وبتساهله من جهة تعديات الآخرين عليه؛ يجد هو مُساهلة من جهة تعدياته هو على حقوق الله والغير. والذين يتقنون هذه الوصية يعيشون في سلام ولا يدخل بينهم العدو وتسير حياتهم في هدوء وسلام.

طوبى للإنسان الذي لا يمسك على الآخرين زلاتهم، إنه يكون قريباً من رحمة الله.

ولا تدخلنا في تجربة: التجربة حتماً آتية على العالم لا محالة سواء في صورتها المُتجزئة التي تصدمنا كل يوم في كل ما يخصنا، أو في صورتها الخطرة التي تهدف إلى انتزاع إيماننا من أجل هذا وضع المسيح مُسْبقاً في أفواهنا نداء الاستغاثة هذا.

لكن نجنا من الشرير: العدو له سلطان للإضرار بنا وبكل ما هو لنا، ولا وسيلة للخروج من دائرة سلطان العدو إلا الطلبة الدائمة والسؤال بتوسُّل في كل صلاة أن لا يدخلنا الله تحت سلطان العدو وإيذائه. أما الذي يُهمل الصلاة وطلب الرحمة؛ فهو يُسهِّل للشيطان عمله ضدنا، ويجعل للشيطان فعلاً سلطاناً علينا.

بالمسيح يسوع ربنا: المسيح الذي هزم الشيطان؛ هو لا يتوانى عن أن ينجينا حتى ولو كان الموت على قيد شبر منا. ليس هناك قوة في السماء أو على الأرض تقوى على المسيح. ما أجملك أيها الإنسان الضعيف وما أقواك وأنت في حضن المسيح.

صلاة

الرب الإله يَجعل هذا الصوم المقدس فرصة تنبيه لكل نفس، وتجديد لكل إنسان، موسم توبة وموسم قوَّة، موسم جهاد حقيقي، موسم مراجعة ومواجهة لكل أخطائنا وعيوبنا.

حبيبنا الرب يسوع الذى صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة،

يرافقنا في هذا الصوم يوماً بيوم،

لكي نستطيع أن نُطبِّق أيامنا على أيامه السعيدة، فتسعد أيامنا بأيامه،

ونُطبِّق جوعنا على جوعه فنرتوي بروحه وبلاهوته،

وأن نَجعل عطشنا من عطشه فنستمد قوَّة سرّية لارتواء وفرح أبدى لا يُنْزَع منَّا.

الرب الإله القادر الذي استطاع أن يغلب ويَجعل عدوه أخيراً تَحت أقدامه، يَجعلنا على مستوى الغلبة،

لنعبُر هذا الصوم منتصرين أولاً على أنفسنا حتَّى نستطيع أن ننتصر على عدونا،

ويكون لنا الظفر الذي يسلِّمنا لسرِّ الصليب والقيامة، فيكون لنا معاً بهجة يوم قداس الفصح لنفرح بالنور الذي سوف ينفجر من القبْر المظلم الفارغ ليُنير حياتنا حتَّى النهاية.

أمين، يا رب.[١٠]

---

(١٠) صلوات الأب متى المسكين ص٣٣

الأسبوع الأول

يوم الاثنين من الأسبوع الأول

(مر٩: ٣٣: الخ)

[وَجَاءَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ. وَإِذْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُمْ: «بِمَاذَا كُنْتُمْ تَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فِي الطَّرِيقِ؟» فَسَكَتُوا، لأَنَّهُمْ تَحَاجَّوا فِي الطَّرِيقِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مَنْ هُوَ أَعْظَمُ. فَجَلَسَ وَنَادَى الاثْنَيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِماً لِلْكُلِّ». فَأَخَذَ وَلَداً وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ قَبِلَ وَاحِداً مِنْ أَوْلاَدٍ مِثْلَ هذَا بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي». فَأَجَابَهُ يُوحَنَّا قَائِلاً: «يَا مُعَلِّمُ، رَأَيْنَا وَاحِداً يُخْرِجُ شَيَاطِينَ بِاسْمِكَ وَهُوَ لَيْسَ يَتْبَعُنَا، فَمَنَعْنَاهُ لأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُنَا». فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَمْنَعُوهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيعاً أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا. لأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا. لأَنَّ مَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِاسْمِي لأَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ. وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي، فَخَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلاَنِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُمَلَّحُ بِنَارٍ، وَكُلُّ ذَبِيحَةٍ تُمَلَّحُ بِمِلْحٍ. الْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلكِنْ إِذَا صَارَ الْمِلْحُ بَلاَ مُلُوحَةٍ، فَبِمَاذَا تُصْلِحُونَهُ؟ لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ، وَسَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً].

هذا المسلسل من البتر لليد والرجل وقلع العين هو منهج النسك العالي للذين أعثرهم العالم وهُم لا يريدون أن يعيشوا في الخطية. ولتوضيح هذا القانون الروحي الصارم يلزم أن نفهم أن حياة الطهارة والبر والقداسة في وسط عالم الخطية والعثرات تتطلب احتمال فداحة الثمن. فالذي يريد أن يعيش طاهر اليد لا يمدها للحرام، أيًّا كان الحرام نوعه، سواء نجاسة أو سرقة أو اختلاس أو تزوير أو غش أو إيذاء بالضرب، فإن ضبط اليد من جهة اليد نفسها وما يحركها من فكر وضمير ونيَّة وإرادة يحتاج إلى شدة وعنف وإصرار وقطع في الضمير والقلب والنيَّة وربط اليد بالإرادة، بحيث أن هذه الشدة وهذا العنف لا يقل عنفهما ألماً من آلام قطع اليد وما يتأتى من ذلك من آلام وعجز وفضيحة. هكذا يصوِّر المسيح منهج ضبط اليد لكي لا تمتد للحرام من العنف والصعوبة ما لا يقل عن قطعها بالإرادة أو بالقانون.

ويُلاحظ القارئ أنَّ المصدر الذي تداعى منه ذكر هذا القانون النسكي هو نفسه الآية السابقة التي تنص على عدم إعثار أحد الصغار، وإلا فخير لمن يعثر ولداً أن يُربط عنقه بحجر رحى ويُلقى في البحر. فالإعثار هو الذي ربط الحديث السابق بهذا الحديث. فانظر عزيزي السامع وتأمل الغرامة المريعة التي يستحقها من يعثر ولداً! فلكي نتخطى الإعثار لابد من جهاد ومجاهدة ضد الذات والجسد. جهاد يساوي على الأقل في الألم والمعاناة: الغرق في لجة البحر أو قطع اليد أو الرجل أو قلع العين.

فلو تأملتَ معي عقوبة إنسان ترك لعينه الحرية أن تنظر في الأجساد وتشتهي وتملأ شهوتها في القلب ماذا تكون؟ عقوبتها ما هو لعقوبة الزنى الفعلي. لا زناة يدخلون ملكوت الله! فانظر فداحة الغرامة. إذاً علينا أن نُحوِّل هذه الغرامة إلى مجاهدة إرادية في الإرادة والفكر والضمير والعين ذاتها.

هذا هو المنهج النسكي الصارم الذي يقترحه المسيح أن نسلكه بالإرادة لكي ننجو من نار جهنم ودودها. أما نارها فأشد وأقصى من نار الأرض عشرات المرات، فهي نار الندم الذي يحرق الضمير ويظل يحرقه إلى أبد الآبدين. أما الدود فهو الإحساس بالخسارة التي تلاحق الضمير والنفس بلا نهاية[١١].

ونُعيد ونؤكد أن هذه الوصايا هي على مستوى الروح، بمعنى أن نقطع ونُهلك ونُميت ونصلب هي كلها بالنية من الداخل، بالروح، وهذا الإجراء الروحي لهو أشد فعالية مئات المرات من الإجراء الجسدي.

فهذه الأفعال القاطعة بالنية بالروح في الداخل قادرة بالفعل أن تبطل وتشل حركة هذه الأعضاء، لأن الفعل بالنية إذا كان صادقاً وعلى مستوى التكميل يقابله عند الله قبول شديد، باعتبار أن الإنسان يكون في نظره قد أكمل الفعل، فيكمله هو له بأن يُحوِّله إلى الضد.

وأعظم مثل لذلك هو ما صنعه المسيح يوم الخميس الكبير، إذ صلب نفسه بالنية وقدَّم جسده مكسوراً ودمه مسفوكاً قبل أن يتمم ذلك فعلياً

---

(١١) الإنجيل بحسب القديس مرقس ص٤٢٦

بالجسد على الصليب يوم الجمعة، فصارت ذبيحة يوم الخميس على مستوى ذبيحة الصليب يوم الجمعة.

أو كما صنع إبراهيم لمَّا أكمل بالنية ذبح ابنه؛ فكان أن حسب الله لإبراهيم أنه أكمل فعلاً وحقاً ما أمره به حتى دون أن يكمِّله جسدياً.

هكذا عِوض تكميل قطع الأعضاء جسدياً لبتر الخطايا منها، يحفظها الله في إطار نعمته ويُحوِّلها إلى أعضاء مقدسة ترتعب من الخطية وتعمل الصلاح بحرية، وتؤول لدى صاحبها إلى قداسة وفخر ومجد، تماماً كما قال المسيح حرفياً: «من يُهلك نفسه من أجلي يجدها»، «يحفظها إلى حياة أبدية».

هنا الإهلاك بالنية يُحوِّله المسيح إلى تكميل روحي حيث يبطل عمل الذات ويلاشي سلطانها بنعمته، لتتحول إلى ذات مقدسة للمسيح، أي لا تعود بعد تتبع أمور العالم؛ بل تتبع الله لتكميل أمور الله.

يقول بولس الرسول: «لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته، ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية؛ بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات بر لله»، هنا عامل القطع والخصي والإهلاك والإماتة والصلب هو من عمل الروح، والروح إذا تسلط على الجسد يضبطه ويقمعه ويشل حركته ويُحوِّله إلى أداة الصلاح عِوض النجاسة والإثم.

المسيح هنا لا يخاطب إنسان الجسد؛ بل يخاطب الروح في الإنسان لتتسلط على خطية الجسد لتقطع منه أصول الخطية وعروقها.

صلاة

افتقدنا يا رب في هذه الأيام التي يحلو فيها الافتقاد، لأن الظلمة أحاطت بنا والموت كَشَّرَ عن أنيابه، فماذا نفعل؟ نقابل الموت بالتوبة. افتقدنا يا ابن الله، فهذا هو زمان الافتقاد، هذا هو زمان إرسال الروح للتوبة، لكي ما نستطيع أن نلبس ثوب الخلاص قبل أن نغادر هذه الأرض المظلمة.

أنتَ أبونا الحي وليس لنا سواك. لن نلجأ لآخر.

من أجل كل نفس في شعبك، من أجل الكل يا ربِّي، من أجل الذين يعيشون في أكواخ الصفيح وأماكن الزبالة؛ والذين يتنعَّمون في القصور، سيان. نعم؛ يا ربِّي، ارحم هؤلاء وأولئك. لا تترك إنساناً يا سيدي، طلبك أو لَم يطلبك.

أنتَ الإله القادر المقتدر في عملك ولستَ محتاجاً لإنسان يطلب منك أبداً.

نحن لا نريد شيئاً على الأرض، نريدك أنتَ وحدك الذي لنا في السماء، والأرض لا نريد منها شيئاً. تكفينا أنتَ، لأنك تعطينا أكثر ممّا نطلب، وقبل أن نسأل تستجيب. قبل أن نطلب، أنتَ تعرف احتياجاتنا، وتكون قد سبقتَ ورتبتها، فننذهل أنك تسمع لنا.

نحن نطلب منك كأب سماوي رحيم جداً لا يدانيك أب على الأرض ولا أقدس القديسين في حبِّك ورحْمتك، أن تفتقد شعبك في هذه الأيام، وتعطيهم نعمتك المجَّانية في كل قلب وفي كل بيت، -تفتقد الكبار مع الصغار، وأولاً وقبل كل شيء تفتقد كنيستك، وكهنتك. هم يخدمونك يا ابن الله، فافتقدهم من عندك افتقاداً سماويًّا، وأرسل روحك القدوس، وإن لزم بلسان نار افتقدهم لكي تعود إليهم قلوب الكهنوت: قلب الكاهن يحمل الله، وشفتاه تحملان الإنجيل، في فمه معرفة.

هذه طلبتنا، افتقد الجميع يا رب، وليكن اسْمك مباركاً إلى الأبد، آمين.[١٢]

---

(١٢) صلوات الأب متى المسكين ص٢٤٦

يوم الثلاثاء من الأسبوع الأول

(لو١٢: ٤١- ٥٠)

[فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: يَا رَبُّ، أَلَنَا تَقُولُ هذَا الْمَثَلَ أَمْ لِلْجَمِيعِ أَيْضاً؟ فَقَالَ الرَّبُّ: فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِه لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟ طُوبَى لِذلكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هكَذَا! بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِه. وَلكِنْ إِنْ قَالَ ذلكَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِه: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْغِلْمَانَ وَالْجَوَارِيَ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ. يَأْتِي سَيِّدُ ذلكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا، فَيَقْطَعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ. وَأَمَّا ذلكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِه وَلاَ يَسْتَعِدُّ وَلاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِه، فَيُضْرَبُ كَثِيراً. وَلكِنَّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ، وَيَفْعَلُ مَا يَسْتَحِقُّ ضَرَبَات، يُضْرَبُ قَلِيلاً. فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيراً يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ. جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟]

الأمانات وحساب الربح[١٣]

الرب في هذا الإنجيل يضع قانون المحاكمات، وما أخطره قانون. يبتدئ الكلام، قبل إنجيل هذا اليوم، بقول الرب: «وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت». بعدها سأله بطرس « ألنا قلت هذا المثل أم تقوله للجميع أيضاً؟» فرد عليه المسيح قائلاً: «من هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه؟»

---

(١٣) من عظة على إنجيل هذا اليوم سنة ١٩٩٠

المسيح أعطى أمانات، واستأمن أصحاب الأمانات على عطاياه وعلى بيته الذي هو كنيسته، أي أولاده الخصوصيين، وذهب في مهمة سعيدة سيقضي فيها زماناً طويلاً يقول عنها القديس لوقا في سفر الأعمال: «**أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إنَّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء**».

أمَّا الأمانات التي سلمها الرب لعبيده: فهي أولاً الإنجيل، ثم الإيمان الثمين وسر الخلاص والفداء والجسد والدم، ثم المواهب الروحية، ثم الكنيسة باعتبارها جسده بمعنى أولاده. هذه كلها بعد أن تسلمناها صارت أمانات وصرنا وكلاء عليها وكل وكيل يُسأل عن أمانته. ليكن لكل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة».

ونحن نعلم من مَثَل الخمس وزنات والثلاث وزنات والوزنة الواحدة، أن المسيح سلَّمها على أساس الأمانة والمتاجرة والربح، والله يطالب بالربح، لأنه بعد عودته واجه كل صاحب أمانة طالباً من كل وكيل أن يقدِّم كشف حسابه.

فصاحب الخمسة قدَّم خمساً أُخَر، وصاحب الثلاثة ربح ثلاثاً. الاثنان قدَّما، فسمع كل منهما منطوق الحكم الطوباوي: «نعِمَّا أيها العبد الصالح والأمين، كنتَ أميناً في القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك».

أمَّا الذي أخذ الوزنة ودفنها في التراب، فكان استجواب القضاء واضحاً: لماذا لم تتاجر وتربح أو تضعها عند الصيارفة (بمعنى الالتصاق بمن

هم قادرين على تعليمه وبناء حياته وإيمانه) وكان الحكم عليه عنيفاً: اطرحوه في الظلمة الخارجية.

هذا المَثَل ضروري لنا حتى نفهم جيداً مثل اليوم، وهو يضع قانون ونظام المحاكمات لدى قضاء الله.

الوكلاء هنا على أربعة أنواع: أولاً: **الوكلاء الأمناء:** «**فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده**»، إنَّه ذلك العبد الذي ينتظر قدوم سيده بفارغ الصبر، إنه العبد الذي يسهر والكل نيام، إنَّه العبد الذي يتاجر بوزنات سيده، أو على الأقل يضعها عند أناس أمناء.

ثانيا: **الوكلاء غير الأمناء، الذين أخذوا نصيب الخائنين:**

هم الذين قالوا في أنفسهم: «سيدي يبطئ في قدومه» (تسويف العمر باطلاً)»،

هم الذين أخذوا في الأكل والشرب والسكر،

هم الذين لم يرضوا بالسهر، لم يحترموا أوامر سيدهم، أخذوا يُسوِّفون قائلين إنه سيتأخر ولن يأتي الآن.

ثالثاً: **الوكلاء الذين ضُربوا كثيراً:**

هم أولئك العبيد الذين يعلمون إرادة سيدهم، والضرب هنا في المَثَل يقابله في السماء حرمان مؤلم أكثر منه آلاف الأضعاف،

إنهم العبيد الذين أخذوا الكثير من عطايا سيدهم سواء من الإنجيل والمعرفة والخلاص والأسرار، ثم بعد هذا يقفون أمامها سلبيين، ولا يريدون أن يُشركوا معهم الآخرين فيما أخذوه.

رابعاً: **الوكلاء المضروبون قليلاً:**

هم العبيد الذين لا يعلمون إرادة سيدهم، يجهلون الإنجيل والوصايا، لم تصلهم البشارة.. ولكن في الحقيقة هذا الصنف هو الآن يكاد يكون غير موجود. مع العلم أن عدم المعرفة لا يعفي من العقاب، وهذا قانون أخذت به كل المحاكم الدنيوية الآن. أما حكمه عندما يفعل ما يستحق الضرب فهو العقاب وإن كان بصورة أقل. وهو بهذا موازٍ للعبد صاحب الوزنة الذي أسماه المسيح العبد الشرير الكسلان.

ونخرج من إنجيل اليوم بهذه الحقائق:

+ المسيحية عطايا ومواهب ونِعم وأسرار، تُعطى للإنسان كأمانة، ويلزم على الشخص أن يردها مع ربح.

+ أننا وكلاء على هذه الأمانات وسنحاكم على مقدار الربح أو التبديد.

+ إن العدو يحاول أن ينتزع هذه الأمانات والنِّعم أو يطمسها في قلوبنا.

+ والمسيح يوعِّي بضرورة السهر: السهر على الأمانة ليزداد نموها، والسهر عليها من الأعداء لئلا يسرقوها منا.

«طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عورته».

«كن ساهراً وشدد ما بقِيَ الذي هو عتيد أن يموت، لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله، فاذكر كيف أخذت وسمعت، واحفظ وتب. فإني إن لم تسهر أقدِم عليك كلصٍ، ولا تعلم أي ساعة أقدِم عليك».

صلاة

سيِّدي الرب، عبيدك إخوتي الواقفين أمامك أعطهم قوَّة لكي يشهدوا لكَ ويشهدوا لصومكَ ويشهدوا لفكركَ ويشهدوا لعبوديتك من أجلنا.

أعطهم يا سيِّدي قوَّة، أعطهم السهر الروحي ليستطيعوا أن يسيروا على المنهاج ويستطيعوا أن يعملوا أعمالك، لأن العمل الذي عملتَه قلتَ إننا نستطيع أن نعمله وأعظم منه، فأنتَ مستعد أن تعيننا في كل عمل نَقْدِم إليه.

أعطهم الشجاعة أن يَقْدِموا على كل عمل من أجل اسْمك، شجاعة الصوم؛ شجاعة الصلاة؛ شجاعة الوقوف؛ شجاعة الركب المشدودة.

علِّمهم كيف يثبتوا أمامك مُسلَّحين بسلاح الروح، لأن الذي يعمل فينا قويّ وجبّار. نحن متراخين في أنفسنا، نحن الذين لا نريد أن نقبل.

سيِّدي، افتح قلوب عبيدك، املأهم من نعمتك، لأن نعمتك حاضرة ومستعدة.

عبدك بولس كان يُشجِّع تلميذه ويقول له:«امسك بالحياة الأبدية». علِّمهم يا سيِّدي كيف يمسكوا بالحياة الأبدية، كيف يَفْرطوا أيديهم من العالَم ومَجد العالَم وشهوة العالَم والناس وعطايا الناس وكلام الناس. أعطهم أن ينسوا أعمال آدم التي نال بها العقوبة ونال بها الغضب الإلهي، أعمال العالم الزائل الفاني، أعمال كلها خسارة؛ كلها ضياع. فمن أجل أمور ميِّتة نفقد ما لنا وما هو من نصيبنا ونفقد الحياة الأبدية. (١٤)

---

(١٤) صلوات الأب متى المسكين ص٦٧

يوم الأربعاء من الأسبوع الأول

(لو٦: ٣٥: ٣٨)

[بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ. فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ. وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ. أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ].

محبة الأعداء

ثلاثةُ أعدادٍ تحوي ثماني وصايا، ست منها أوامر إيجابية واثنتان نواهي.

الوصايا الإيجابية: أحبوا أعداءكم، أحسنوا، أقرضوا، كونوا رحماء، اغفروا، أعطوا.

الوصايا السلبية: لا تدينوا، لا تقضوا على أحد.

الوصايا الإيجابية تخص الطبيعة الجديدة للإنسان المُعمَّد المولود ثانية.

والنواهي السلبية فهي لضبط الإنسان العتيق وتوقيفه عن العمل.

الوصايا الإيجابية كلها مستحيلة شكلاً وموضوعاً على أي إنسان يحيا بفكره وطبيعته العتيقة محكوماً بالذات والخطية.

سنتكلم فقط عن الوصية الأولى: محبة الأعداء: هذه الوصية هي محك المسيحية، وأمر تنفرد به، كصفة خاصة بالخليقة الجديدة التي على صورة خالقها في البر وقداسة الحق.

محبة الأعداء معناها أن الذات التي تتأثر بالعداوة وتنفعل لها وتتحفز ضدها لم تعد موجودة. ومعناها كذلك أن عنصراً أخلاقياً فائقاً للطبيعة صار موجوداً داخل القلب والفكر والنفس، إنَّها محبة الله المنسكبة بالروح القدس في القلب. وهنا تكون محبة الأعداء عملاً منعكساً من أعمال الصليب، دخل في طبيعة الإنسان وسلوكه كفعل حي يعمل لحساب المسيح مباشرة، نناله بقوة سرية عندما نتناول الجسد الممزق والدم المسفوك على المذبح، ذلك لأن فيهما قوة المحبة الغالبة للعداوة، المحبة المبذولة من أجل الأعداء.

فكل مرَّة نتقدم إلى سر التناول نتغذى من قوة الحب الباذل حتى الموت. لذلك وعلى هذا القياس، يطلب المسيح أن نُحوِّل إحساس العداوة الذي نشعر به من نحو الذين يُبدون العداء والنفور والاضطهاد لنا إلى المحبة، حيث وإن صعب أن تكون محبة العاطفة، يتحتَّم أن تكون محبة الإرادة، بمعنى تسخير إرادة المحبة لأداء فعل المحبة. بمعنى، إن تعذَّر عليَّ أن أقبِّله فعليَّ أن أمدحه وأرسل له هدية، التي هي أفعال المحبة الإرادية، لا عن رياء بل عن طاعة للوصية؛ وأجامله في ظروفه الصعبة، فتصبح أعمالي تنمُّ عن محبة وليس عداوة، ولا يهم إن هو بادل أعمال المحبة بالعداوة أيضاً، فعليَّ أن أستمر أنا في أعمال المحبة لأني لا أطلب أجراً أو نتيجة أرضية من أعمال محبتي، ولكن رضا الله وحسب. ولكن بدوام ضبط إرادتي لمحبة الأعداء، تظهر فضائل هذه الوصية، فأنتقل إلى المحبة القلبية الصادقة، لأني لا أعود

أحسب حساب العواقب أو ردود الفعل.

فالمطلوب أن تبقى المحبة أقوى من العداوة وأقوى من تهديد الموت، لأن مصدر وغاية المحبة هو الله، والله يتحتَّم أن يبقى أقوى من الموت، لأنه مُعطي الحياة.

وإذا فحصنا وصية المسيح لنا أن يحب الإنسان المسيحي عدوَّه، نجد أن الوصية في وضعها البشري هي على مستوى الاستحالة المطلقة؛ فالطبيعة البشرية هي على كل حال طبيعة حيوانية تعمل على أساس الفعل ورد الفعل، فالعداء يقابله عداء بصورة حتمية. فإذا أردنا أن نُحوِّل العداء إلى محبة، فهنا يلزم بل ويتحتَّم أن نغيِّر الطبيعة ذاتها. فالمسيح يطلب أن نُبادِل العداء بالمحبة على أساس أننا نلنا طبيعة جديدة ليست على مستوى البشر، ولكنها طبيعة روحانية خالدة، أخذها المسيح لنا بالقيامة من بين الأموات.

إذن، حينما يطلب المسيح منا أن نحب أعداءنا، فهو يأمرنا على أساس أنه قد سبق ووهب لنا قدراته المجانية من صميم طبيعته هو، لذلك صارت وصية محبة الأعداء هي المحك الأعظم لكشف حقيقة مسيحيتنا وصدق إيماننا وتحقيق معموديتنا وممارسة تناولنا وانفتاح ذهننا للإنجيل؛ بل وكشف عن مستوى محبتنا للمسيح والآب، ومحبة الآب والمسيح لنا التي انسكبت في قلوبنا.

وبالتالي فإن محبتنا للأعداء تكشف في الحال عن حقيقة انسكاب محبة الله في قلوبنا بالمسيح يسوع. وهكذا تصبح هذه الوصية: "محبة الأعداء"

أقوى محك عملي للتعبير عن الإيمان المسيحي، وشهادة مقروءة لحالة محبة قائمة بيننا وبين المسيح والله.

إن محبة الأعداء لا يقوى عليها إلاَّ الله بصفاته المتزَّهة عن العداوة. إذن، فمحبة الأعداء تُدخلنا حتماً في محبة الله كمستحقين لها، وهذا يُدخلنا في سر البنوَّة له.

وبنظرة واحدة فاحصة، نجد أن الإنسان المسيحي، وإن كان ليس بأعماله قط ينال الخلاص أو الفداء أو التبنِّي لله، لكنه يُحسب "ابناً للعلي" بعمل واحد عجيب - بحسب وصيـــة المسيح - وهو: أن يحب عدوه بإرادة كاملة واعية متحمِّلة كل الخسارات الباهظة، فإن الرب وعد وعداً صادقاً بأن مَنْ يُتمِّم هذه الوصية يكون ابناً له وينال أجراً سماوياً عظيماً. بمعنى أن محبة العدو هي العمل الوحيد الذي يأتيه الإنسان بإرادته ليرث مواعيد الله ومحبته وبنوَّته، بل هي العمل الأساسي لنشر ملكوت الله على الأرض[١٥].

صلاة

أمين يا رب يسوع المسيح،

أعطنا أن نكون تلاميذ للحب الإلهي إلى أن نشيب ونشيخ،

واجعل صلاتنا لا تكفَّ من لساننا كل أيام حياتنا أن: أعطنا يا ربِّي طريق الحُب السرِّي حتَّى نعرف وندخل إلى عمق سِرِّكَ الإلَهي، ونعبُدك بالروح والحق كَمُشتَهَى قلب الآب.

---

(١٥) الإنجيل بحسب القديس لوقا ص ٢٨٢

علّمنا يا ربِّى ما لا نستطيع أن نعلمه من ذواتنا، لا بالكلمة ولكن بالروح،

عرِّفنا مستوى الحب الداخلي الذي به ندخل معك في عهد؛ في علاقة أبدية؛ مُرتبطين بك برباط الكمال الذي به هو قامة وملء قامة كل الناموس: المحبة.

أعطنا أن نُحبّك، نُحبّك، نُحبّك يا رب ولو أننا غَيْر أهل لِهذا الحب وغَيْر أكفاء،

ولكن مَنْ ذا الذي هو كفؤ من ذاته يا ربِّى؟ كفايتنا هي منك.

أعطنا الكفاية منك أن ندخل في هذا الطريق السرِّي باسم الروح ويسوع،

حتَّى نتعلَّم الحب يا رب، الحب الذي في الخفاء، نُمارسه من كل كياننا الإنساني،

بكلِّ فكرنا وقلبنا ونفسنا وقدرتنا، من كل العاطفة، من كل الإرادة، من كل التصميم، من كل العافية.

أعطنا أن ننسى كل حبّ آخر سواك،

ننسى كل تعلُّق بشرى في الماضي وفى الحاضر وفى المستقبل،

حتَّى يتطهَّر قلبنا لِيَحلّ فيه حُبُّك،

لأن حُبَّك يا ربِّى سوف يَملأ قلبنا حينما نُفرِّغه من كل حبّ أو شبه حبّ آخر. (١٦)

---

(١٦) صلوات الأب متى المسكين ص١٦١

يوم الخميس من الأسبوع الأول

(مر٤: ٢١- ٢٩)

[ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ أَوْ تَحْتَ السَّرِيرِ؟ أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَنَارَةِ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ، وَلاَ صَارَ مَكْتُوماً إِلاَّ لِيُعْلَنَ. إِنْ كَانَ لأَحَدٍ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!» وَقَالَ لَهُمْ: انْظُرُوا مَا تَسْمَعُونَ! بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ وَيُزَادُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ. لأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ». وَقَالَ: «هكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ: كَأَنَّ إِنْسَاناً يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ، وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ، لأَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلاً نَبَاتاً، ثُمَّ سُنْبُلاً، ثُمَّ قَمْحاً مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ. وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ، فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ].

ميلاد الإنسان الجديد (١٧)

هذا المثل شبيه إلى حد كبير بحديث المسيح لنيقوديموس بخصوص ميلاد الإنسان الجديد من الروح: «الروح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من وُلد من الروح»، هكذا عمل الروح القدس في الإنسان، إنَّه يعمل بمعزل عن الحواس جميعاً. فالولادة الجسدية تتم بضجة وصراخ، ولكن الميلاد الروحي للإنسان لا يلمحه أحد من الخارج ولا يرافقه انفعالات بل هدوء وسلام داخلي، أمَّا

(١٧) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

الإنسان نفسه فيحسه في الداخل: أن شيئاً هاماً وعظيماً قد حدث، إنه انقلاب داخلي، يحسه الإنسان ولكن لا يدري كنهه، لا ينتبه إنَّ هذا هو الملكوت، صحيح إنه بعد هذا يهدأ وكأنه لا يوجد شيء، وينام ويقوم، ولكن ما حدث قد حدث، وهنا يبدأ النمو.

فالمسيح يمثل الملكوت بالبذرة التي يلقيها الإنسان في الأرض وهو يقظ.

« ثم يذهب وينام ويقوم»

الكلام هنا يوحي بالهدوء، فلحظة سقوط الكلمة المحيية في قلب الإنسان يمكن رصدها وتحديدها بالساعة واليوم والسنة، ولكن بعد أن تستقر الكلمة في القلب تبدأ عملها بهدوء بالغ وبعيداً عن الحواس. حتى إن رد الفعل يصفه الرب بأن الإنسان يذهب ينام ويقوم ليلاً ونهاراً. أي يمارس حياته العادية اليومية بهدوء كأن شيئاً لم يحدث، في حين أن قوة الملكوت تكون قد أخصبت روح الإنسان في الداخل وبدأ الجنين الروحي في النمو ليأخذ وجوده وعمله جنباً إلى جنب مع الإنسان الطبيعي، ولكن يبدأ اللون الأخضر يكشف عن خليقة جديدة تكون قد بدأت بالفعل تصبغ الحياة كلها: الفكر، الكلام، الشعور، السلوك، وكل حركة من حركات الإنسان تبدأ تأخذ لونها الروحي بوضوح.

« والبذرة تطلع وتنمو وهو لا يعلم كيف »

تطلع: بمعنى تنبثق إلى أعلى، فبقدر ما تمتد البذرة بجذرها في تربة القلب، بقدر الجسم الجديد ما ينبثق إلى فوق، فالإنسان الجديد يكون انجذابه إلى

أعلى ضد جاذبية الأرض، وهذه تمثل حرية الإنسان الجديد ضد عبودية العالم وقوانينه وضد جذب الأرض والأرضيات، ثم الجذب المضاد من فوق يكون بالحب الشديد بالله والمسيح.

الإنسان الجديد لا يطلع ولا ينمو من تلقاء ذاته بل توجد عوامل أيضاً كثيرة تعمل لانبثاقه إلى أعلى وإلى نموه الدائم. فرسوخ الإيمان هو التربة، وكلمات الإنجيل هي المطر السماوي أي الماء، والمخصبات هي العظات وسير القديسين. وامتداده إلى فوق باستمرار ضد جذب الأرض هو بفعل الحب الإلهي الذي بمثابة الجاذبية المضادة للعالم. والدفء والنور والشمس هو بالروح القدس الذي يلهب القلب ويحفظ حرارة الروح على الدرجة السماوية، والمسئول عن كل عمليات التمثيل الغذائي لتحويل كل شيء لحساب الحياة الأبدية.

أمَّا الذي لا نعرفه عن نمو الإنسان الجديد بالروح فهو أكثر مما نعرفه كقول المسيح تماماً. ولكن الحقيقة الواضحة أمام عيوننا هي أننا ننمو، وتعلقنا بما فوق يزداد ويتأصل. وقليلاً قليلاً تنتقل تعلقاتنا من الأرض إلى السماء، ونستودع الوطن الأرضي لنستقبل وطننا السماوي. وبالنهاية نحمل الثمر الذي نسلمه للآخرين عندما يأتي الحصاد.

سر بداية ملكوت السموات يتركز في حتمية موت الإنسان من شكله وصفاته وطباعه ليأخذ شكلاً وصفاتاً وطباعاً أخرى مختلفة تماماً تحمل في طبيعتها قوة الإثمار ودوام الحياة!

كل من لا يهون عليه أن يفقد مواريث صفاته وعاداته وطباعه ويخشى الموت الإرادي ويجزع من دفن الذات؛ يبقى كما هو، يبقى وحده، يبقى مُصمتاً من الداخل كتربة حجرية لا تقبل الزرع، وكل كلمة تسقط عليها تموت. هو أيضاً يذهب وينام ويقوم كالآخرين، ولكن لا شيء ينبثق من داخله ويظن أن الآخرين مثله، فيبقى لاهياً عن مصيره.

البذرة، كحبة القمح مثلاً، تختزن في داخلها كل صفات جنسها بكل دقائقها، مع قوة الحياة التي أخذتها من يد القدير، هكذا بذرة الملكوت فهي تحمل صفات أو أفعال وطبيعة الملكوت مع قوة الحياة الأبدية. فعندما تخصب بالكلمة في كيان الإنسان الداخلي؛ تنبثق الطبيعة الجديدة حاملة صورة الملكوت وقوّته ونعمته وحكمته.

وكما يغتذي الإنسان من طعام العالم ويستنشق هواءه ويستقبل نوره وحرارته وشمسه؛ هكذا إنسان الملكوت في الداخل يغتذي بالروح والمعرفة والحق أي المسيح، «جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق »، ويختصرها المسيح: « من يأكلني يحيا بي»، لا نتحول نحن إليه، بل هو يتحول فينا إلينا فيعطينا حياته وكل ماله. ويختصرها بولس الرسول: «المسيح يحيا فيَّ»، إنه يمتص منا كل عوامل الموت والفناء ليعطينا الحياة والخلود. وتختصرها الكنيسة: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنسبحه ونمجده ونزيده علواً".

الإنسان العتيق يبدأ يذبل ويشيخ حتى يضمحل فيخرج إنسان الروح والملكوت ويطلع وينمو ويتلألأ خضرة ونُضرة لا تفارقه إلى الأبد، ينفتح فكره

على المسيح فتسكنه الحكمة فتُعلِّمه أسرار التسبيح وطبائع السمائيين.

وبقدر ما تُعَتِّم عين الجسد وتكل عن رؤية الزائلات، تنفتح عين النفس على رؤيا النور والخلود. وبقدر ما تتصامم أُذن الجسد عمَّا للجسد؛ تنفتح أُذن الروح على ما يقوله الروح. وبقدر ما يشيخ العقل عن الفهم وإدراك الحسيات؛ ينفتح الوعي الروحي على استجلاء كل ما لله. وننتهي إلى ما يقوله بولس الرسول: «ابتُلِع الموت إلى غلبة».

صلاة

ربنا السماوي، رب الكون كله يسوع المسيح،

لك الشكر والتسبيح والسجود والمجد. يا مَنْ دعوتنا للخلاص؛ الخلاص المجاني المدفوع ثمنه على الصليب.

اشتريتنا لتقدِّمنا إلى أبيك كل يوم بلا لوم في المحبة.

نحن أولاد الصليب، يا ربّ، قد وضعنا أنفسنا لنحمل صليبك كل أيام حياتنا، هو نفس الصليب، فاجعل قوَّة الصليب تُحيط بنا من كل جهة.

احفظنا من العالم ومن شهوات العالم، واحفظ الجسد والنفس والروح من كل عثرة.

الجسد ضعيف، ولكن نشكرك لأن الروح قوى.

روحك القدوس يرشدنا وسوف يرشدنا كل يوم إلى طريق الخلاص، الطريق الذي أنتَ وضعتَه، وفتحتَ له باباً في السماء ودخلتَ كغالب وكمنتصر من أجلنا.

نحن أولاد القيامة ولسنا أولاد الموت،

فأتوسَّل إليك ألاّ نعمل الأعمال الميتة التي تؤول إلى الهلاك، هلاك الجسد والنفس والروح،

بل اجعلنا أولاد الحياة الأبدية؛ الحياة التي سكبتَها على قلوبنا بغنَى بقيامة يسوع المسيح من الأموات،

سكبتَها علينا بروحك القدوس بلا مانع لنمتلئ إلى كل ملء الله، لنعرف ما هو لخلاصنا وما هو لمَوْتنا.

أعطنا البصيرة الحيَّة لنفرِّق ما بَيْن الأعمال التي تقودنا إلى الحياة الأبدية وما بَيْنَ الأعمال التي تقودنا إلى الموت والهلاك. (١٨)

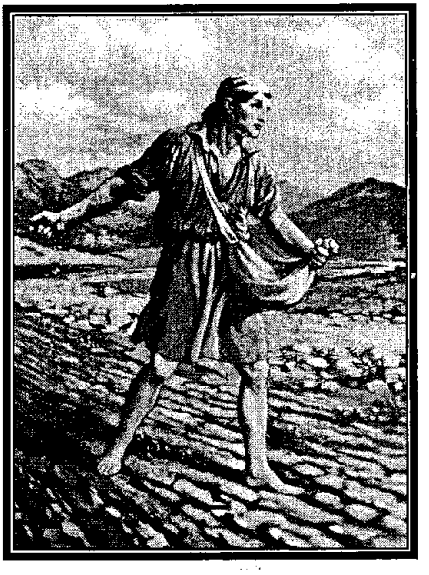

(١٨) صلوات الأب متى المسكين ص١٨٧

يوم الجمعة من الأسبوع الأول

(لو١١: ١- ١٠)

[وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: يَا رَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضاً تَلاَمِيذَهُ. فَقَالَ لَهُمْ: مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ، وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَدِيقُ أَقْرِضْنِي ثَلاَثَةَ أَرْغِفَةٍ، لأَنَّ صَدِيقاً لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ. فَيُجِيبَ ذلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ: لاَ تُزْعِجْنِي! اَلْبَابُ مُغْلَقٌ الآنَ، وَأَوْلاَدِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ. أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ].

مَثَل صديق نصف الليل (١٩)

يعطي المسيح هنا قصة إنسان تحت الحاجة وشدة العوز التجأ إلى صديق في وقت غير مقبول في نصف الليل، وقرع بابه خَجِلاً وَجِلاً، وكانت الحاجة والعوز شديدين. وظلَّ يقرع ولكن الصديق المتأذِّي من هذا القرع

(١٩) الإنجيل بحسب القديس لوقا ص ٤٧٩

والنداء استيقظ ليسمع من جاره أنه محتاج إلى ثلاثة أرغفة عيش. فبمنتهى الضيق اعتذر لأن استيقاظ أسرة بصغارها وأطفالها في نصف الليل شيء مزعج، فاعتذر أن يلبِّي طلب الصديق الملحاح، ولكن الصديق لم ينثنِ فالحاجة ملحَّة، وكرَّر السؤال يسنده العذر والرجاء. وأخيراً استجاب صاحب الدار وقام وأعطاه ما يريد.

صورة جميلة للعوز الذي يسنده الرجاء، هذا هو الذي نخرج به من هذه القصة، كيف استطاع المحتاج أن يفوز بحاجته رغم صعوبة الطلب. والرب أراد بهذه القصة المُرتَجَلَة أن يصوِّر نفسه أو يصوِّر الله بصاحب الخبز، والصديق الملحاح بالإنسان الذي استخدم هذا السلاح وهو اللجاجة. والمسيح يطلب أن نأخذ منه هذا التصوير على أساس أنه تعهُّدٌ من قِبَلِه لاحترام لجاجة الإنسان في الصلاة، ولكن على شرط أن تكون حقـــاً قائمة على عوز شديد.

«ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ مِنْكُمْ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَدِيقُ أَقْرِضْنِي ثَلاَثَةَ أَرْغِفَةٍ».

الصيغة الأصلية هنا تجيء بمعنى: "هل يمكن أن نتصوَّر هذا"، باعتبار أن الإلحاح لابد مستجاب، حيث يصوِّر الصديق أنه الله والمحتاج أنت، والطلب ثلاثة أرغفة. أمر شديد العلاقة بالحياة، فلا غنى عن الخبز للجائع. هكذا أراد المسيح أن يصوِّر لنا على أي مستوى تكون الصلاة التي نقدِّمها لله. وبأي إحساس نتقدَّم بها بإلحاح، فالقصة تعطي إحساساً أن المحتاج

أرغمته الحاجة أن يخرج ويلتجئ إلى صديقه في وقت حرج وغير مناسب، ثم الإلحاح بعد الرفض. أرجو من القارئ العزيز أن يرفع إحساسه ليتوافق مع القصة. فالمطلوب أن تكون الصلاة على مستوى صادق من الإحساس بالعوز الشديد، لأن من هذا المستوى تدخل الصلاة إلى قلب الله. حتى ولو كانت صلاة شكر أو تسبيح يلزم أن تكون بإحساس مَنْ يتوسَّل ليُقبَل شكره أو يُقبَل تسبيحه. فالله في ذاته غير محتاج لا لشكر ولا لتسبيح، ولكن أنت المحتاج أن يدخل شكرك إلى قلب الله وأن يصغى إلى تسبيحك ويرضى به.

وعلى السامع أن يلاحظ أن الصفة التي أعطاها المسيح لله ولنفسه هي "صديق"، بمعنى أن صلاتك التي تقدِّمها له شعوراً منك بالعوز يتحتَّم أن تكون على أساس أنك تطلب مصلِّياً إلى صديق، بمعنى أن يكون لك دالة حقيقية معه. وهكذا أعطى المسيح شكلاً للصلاة المقدَّمة إلى الله وإليه بأن تكون بإحساس الحاجة والعوز وبدالة مع الله والمسيح كصديق حقيقي وبلجاجة لا تفتر.

«لأَنَّ صَدِيقاً لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ».

يصوِّر المسيح هنا الحرج الشديد الذي يقع فيه الإنسان ويحاول إدخال الإحساس به إلى قلوبنا، حيث من هنا تبدأ الصلاة. وهذا الحرج هو: كيف يتقدَّم الإنسان إلى الله وهو تحت الشعور الشديد بالحاجة إلى ما يصلِّي لأجله، حتى ولو كان لراحة الآخرين؟ ويضع المسيح هنا هذا الميعاد المتأخِّر

من الليل ليزيد الحرج إلى أشد مستوى لتخرج الصلاة من قلب منفعل بالحاجة والحرج معاً؛ بل والعدم، إذ ليس له ما يقدِّمه. كل ذلك ليكسر حالة الجمود والبرودة وعدم المبالاة في الصلاة والروتين الذي ينهي على الروح الجديَّة في الصلاة. المسيح هنا يحاول إيقاظ الإنسان المتكاسل في الصلاة والمتواني وغير المكترث ليضعه في حالة الصلاة التي يطلبها الله.

«فَيُجِيبَ ذلكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ: لاَ تُزْعِجْنِي! اَلْبَابُ مُغْلَقٌ الآنَ، وَأَوْلاَدِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ».

يحاول المسيح أن يُصعِّب الاستجابة ويجعلها قرب المستحيل، ليرفع من لجاجة المصلِّي ويزيد من التوسُّل، لأن الصعوبات التي وضعها هنا المسيح لا تنطبق على الله والمسيح، ولكن أراد المسيح أن يصوِّر صعوبة استجابة الصلاة من أول مرَّة عند الله. فهو يهملها ويهملها مرَّات ومرَّات حتى ترتفع حرارة اللجاجة والرجاء إلى المستوى الذي يساوي استجابة الصلاة.

ليس هذا قسوة من الله ولا هو يرجع إلى عدم استحقاق المصلِّي للاستجابة، ولكن لكي يدخل الإنسان عملياً في سر استجابة الصلاة ويتدرَّب على معرفة كيف يسمع الله الصلاة وكيف يستجيب. وهذا بحد ذاته أعظم أسرار العلاقة التي تربطنا بالله عبر المسيح. فكل درجة نرتفع إليها في اللجاجة يقابلها درجة في الصعود على سُلَّم السر الإلهي في الصلاة. وحينما تسمع بأن هناك رجال صلاة مرموقين ولهم قوة ودالة فاعلم أن هؤلاء تدرَّجوا طويلاً على سر سلم الصلاة: رفض ولجاجة،

ولجاجة ورفض إلى أن ينفتح الباب. لأن الباب مغلق حقـًّا ولا ينفتح إلاَّ بعلامة السر. وعلامة السر هي: اللجاجة بلا حدود إلى أن تبلغ حدودها وحينئذ يكون سر الصلاة قد صار مِلْكَ قلبك: «يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر».

«أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ».

هنا يكشف المسيح عن سر خاص يقوله ببساطة، ولكنه من أعجب أسرار الله والمسيح، وهو أن الله له حدود في معاملاته مع أحبائه وأصدقائه بالروح، ولكن أُعطي للإنسان، والإنسان فقط دون كافة الخلائق العليا، أن يجعل الله يتخطَّى حدود "الصداقة" عندما تنفتح أحشاؤه بالحنان والرحمة.

صلاة

أتوسَّل إليك، يا سيدي، من أجل هذا الجيل أن يعرف ما هي الصلاة، وأعط لعبيدك أن يكونوا أبناءً للصلاة، ويتعهَّدوا عهداً أن يصلوا ويوقِفوا حياتهم ونفوسهم وقلوبهم وجسدهم للصلاة.

إن كان هذا، فنعْمَ هذا الجيل، وعلى يدي هذا الجيل سيفتقد الله الكنيسة ويرسل نعمته سريعاً.

ولكن إن سمعنا ونسينا ولم يكن فينا مَنْ يُصلِّي، كيف نطلب أن يفتقدنا الله؟ كيف نئن أمام المسيح من أجل المظلومين والمضطهدين؟ الله يَحتاج لمَنْ يُصلِّي من أجل الآخرين، وإلاّ لا يُعطِي. المسيح ينتظر صلاتك لِيُخلِّص أخاك.

فالآن؛ يا أبانا السماوي؛ أتوسَّل إليك، عن نفسي وعن عبيدك السامعين هذا الكلام كله،

أن يكون لهم قلب صلاة؛ قلب له غيرة على الصلاة، يُصلّون ولهم هدف واضح أمامك، وهدفهم أن لا ينقطعوا عن الصلاة. يكونون أولاد صلاة، يُصلّون الليل والنهار، لا يكفّون عن الصلاة، يجدون في الصلاة مسرّتَهم ولذّتَهم ومسرَّة الآب. لأنَّهم يشعرون أن كل صلاة يُقدِّمونَها لكَ؛ أيُها الآب؛ ترتدّ إليهم نعمة وبركة وفرحاً ونعيماً وسروراً.

علِّمنا الصلاة يا ابن الله، ليست الصلاة التي للأوقات وللأزمنة، بل الصلاة الحيَّة التي تُقدَّم لكَ أنتَ شخصياً بالشكر والبركة والتسبيح على ما صنعتَ من أجلنا.

نَحن نُصلّي إليك، يا رب، على ما صنعتَ، والذي صنعتَه معنا شيئاً يفوق العقل: فنحن كنا أبناء ظلمة، عائشين في الخطية، مسبيين في الموت، مُسلسلين بالحديد، مُطغى علينا بكل طغيان العدو الشرير، جئت إلينا يا رب وأنقذتنا من الظلمة وأسر الخطية، رفعتنا معك، وأخيراً أجلستنا معك في السماوات عن يَمين أبيك.

نعم، لقد صنعتَ عَجَباً، أيُها الرب يسوع المسيح.

اجعل صلاتنا تكون بقوَّة، هذه هي طلبتنا يا ابن الله، قدِّمها للآب. أنتَ الذي صلَّيتَ من أجلنا كثيراً،

نتوسَّل إليك أن تقدِّمنا إلى أبيك لننال حقنا في صلاة مؤازَرة بقوَّة من الله لكي تُقدَّم بالروح القدس وننال رضا من الله ومسرّة.

آمين، اسْمع يا رب واستجب. (٢٠)

---

(٢٠) صلوات الأب متى المسكين ص٢٤٤

قداس الأحد الأول

(مت٦: ١٩– ٣٣)

[لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ، لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً. سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً، وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِماً، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَماً فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ! لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَداً فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ، أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ، أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ].

اطلبوا أولاً ملكوت الله [٢١]

مِن منطوق الآية التي قالها المسيح نفهم تماماً أن ملكوت الله وبرَّه هو أهم ما يعوز الإنسان على الأرض. والمسيح يخاطب العائشين تحت سلطان العالم، أو المنشغلين بهمِّ الدنيا، والمسألة لا تحتمل هنا اختياراً بين حاجات الإنسان في العالم التي تشغله عن أهمّ هدف لحياته الحاضرة والمستقبلة، أي ملكوت الله. علماً بأن كل حاجات الإنسان في العالم تُشتَرى بالغالي والرخيص، أمَّا ملكوت السماء فلا يُشتَرى، إنما يغتصبه الإنسان لنفسه بكل ما أُوتي له من قوة روحية وتمسُّك بالله والمسيح، ووسيلته الوحيدة هي الصلاة والإنجيل والصوم. ملكوت السموات يُغتَصَب، والغاصبون قد وضعوا في قلوبهم أن ملكوت الله هو غايتهم النهائية يختطفونه اختطافاً، لأنه لا يُباع ولا يُشترى، ولا يمكن أن يساوي ملكوت الله أي عطية أخرى، فهو أعظم عطية في الوجود. وقلنا ونقول إنَّ ملكوت الله لا يقابله أي مقارنة أخرى، لأن خسارة ملكوت الله هي الجحيم وهي مثوى الشيطان وكل جنوده وكل من يتبعه.

وقول الآية "ملكوت الله وبرّه"، يعني أن الملكوت لا تطأه نفسٌ غير بارة، فالبر ملاصق للملكوت، والبر يقابله الرفض والحرمان من الله. فالبر أصلاً يليق بالله والمسيح، والأبرار من المختارين يضيئون كالجلد في ملكوت أبيهم. والإنسان البار هو إنسان متعاظم في القداسة يعبد الله نهاراً وليلاً. أمَّا

---

(٢١) من كتاب: مع المسيح ج٢ ص٢٤٦

''ملكوت الله'' فهو بيت الله يَضُمّ أهل الله القديسين، والعائشون في بيت الله الذي هو الملكوت يُسبِّحون الله ويمجدونه ويعطونه كل ما يليق من السجود والعبادة، لذلك فأبناء ملكوت الله هم أبناء الله وحياتهم الجديدة مستترة في المسيح لله.

وقول المسيح اطلبوا ملكوت الله يتضح منه أن ملكوت الله، ولو أنه يُغتصب اغتصاباً والغاصبون يختطفونه، إلاّ أنه في ذات الوقت هو أعلى من كل ما يُعمل. لذلك، إذ يبقى أنه عطية يلزم أن تُطلَب، فإضافةً إلى أنه في متناول الإنسان البار ولكن يبقى أنه يلزم طلبه بإلحاحٍ الليل والنهار، لأنه على مستوى الله وليس الناس.

ويذكر المسيح المعوقات التي تُعوِّق الإنسان من طلبه الملكوت وجهاد النفس لامتلاكه، فمثلاً يضع المسيح الانشغال بالأكل والشرب إلى الدرجة التي لا يتبقَّى لله الزمن الكافي لطلب الملكوت، لهؤلاء يقول المسيح: "أُنظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن" ولكن الله يُقيتها، فبالأولى يُقيت مختاريه. وأيضاً الاهتمام بالألبسة، يقول المسيح أُنظروا زنابق الحقل إنها لا تتعب ولا تغزل والله يلبسها أفضل مما كان يلبسه سليمان في كل مجده. ولكن قصد المسيح هنا ليس على هذه الأمور على الإطلاق، ولكن أن نُعطي لملكوت الله اهتماماً خاصاً، لأنه عطية سماوية تختص بحياتنا الأبدية وعلاقاتنا مع الله.

والمسيح بعد كل هذا يقدِّم لنا تأكيداً إلهياً أنه إذا انشغلنا حقاً بملكوت الله فإنه يَعِدنا بتوفير أعوازنا من مأكل ومشرب وملبس، لأننا أفضل عنده من

الطيور، وأعزّ من زنابق الحقل.

وهكذا يطالب الله الإنسان أن يهتم ويسعى ويطلب ملكوته أولاً وقبل كل شيء، والعجيب أن الله يتعهد في مقابل ذلك أن يهتم بمطالب الإنسان الأخرى، وإنها صفقة رابحة جداً لحساب الإنسان. ولكن إن جاز القول فهي صفقة أكثر ربحاً لدي الله، فالله يطلب ملء ملكوته. ونسمع من المسيح نفسه قصة الرجل الثري الذي عمل وليمة لأصدقائه، وأرسل خدمه يدعوا الناس لكي يجيئوا إلى الوليمة، فلما دعا الدعاة الناسَ، جاءوا وقالوا لصاحب الوليمة، إن في بيته أمكنة فارغة كثيرة، فقال لهم: اذهبوا خارج السياجات، أي غير المؤهَّلين الذين لا نعرفهم، ودعوهم يدخلون حتى يمتلئ بيتي.

فانظروا وتأملوا أيها الأحباء: الله يُطالب أن يمتلئ ملكوته، والغريب بل والعجب أنه يتغاضى عن اللياقة البشرية، فالمساكين والفقراء والعرايا ومقطوعو اليدين والرجلين مدعوين تماماً على مستوى العظماء والأكابر! فلا تحظى الملابس أو اللياقة البدنية والمظهر الخارجي بأي أهمية عند الله في اختيار مدعوِّيه إلى ملكوته.

فارفع رأسك أيها القارئ ولا تنظر لأي قُصور أو نقص عندك، لا شكلاً ولا موضوعاً، فطلب المسيح يتركز في دخولك ملكوته، وهو مستعد أن يتغاضى عن أي نقص أو عيب فيك، فهو كفيل أن يُعيد هيكلك الجسدي ليكون على أعلى لياقة، وهو قادر أن يُكمّل كل نقص في سلوكك وأخلاقك، فلا تهتم بما ينقصك ولكن اهتم بالدرجة الأولى بطلب

ملكوت الله وبرّه.

وبرّ الله قادر أن يغطي الإنسان كله بالمجد والبهاء، فلا تنظر إلى دناءة مولدك أو مركزك فالله قادر أن يرفعك إلى مستوى ملائكته، فتعالَ وتعالَ وتعالَ، ولا تنظر قط لاستحقاقك، لأن حق الله إذا قَبِلَك، يجعلك تصير كفؤاً كفاءة الشاروبيم والساروفيم. والعجيب أن الله لا يأمرنا بأي عمل يمكن أن يزيد لياقتنا لملكوته، ولكنه اقتصر على حثّنا أن نطلب ملكوته وبرّه أولاً وقبل كل شيء، وهو كفيل حقاً في رفعنا إلى مستوى اللياقة التي تليق بملكوته.

صلاة

أعطنا يا رب ودَرِّبنا كتلاميذ ليسوع المسيح، كيف نُقدِّم البذل حتَّى الصليب، كيف نُقدِّم البذل الجسدي، البذل بالحب الصادق على مستوى العمل حتَّى الصليب. لا يبقى لنا شيء في ذاتنا لأنفسنا، أنفسنا كلها تكون على مستوى كل فعل، بل فعل واحد هو فعل العطاء بغَيْر قيد ولا شرط حتَّى ولو وصل بنا إلى حافة الموت.

يا رب، هذا هو الطريق الذي أعطيتنا مثالاً، فأعطنا أن نتبعه من كل قلبنا، بتسبيحنا الذي لا يكُفّ الليل والنهار، وبأعمال عرق الجبين الذي يتحوَّل في كل قطرة إلى تسبيح وإلى شكر يدوم إلى الأبد.

باركنا يا رب بكل بركة روحية من عندك في السماء لنكون أولاد حبّ، تلاميذ حبّ، كل أيام حياتنا حتَّى النَّفَس الأخير. (٢٢)

---

(٢٢) صلوات الأب متى المسكين ص١٦١

الأسبوع الثاني
من الصوم المقدَّس

يوم الاثنين من الأسبوع الثاني

(لو ١٨: ١-٨)

[وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ قَائِلاً: كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لاَ يَخَافُ اللهَ وَلاَ يَهَابُ إِنْسَاناً. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي. وَكَانَ لاَ يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلكِنْ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَخَافُ اللهَ وَلاَ أَهَابُ إِنْسَاناً، فَإِنِّي لأَجْلِ أَنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي، أُنْصِفُهَا، لِئَلاَّ تَأْتِيَ دَائِماً فَتَقْمَعَنِي. وَقَالَ الرَّبُّ: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعاً! وَلكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟]

الأرملة وقاضي الظلم (٢٣)

إنجيل هذا الصباح هو عن قصة ذات توجيه قوي تحث الإنسان على اللجاجة في الصلاة، وموضعها هنا في غاية المناسبة، لأن الحديث عن مجيء ابن الإنسان وصعوبة تلك الأيام، ومباغتة الله للبشرية وهي لاهية عن خلاصها - أمر مرعب. ولا توجد أية وصية من المسيح يعطيها لتلاميذه ومحبِّيه قبل أن يغادرهم لغيبة طويلة جداً مثل وصية اللجاجة في الصلاة. وهنا يوجِّه المسيح بشدَّة إلى المداومة والإصرار وعدم الملل من الصلاة، بالإضافة إلى الرجاء الذي يؤازر الإنسان في حياته إلى أن يجيء.

---

(٢٣) الإنجيل بحسب القديس لوقا ص ٦٠٩

والقضية يقدِّمها المسيح في شكلها الرسمي: قاضٍ ظالم، والمعنى هنا مرتشٍ، وامرأة أرملة فقيرة لها مال عند جارها الغني الذي يعرف كيف يغيِّر الذمم، وهي تريد مالها وهو لا يريد إعطاءها مالها. ذهبت تشتكي لدى القاضي فقفل لها الأُذن اليمنى ثم اليسرى، ولكنها كانت لحوحة، والمرأة اللحوحة لا يغلبها غالب، فاستمرت تشتكي واستمر القاضي يؤجِّل القضية. وفي النهاية ضرب بالرشوة عرض الحائط وأنصفها من خصمها. والرب لا يشير في هذه القصة إلاَّ إلى لجاجة المرأة كيف غلبت خصمها وقاضي الظلم معاً. ثم يضع المقارنة البديعة بين قاضي الظلم وقاضي العدل. فإن نجحت اللجاجة لدى قاضي الظلم؛ فكم تعمل مع قاضي العدل بل الرحمة بل الحب والحنان والرأفة؟

في هذه القصة نجد لمحة عابرة عن إمكانية مجيئه سريعاً أو ذهابنا إليه أيضاً، إذ تتضمن القصة أنه بالرغم من أن الله يتمهَّل على مختاريه إلاَّ أنه يستجيب "سريعاً". فسريعاً هنا تعني فجأة وعلى غير توقع.

«وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ».

هنا المسيح يقصد أن نستمر في الصلاة، بمعنى أن لا نبطل الصلاة من حياتنا، لأن «كل حين» لا تعطي معنى الصلاة المحدَّدة في زمن معيَّن بل في كل أزمنة حياتنا، لا كصلاة طويلة واحدة؛ بل صلوات تملأ كل الأوقات. فتصير الآية: ينبغي أن يُصلَّى كل حين وليس كل اليوم. فالصلاة تملأ حيِّزها كل يوم دون أن يمل الإنسان ويقطع الصلاة.

ولقد أخذها آباؤنا بمعنى الصلاة الدائمة فأتقنوها فعلاً وصاروا جبابرة الصلاة. ولكن هنا يلزم التخصُّص أي أن يتفرَّغ الإنسان للصلاة. وهم فعلاً تفرَّغوا للصلاة وامتلأت حياتهم بالله وعاشوا وكأنهم في السماء وليس على الأرض، واختبروا اختبارات روحية عالية. ولكن هذا النوع من الصلاة ليس على مستوى الجميع بل للذين قد أُعطي لهم. والقصد الأساسي من هذه الوصية أن لا يشعر الإنسان بغياب المسيح ولا أن يقلق ويشتهي أن يراه آتياً على السحاب، لأن الصلاة الدائمة تجعل الإنسان يحيا حياة العشرة مع الرب ولا يشعر إطلاقاً بالحاجة إلى رؤية المسيح قادماً، بل يكتفي بالإحساس بوجوده الدائم معه.

وهكذا يبتدئ الإنسان أن يراجع نفسه في إلحاحه باستعجال مجيء المسيح، بأن يشعر أنه ليس محروماً منه بل يتمتع بوجوده على الدوام. لذلك القول بأن المسيح قد تأخَّر عن مجيئه كثيراً هو إحساس ناتج من ضعف الصلاة وعدم الاستمتاع به في حياتنا بالالتصاق القلبي به، أو لهفة لرؤياه!!

لذلك فإنه بأمرين نملأ الوقت الذي يفصلنا الآن عن يوم مجيء المسيح: ١- الرجاء الذي لا ينقطع على أساس صدق المسيح أنه آتٍ آتٍ، ٢- والصلاة للاتصال بالمسيح نفسه.

«وَقَالَ الرَّبُّ: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعاً! وَلكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيْمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟»

المسيح بعد أن وصف قاضي الظلم بالظلم وعدم المبالاة والمماطلة في الحكم وعدم مخافة الله؛ بل وعدم هيبة إنسان، إلا أنه بالرغم من كل هذا حكم بالحق للأرملة المظلومة، ثم عاد ووضعه في الموازنة مع الله ومع مختاريه الصارخين إليه بالصلاة والدموع، نهاراً وليلاً، طالبين الروح القدس أو إخراجهم من دائرة العدو الذي يلطم فيهم يميناً ويساراً. هل ينصفهم؟ نعم ينصفهم سريعاً!!

وهنا يزكّي المسيح صراخ الصلاة نهاراً وليلاً، وهو يطلبها طلباً وهو عالم تكلفتها، ولكنه عالمٌ أيضاً بمفعولها في السماء. والمسيح يضعها معادلة: *الصراخ طويلاً إزاء السماع سريعاً*.

ولكن لئلاَّ نفقد سياق الكلام، فالمسيح أعطى هذه القصة وعلَّق هو عليها أنه سامع الصلاة، ذلك في مضمون غيابه بعد الانطلاق إلى فوق وطول السنين التي سيتأنَّي علينا ببقائه فوق حتى نُحوِّل ضيقنا في العالم إلى صلاة، ونعزِّي أنفسنا عن غيابه بجعل الصلاة ليل نهار، بمعنى أن نملأ سنين غيابه صلاة لأنها هي التي تجعلنا مستعدين لقدومه.

المسيح في ختام هذا المثل يسأل باسمه كابن الإنسان هل حينما يأتي يجد الإيمان على الأرض؟ جملة حزينة تحمل توقع الرب بحدوث ارتداد: «لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً». لذلك هو جعل وسيلة الصمود الوحيدة هي الصلاة كل حين، أعطاها لنا كقارب النجاة في طوفان الارتداد.

صلاة

إلهنا الصالح السماوي، أبانا الحي،

نتوسَّل إليك ألاّ تكون لنا صلاة ميِّتة بعد اليوم.

أشعِلْ روحك القدوس في قلوبنا لتكون الصلاة كبخور على جَمر نار ترتفع بسرعة وبكثافة هائلة،

كسحاب يرتفع ويرتفع ليدخل إلى حضرتك التي في السماوات.

لا تجعل لنا صلاة ميِّتة لئلاّ نُدعَى بنِي الموت.

نحن أحياء فيك يا ابن الله، نحن أحياء لك يا أبانا السماوي.

لا ينبغي لنا أن يكون لنا صلاة ميِّتة. لابدّ أن نصلّي بالروح،

وإن لَم يكن لنا روح؛ فكيف نُدعَى أبناء؟ لِماذا دعوتنا أولاداً، يا الله، إن لَم يكن روحك فينا؟

نتوسَّل إليك بكل وسيلة، نحن لا نريد أن تكون لنا حياة على الأرض.

نحن؛ الموت لنا أفضل من الحياة؛ إن لم يكن روحك القدوس فينا. لأنه إن لم يكن روحك القدوس فينا، فنحن أموات. والموت الجسدي أفضل لنا من الموت الروحي.

أهذا يرضيك، أيُها الآب السماوي، أن يكون لك أبناء يعبثون على الأرض بالموت وفى الموت ويَحكم عليهم الزمان بالموت؟

أيرضيك يا ابن الله أن تكون لنا صلاة ميِّتة؟

كيف تسمح بِهذا يا ابن الله؟ لا نريدك أن تسمح بهذا مرةً أخرى.

لا نريدك أبداً أن ترضَى أن يكون لنا صلاة ميِّتة.

فالآن نتوسَّل إليك، أشعِل روحك القدوس فينا، أشعِله في القلب لكي تلتهب الصلاة بغيرة؛ بفرح؛ باشتياق؛ بأمانة مطلقة.

لا تحسبنا بنِي الموت، بعد أن نلنا الحياة بِموت الابن على الصليب.

نحن إلى الآن نَحكُم على أنفسنا، بشهادة صلواتنا أمامك.

نحكُم على أنفسنا، أننا لا زلنا بنِي الموت، ورائحة الموت تفيح من أفواهنا ومن قلوبنا ومن أفكارنا. كلها تشهد أننا لسنا أبناء الحياة.

اجعل صلاتنا تكونِ بقوة، هذه هي طلبتنا، يا ابن الله، قدِّمها للآب.

أنت الذي صليت من أجلنا كثيراً، نتوسل إليك أن تُقدمنا إلى أبيك لننال حقنا في صلاة مؤازرة بقوة من الله،

لكي تُقدَّم بالروح القدس، وننال رضا من الله ومسرة. (٢٤)

(٢٤) صلوات الأب متى المسكين ص٢٢٣

يوم الثلاثاء من الأسبوع الثاني

(مر ١٠: ١٧-٢٧)

[وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ، رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلُبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هذه كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي». فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ، وَقَالَ لَهُ: «يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ». فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِيناً، لأَنَّه كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتلاَمِيذِهِ: مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ أَيْضاً وَقَالَ لَهُمْ: «يَا بَنِيَّ، مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!» فَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ: عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ].

الشاب الغني وتبعية المسيح (٢٥)

نحن هنا أمام إنسان كامل من جميع ما يُطلب من الإنسان اليهودي، فهو مؤدَّب ويحترم المعلمين، وهو كما سنرى حفظ الناموس كله منذ حداثته، أمَّا كونه ذا أموال كثيرة ففي اليهودية هذا يُعتبر نجاحاً ليهوديته

(٢٥) الإنجيل بحسب القديس مرقس ص ٤٤٢

وتوفيقاً من الله ومجالاً كبيراً لعمل الخير والصلاح. كذلك واضح أن هذا الغني الذي حفظ الناموس يعرف جيداً أن هناك حياة أبدية يرثها الذين أكملوا الناموس، فهو يسأل عمَّا يعمله أكثر من حفظ الناموس ليرث الحياة الأبدية. إلى هنا لا نجد غباراً على هذه الشخصية اليهودية التي تسعى نحو الحياة الأبدية. وهو حينما جثا أمام المعلِّم أعلن جهاراً الطاعة الكاملة والخضوع لكل ما يشير به المعلِّم، ودعاه صالحاً توقيراً منه لمعلِّمه منتظراً المشورة لما يعمله بعد أن أكمل الناموس، وكان أمله أن يدلَّه على عمل يكمِّل الناموس باستخدام ثروته، ولا مانع إذا كان يأخذ منها المعلِّم شيئاً نظير مشورته. فابتدره المسيح بأن رفض لنفسه لقب الصلاح كمعلِّم، فالصلاح لله وحده وليس للمعلِّمين.

«فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ، وَقَالَ لَهُ: يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ».

هذه أول مرَّة في الأناجيل يُصرَّح أن المسيح أحب إنساناً، وحينما يقول الإنجيل إنه أحبه فيعني أنه أحبه، شاب غني يحفظ الناموس باهتمام منذ صباه ويذهب وراء المعلمين يسأل باهتمام ماذا أعمل بعد حفظي الناموس حتى أرث الحياة، هذا نموذج فريد لا يمكن أن نجد في كلامه أو سلوكه أي خطأ.

ولكن للأسف لقد أخفق الفتى فيما أخفقت فيه إسرائيل كلها، لقد سحرها مالها وغناها ونسيت إلهها وعبدت كل ما عداه، ولكن إسرائيل

جاءها المسيح يطلب ودَّها فرفضته، وذبحته، وهذا الغني جاء يطلب ودّ الله ولكن كان قد اقتنى مالاً كثيراً فحجزه عمَّن أحبَّه.

«اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء، فيكون لك كنـــز في السماء»

عملية تحويل بديعة وناجحة ومربحة بالدرجة الأُولى، تحويل مدخراتك من بنك الأرض إلى بنك الأرصدة المرصودة لحساب الحياة الأبدية ومقرّه السماء، حيث لا ينقب سارقٌ ولا يفسد سوس بأرباح مركَّبة.

المسيح هنا يقدِّم المشورة الناجحة للغني الساعي لميراث ملكوت الله، والمسيح لا يقدِّمها من فراغ بل يقول وهو الضامن لما يقول، وأمر يسوع يخرج مدعَّماً بقوة على التنفيذ، فمهما كان الأمر صعباً وشبه مستحيل ففي أمر المسيح ضمان التنفيذ والنجاح، لأنه لم يعد قولاً عادياً، بل أمراً يتحمَّل المسيح شخصياً لا نجاحه فقط بل ويتحمَّل أيضاً كل مسئولية تنشأ أثناء التنفيذ وبعد التنفيذ، لأنه لم يصبح أمراً عادياً بل رهاناً على مصداقية المسيح! فكل مَنْ سمع وآمن وأطاع ونفَّذ يتحقَّق من مصداقية المسيح، ويرى ويعاين مجده «إن آمنتِ ترين مجد الله».

«وتعال اتبعني حاملاً الصليب»

إن هو حقـــاً باع وألقى بنفسه على رجاء أمر المسيح؛ يحمله المسيح ويضعه على الطريق! وإذ يكون قد تحرَّر من حمله الثقيل يستطيع أن يسير ويتبع المسيح. والذي باع كل ما له لم يعد له ما يستحق أن ينظر وراءه، ففي الحال يرى السماء مفتوحة، ويأتي إليه مَنْ يضع علامة العبور على كتفه.

«فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِيناً، لأَنَّه كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ»

لقد سحر المال ذلك الغني فقيَّمه بأكثر من الحياة الأبدية التي جاء يطلبها ودلَّه عليها المسيح! لأنه لمَّا وازن بين المال والملكوت زيَّن له العدو عظمة الغنى في هذا الدهر، فانطفأت جذوة الحياة الأبدية من قلبه فاغتمَّ ومضى حزيناً على أشواق ذهبت ولن تعود. وهذا هو الغم الذي اشتراه بأمواله، وهذا هو الحزن الذي ورَّثه له غناه!

«فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ».

هنا القديس مرقس ينقل عن شاهد عيان دقيق الملاحظة يستطيع أن يقرأ الحركات والسكنات ويحوِّلها إلى لغة وأوصاف. فالمسيح هنا ينظر حوله ليستطلع مدى تأثر التلاميذ بالدرس العملي الذي ألقاه عليهم على مستوى وسيلة الإيضاح. فالشاب الغني كاد يبكي على حال غناه إذ جعله المسيح يقف موقفاً حاسماً من نفسه: المال أم الملكوت؟ فاختار المال ومضى مغموماً حزيناً!! وكأن المسيح يقول لهم بنظراته: أسمعتم ورأيتم كيف وقف المال عثرة كؤود في طريق الملكوت؟ وبعدها قال حكمه الإلهي: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله».

«فَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟»

كلام المسيح لا يخضع لمنطق العالم، والخلاص أيضاً لا يخضع لمنطق أبناء هذا الدهر، ولكن باستطاعة الله أن يخلِّص الغني ويخلِّص كل إنسان، إن هو

سمع صوت دعوة الله. وكل إنسان يتعذّر خلاصه إن هو أراد أن يخلِّص نفسه، ولكن إن سلَّم حياته للمسيح خَلُصَ: «آمن بالرب يسوع فتخلُص أنت وأهل بيتك».

وأخيراً نقول: الخلاص ليس في يد إنسان بل في يد الله، فلا نستطيع نحن أن نُدبِّر الخلاص لأنفسنا. فالخلاص هو باستطاعة الله وحده، لذلك من الخطأ بل والخطية أن نسأل مَنْ يستطيع أن يخلُص؟ لأنه لا يستطيع الإنسان أن يُخلِّص نفسه، هذا باستطاعة الله وحده خلواً من غِنى أو فقر. شيءٌ واحد تعلَّمناه من درس هذا الغني أنه إن لم يبِع الإنسان كل ماله ويعطي الفقراء ويتبع المسيح حاملاً صليبه، فعسير عليه أن يخلص!

صلاة

أنتَ، أيها المسيح يسوع، ساكنٌ فينا.

أقْنِعْ قلوبنا قناعةً حتَّى لا ننسحب مرّةً أخرى لفكر شيطان يضحك علينا، كما قال بولس: "نَحن لا نَجهل أفكاره".

افْتَح ذهننا، يا ربِّي، لندرك مقدار خبثه، كيف يَجرّنا خارج جسدنا الجديد ليمرِّغنا في التراب، مع أننا نعيش فيك وليس له سلطان أن يَنْزَعنا منك.

نحن بالروح نعيش وإلى النهاية، لنراك في السماء ونتمتَّع بك ونتمتَّع بقوّة صليبك الذي جعلنا نَعبُر هذه الضيقات كلها.

ليتمَجَّد اسْمُك في هذا الجيل،

ليخرج من ظلمة الشيطان ومن خبثه، ليدخل في نور أمْجادك السماوية

مرةً أخرى،

ليعرف قيمة ما صنعتَ من أجلنا على الصليب،

لنعود مرةً أخرى إليك كأبناء ويسمعوا في قلوبهم صوت الروح القدس وهو يشهد لَهم أنَّهم أولاد الله وورثة للآب في المسيح.

هؤلاء المدعوون لِهذه النعمة لا تَجعلهم أبداً يَخضعون لصوت الشيطان في يوم من الأيام.

كُنْ لَهم نصيراً في وقت الضيق،

ارْفَع عنهم كل تصوّر كاذب،

احْفَظ عقولَهم من الشرِّ، بل اجعلهم يُقدِّمون لك ذبيحة عقلية ثابتة مَجيدة كريمة أمامك.

هذا هو سؤالي اليوم أمامك يا ربّ. (٢٦)

(٢٦) صلوات الأب متى المسكين ص٢٦٥

يوم الأربعاء من الأسبوع الثاني

(مت١٥: ٣٢- ٣٨)

[وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْرِفَهُمْ صَائِمِينَ لِئَلاَّ يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ». فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «مِنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خُبْزٌ بِهذَا الْمِقْدَارِ، حَتَّى يُشْبِعَ جَمْعاً هذَا عَدَدُهُ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ وَقَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ». فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَالسَّمَكَ، وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ، وَالتَّلاَمِيذُ أَعْطَوُا الْجَمْعَ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ سَبْعَةَ سِلاَلٍ مَمْلُوءَةٍ، وَالآكِلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلاَفِ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ].

معجزة السبع خبزات هي معجزة إفخارستيَّة (٢٧)

إنجيل اليوم عن معجزة السبع خبزات، وهي صورة طبق الأصل من معجزة الخمس خبزات. يهمنا أن نرى هذه المعجزة من الوجهة الإفخارستية. كانت الكنيسة منذ العصور الأولى تعتبر أن معجزة الخمس خبزات أو السبع خبزات أنها رمزاً إفخارستياً. ووجدوا رسوم السلال أو الأطباق في سراديب روما عليها رمز الخمس خبزات والسمكتين فوق المائدة. فالمعجزة إفخارستية من الدرجة الأولى.

أول ما يظهر فيها، هو المسيح، في موقف إلهي: «إني أشفق على

(٢٧) عظة على إنجيل هذا اليوم سنة ١٩٩٠

الجمع»، بمعنى امتلاء الأحشاء من الرحمة. نتذكر هنا نبوة زكريا الكاهن عن يوحنا المعمدان والتي في آخرها يقول: «أحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرَق من الأعالي». أحشاء الله: تعبير جميل كان عسير علينا أن نفهمه في العهد القديم إلا بعد تجسد المسيح. أحشاء المسيح هي هي أحشاء الله. والأحشاء هنا هي امتلاء قلب الله بالرحمة نحو الإنسان.

فأشفق على الجمع، تحولت بالمفهوم الإنجيلي عند ق. بولس إلى: «كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه من أجلها»، إنها هي تماماً: تحنن أو أشفق على الجمع. ولكن ماذا عمل لهم؟ لقد قدم جسده المكسور ودمه المسفوك.

شفقة الله ومحبته لنا ليست هي عواطف، ليست مشاعر ولكنها حب كياني، حب باذل ذاتي. لا تظنوا أن الآب بذل الابن وهو سعيد وبدون أي تأثر. ليس الأمر هكذا. بذله يعني ذبحه. أرجو أن تتصوروا ذلك على مستوى الأبوة والبنوة البشريين، شيء يفوق التصور. فمحبة الآب كلّفته أن يبذل شيئاً من نفسه، ومحبة المسيح للكنيسة كلّفته ببذل ذاته على الصليب.

« الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي»

المسيح يحسب علينا الساعات، إنه يعد لك الوقت الذي أنت جلسته معه. اسمعه ماذا يقول لشعب إسرائيل: «لا أنسى تعبكم ومسيركم ورائي في البرية». المسيح لا يمكن أبداً أن ينسى سجودك وصومك وصلواتك

ودموعك وقرع صدرك، يستحيل! ثم يتابع الرب كلامه ويقول: «ذكرت لك غيرة صباك، محبة خطبتك، ذهابك ورائي في البرية». أُنظروا إلى أي حد كان الله يتأثر ويحسب لشعبه القديم الأيام والسنين. ولكن اعلموا إن مشاعر الله في العهد القديم هي هي نفسها تلك في العهد الجديد.

« أُشفق على الجمع، لهم معي ثلاثة أيام، لا أستطيع أن أصرفهم صائمين»

المسيح يحس بجوعنا. أنت عندما تجوع وبطنك تتلوى، لا تظن إنك جوعان وحدك وتتألم وحدك. أبداً، أبداً، المسيح أحس باحتياجاتهم، جوعهم هو يعرفه، يشعر به. هنا التعبير سري.

فلئلا يخوروا في الطريق، سوف أحضر لكم إفخارستيا. الطريق من الأرض إلى السماء وعر، وعر جداً، والنفس ربما تخور وتتعثر، ولكن مستحيل أن أخرجكم ورائي وتتبعوني في الطريق وأترككم تخوروا. سأعضدكم بخبز وخمر. إنه خبز تعضيدي للطريق، للذين يريدون أن ينتقلوا من حياة الجسد لحياة الروح.

« وكان الآكلون أربعة آلاف ما عدا الأولاد والنساء »

ربما يصل العدد إلى ثمانية آلاف نفس، خرجوا جميعهم وراءه، لم يكن معهم خبز أو أي شيء أبداً. إنه شعب تعلم قول المسيح لهم أن ينظروا إلي طيور السماء وأن الحياة أفضل من الطعام. في الحقيقة إن الشعب أثبت صدق قول المسيح: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم». خرجوا وراءه وهم على وعي تام بهذه الآية، خرجوا ودون أن يحسبوا لأي

شيء، فكان أن أعطاهم خبزهم، ليست عطية عادية ولكن بوفرة وزيادة.

« أخذ الأرغفة السبعة والسمك وشكر وكسر»

إنه ليس شكر الله، ولكن حسب المفهوم العبري: فهي مباركة الله الآب على عطاياه لنا. والبركة تحولت في المفهوم المسيحي إلى شكر، إلى إفخارستيا، إلى نعمة على العطية التي أُعطيت لنا.

ولكن مَن الذي يشكر؟ المسيح يشكر الله على القمح الذي صار خبزاً. المسيح هنا يستدعي اسم الآب كختم على الخبز المادي الذي من الحنطة ليصير خبزاً حياً نازلاً من السماء. هذا هو الفعل الإفخارستي. فالمسيح شكر، معناها بارك الله على قمح الأرض الذي صار خبزاً سماوياً.

المسيح يقول لهم لا تجروا وراء الطعام البائد بل الطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه، وهو يقصد هنا المسيح وليس الخبز.

الفعل الثاني: كسَّرَ، المسيح هنا يستدعي قوة الصليب مِن وراء الزمن، أو مِن قدام الزمن، ثم يبثها في الخبزات التي على يديه. الكسر هنا رمز للصليب. فهو يبث الخبز الأرضي قوة الصليب، والتي هي قوة الانتقال من الموت إلى الحياة، قوة الانتقال من الجسد المحسوس إلى الجسد السماوي، قوة الانتقال من الخبز الأرضي إلى الخبز الحي السماوي: جسد المسيح الحي.

«فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل عنهم سبعة سلال مملوءة»

واضح أن الشكر والكسر هما فعل واحد إفخارستي، وهذا الفعل الواحد هو السبب المباشر للكثرة الهائلة التي حدثت. أربعة آلاف نفس تأكل بل تصل إلى الاكتفاء والشبع دون حُسبان النساء والأولاد.

هل تريدون أن تروا ذلك بالجسد في حياتنا؟

تأملوا هذا الدير! لقد جئت إليه وكل الذي معي هو ٤٠٠ جنيه فقط في جيبي، والآن انظروا عمل الله العجيب الذي تم فيه. هذا هو فعل إفخارستي.

صلاة

يا ابن الله، يا طبيبنا الشافي، يا طبيبنا الذي تألَّمتَ عنّا وحَملتَ خطايانا وحَملتَ أمراضنا، وحَملتَ أوجاعنا النفسية.

شعبك، أولادك، الذين يُحبونك بالحق،

الذين امتلأوا بهموم العالَم وغرور الدنيا، الذين أصابَهم الوجع في كل مكان: في النفس وفى الجسد،

ليس لَهم خلاص إلاّ بكَ، ليس لهم طبيب إلاّ أنتَ يا ربّ.

أعطِهم شجاعة روحية، أعطِهم توبة صادقة لكي يعرفوا أنفسهم، يعرفوا خطاياهم، يعرفوا كل أوجاعهم ويطرحوها أمامك لكي ترفعها في الوقت المناسب.

آمين، ليتمجَّد اسْمك في كنيستك من الآن وإلى أبد الآبدين، آمين. (٢٨)

---

(٢٨) صلوات الأب متى المسكين ص٥٩

يوم الخميس من الأسبوع الثاني

(مت١٩: ١٦- الخ)

[وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟» فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِيناً، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ». فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ: «إِذاً مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ». فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ].

تبعيَّة المسيح[٢٩]

الشاب هنا يسأل المسيح قائلاً: «**أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لأرث الحياة الأبدية؟**»

هنا المسيح يُوجِّه اعتراضين على السؤال. الأول: الصلاح الذي يعمل، فالمسيح اعترض عليه، مثلما اعترض على نيقوديموس عندما جاء إليه وقال له:« أيها المعلم نعلم أنك أتيت من الله، لأنه لا يستطيع أحد أن يعمل هذه الأعمال إن لم يكن الله معه»، فهنا المسيح ارتفع بالفكر له ولنا ولكل الدهور أن المسألة ليست معلماً أو تعليماً؛ ولكن الأمر يتعلق بالله وملكوته. فالمسيح يستنكر عليه رؤيته المنخفضة له، فهو لم يقبل على نفسه أن يكون مجرد معلم صالح؛ فالصلاح هو لله وحده.

والاعتراض الثاني هو أن المسيح أراد أن يرتفع بالرؤية حتى عن مستوى النظر إليه؛ بل تكون النظرة منطلقة إلى الآب أولاً، فالله الآب هو الذي يفتح الطريق لمعرفة المسيح، فالمجيء إلى المسيح هو عن طريق الآب.

«إن كنت تريد أن تدخل الحياة؛ فاحفظ الوصايا»

هذه هي الخطوة الأولى. لم يقل له المسيح: اعمل الوصايا؛ ولكن: احفظها، بمعنى: صُرَّها في خزانة قلبك، فالعمل بحد ذاته لا يدخله الحياة الأبدية، ولكن الحفظ هو الأهم، وهو الذي يؤدي إلى العمل، وليس العكس. كثيرون يعملون أعمالاً لا نهاية لها، ولكنها للأسف لا تُحسب

---

(٢٩) من سلسلة عظات: هجرة المسيحي، الصوم الكبير سنة ١٩٨١.

لهم. كثيرون باعوا كل شيء، قدَّموا جسدهم حتى الاحتراق، ولكن لأن ليس لديهم محبة؛ فلا يُعتد بعملهم. فالمحبة هنا فعل داخلي، وليس عملاً ظاهرياً، والفعل الداخلي هو الذي يعمل الأعمال.

+ وهنا اعترض الشاب وقال: «**هذه كلها حفظتها منذ حداثتي**».

في الحقيقة هذا افتراء محض، فلو كان هذا الغني فعلاً قد حفظ الوصايا وعمل بها؛ لكان أصبح منذ زمان يتبع المسيح كتلميذ، وليس كشخص يسأل ماذا يعمل!

+ سأله الشاب: «ماذا ينقصني بعد؟»

إنه ينقصه كل شيء، ينقصه الشيء الواحد الذي يوصِّل إلى الكمال، إنه التبعية، إنه الأساس، هذا هو الكمال. أما كونه يبيع كل شيء؛ فهذا هو الاختبار والمحك لصحة التبعية.

في مزمور: "الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء"، لماذا يُصرِّح المُرنِّم أنَّه غير مُعْوَزٍ لشيءٍ؟ ذلك لأنه يسير وراء المسيح، تماماً كالحمل الصغير الذي يسير وراء راعيه، يتبعه أينما سار، لذلك هو في حالة من الاكتفاء والأمان.

والتطبيق لهذا المزمور: أن ضمان هذا الشاب الوحيد لدخوله الحياة الأبدية والملكوت، هو تبعيته الكاملة للرب.

وتطبيق آخر للمزمور هو قول التلاميذ بفم القديس بطرس: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا»، هنا الرب لم يعترض، بل وعدهم قائلاً: «أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان

على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً».

ولكن الرب حذَّر التلاميذ، ونحن معهم، أن: «كثيرون أولون يكونون آخرين، وآخرون أولون»، تماماً كما قال لهم: «من أراد أن يكون سيداً فليكن عبداً؛ ومن أراد أن يكون أولاً فليكن آخراً».

فإن تمسك الشخص بأن يكون الكبير أو العظيم؛ فاعلموا! أنه لن يكون إلا الأخير في الملكوت.

ولكي يؤمِّن الرب مسيرتنا إليه عندما تركنا كل شيء وتبعناه، فلا يكون شبه افتخار أبداً، قال للشاب: «تعال، اتبعني حاملاً الصليب». هنا الصليب ليس صليب الزينة على الصدر، ولكن المحمول في داخل القلب، أي استعداد الموت مع المسيح كل يوم، أي تسليم حياتنا للمسيح لكي نُمات بواسطة النعمة أو بواسطة الروح القدس الذي يُدخلنا في محن أو تجارب أو ضيقات ونحن قابلون! قابلون!

فلنحذر وننتبه جيداً ألاَّ نطلب أجر ما تنازلنا عنه، فالملاحظ جداً بحسب الواقع والتاريخ: أن ليس كل من ترك أمواله وتبع المسيح خَلُصَ، وليس كل من ترك أمواله وسار وراء المسيح استطاع أن يحمل الصليب، لأنه، للأسف، الكثير منهم كان يطلب الأجر.

فإذا أردنا أن نسير على الطريق الموصِّل للسماء في رحلة الخلود أو الهجرة من الوطن الأرضي الفاني إلى الوطن السماوي الدائم للأبد، فلابد أولاً من حفظ الوصايا في الكنـــز الداخلي في القلب. أمَّا العمود الفقري

الذي يحملك في الطريق، ولا تحمله أنت، فهو أن تكون فعلاً من كل قلبك قد بعت كل شيء في هذا الدهر، وتبعت المسيح بنية كاملة حتى الموت، أي تحمل الصليب.

أخيراً نقول: إنه ليس عن دون قصد أن يتكرر هذا الإنجيل مرتين بيد مَن وضعه من آباء الكنيسة: اليوم ويوم الثلاثاء الماضي، في بداية الصوم.

فطوبى للإنسان الذي بدأ طريقه حاملاً الصليب، وباع كل شيء، بل هو مستعد أيضاً أن يبيع كل شيء وباستمرار على مدى الطريق لكي يضمن الوصول.

صلاة

ربنا المحبوب يسوع، إله الدهور وصخرها الأساس الدائم الذي لا يتزعزع قط.

يا مَنْ دعوتَ أبانا إبراهيم من أور الكلدانيين وأبانا أنطونيوس من قمن العروس، كلٌّ في زمانه وكلٌّ في جيله، وأطاعاك بكل طاعة القلب، واكتشفا فيك كل غِنَى مُمْكن أن يشتهيه قلب الإنسان للحياة الأبدية.

نتوسَّل إليك أن تصلنا الدعوة مُجدَّدة، لأننا دُعينا وفى الدعوة نحن مقيمون، بل وفى النعمة نحن مقيمون. ولكن نتوسَّل إليك أن تتجدَّد الدعوة في قلوبنا، أن نخرج خروجاً جديداً مُجدَّداً من عالمنا الذي بنيناه لأنفسنا كذباً؛ من تصوّرات قلبنا؛ من شهوات قلبنا؛ من آمالنا الكاذبة ومن تَمنِّياتنا الردية ومن ميولنا المنحرفة ومن كسلنا ومن ضعف جسدنا ومن كل الأعمال التي عملناها في جهالة. لأن هذا هو العالَم الذي بغضتَه أنتَ وقلتَ: "أنا قد غَلَبتُ العالَم". غَلَبتَه في هذا كله: في شهواته، في ضعفاته، في خطاياه، في رئاسته الكاذبة، الذي أراد

أن يبيعك الصليب بمَجْد مؤقت؛ بسجود كاذب.

نتوسَّل إليك أن تصلنا الدعوة مُجدَّدة، أن نخرج خروجاً جديداً من عالمنا الميت لكي نتبعك، أيها الرب يسوع، من كل قلبنا، لحَياة جديدة، على أساس أنه طريق غَيْر مَبْنى على أفكار بشرية ولا على أصول مادية ولا حقوق بشرية، ولكن مَبْنى على عطايا ومواهب سَماوية وتعليم وتأديب سماوي، مَبْني على ضيق وقَتي وراحة أبدية.

فاجعل لنا القبول يا ربِّى بهذه الكلمات لكي يكون دخولنا لملكوتك عن سعة حسب الوعد، لأن كل مَنْ قَبلَ كلمتك عاش، لأن كلمة الرب كل مَنْ يسمعها ويطيعها يعيش، يعيش ويحْيا.

فاجعل طاعة قلبنا لكَ بلا شك ولا انقسام في هذا اليوم، لنبدأ أياماً جديدة حلوة كلها سَهَر وكلها تواضع وكلها حب وخدمة وصوم وكلها بذل صادق في يقين الأُخُوَّة التي جَمَعْتَنا فيها بمحبة صادقة من قلب طاهر عديم الغش، لكي تكون سيرتنا مقبولة أمامك ومقبولة أيضاً في العالم، لأنك بمَنْ تشهد إلاّ بالذين يشهدون لكَ يا رب.

اجعلنا نجحد كل خزي خفايا القلوب التي عشنا فيها بعيدين عنك، لكي نقبل قلباً مُجدَّداً مستقيماً طاهراً يستطيع أن تُكتَب فيه كل وصاياك بكل يقين المحبة وكل يقين الإيمان والرجاء. حياة مُجدَّدة في اسْمك يا ربِّى من أجلنا جميعاً: من أجل كنيستك؛ ومن أجل رئيس كنيستك الأنبا شنوده؛ ومن أجل مطارنتنا كُنْ فيهم؛ ومن أجل الكهنة؛ وكل خدامك الذين يكرزون باسْمك في كل مكان.

أعطنا يا رب حياة جديدة مُجدَّدة في اسْمك، وأياماً مباركة في كنيستك، ليتقدَّس اسْمُك فيها دائماً، كما كان في البدء كذلك وإلى آخر الأيام.(٣٠)

---

(٣٠) صلوات الأب متى المسكين ص٣٦

يوم الجمعة من الأسبوع الثاني

(لو٦: ٣٩- ٤٩)

[وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً: هَلْ يَقْدِرُ أَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى؟ أَمَا يَسْقُطُ الاثْنَانِ فِي حُفْرَةٍ؟ لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ. لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ: يَا أَخِي دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِكَ، وَأَنْتَ لاَ تَنْظُرُ الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ. لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِيناً، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَباً. اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ. وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟ كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلاَمِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبِهُ: يُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتاً، وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ. وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ، فَيُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دُونِ أَسَاسٍ، فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالاً، وَكَانَ خَرَابُ ذلِكَ الْبَيْتِ عَظِيماً].

عمل كلمة الله في الإنسان [٣١]

«**كل من يأتي إليَّ ويسمع كلامي**»، هذه هي النقطة الأساسية في إنجيل هذا القداس: « **كلامي** ».

كلام الله حلو في الفم، لذيذ للنفس جداً، شهي للعقل الذي يتفحص فيه، بها عزاء وقوة فعَّالة هائلة؛ وفي نفس الوقت مكتوب عنها «كلام الله كنار وكمطرقة تحطم الصخر»، ولكنها بدون عمل الإنسان لا تساوي شيئاً، تبقى عاطلة، عاجزة.

كل كلام يخرج من فم البشر هو مُسجل ومحفوظ، ونحن جميعنا سنعطي حساباً عن كل لفظ قلناه. وعندما نصعد للسماء ستنكشف كل كلمة قلناها. فإن كان كلام الإنسان يتسجَّل هكذا ولا يضيع؛ فكم وكم تكون كلمة الله التي نسمعها وتدخلنا ستكون باقية ومسجلة على صفحة الأزل! يقول المسيح: «**السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول**». كلام المسيح أزلي، قيل في الزمن ولكن الأزلية سجَّلته، ونحن سنقف يوماً أمام كرسي المسيح ويعطي كل واحد بحسب ما عمل خيراً أم شراً، والمسيح يقول: «أنا لن أدين أحداً، الكلام الذي قلته هو يدينه»، المسيح لم يأتِ للدينونة، نحن عندما نقف أمام كرسيه لن نلتقيه جالساً على كرسيه متكلماً، ولكن سنراه جالساً ووراءه صفحة الأزل التي تصف وتحكي كل أفعالنا وأقوالنا، وتحكم أنت بنفسك على نفسك.

---

(٣١) عظة على إنجيل هذا القداس سنة ١٩٩٠

«من يسمع كلامي»

السمع هنا ليس هو سماع الأذن، ولكن المسيح يقصد سماع الروح: «من له أذنان للسمع فليسمع»، عبَّر عنه في الرؤيا قائلاً: «ها أنا واقف على الباب وأقرع» يقصد إنه واقف على باب القلب ويصرخ بكلماته. القلب الصاحي ذو الأذن الروحية ينفتح للكلمة في الحال، وتدخل الكلمة بسلطانها كنار وكمطرقة تحطم الصخر. الله لا يطلب أذناً فقط، بل أذناً مع قلب. إذا نحن اكتفينا بالسماع، ستموت الكلمة فينا؛ ولكن إذا تفاعلت الكلمة مع القلب والإرادة؛ فهنا تنصرع الإرادة وتُذبح تحت سلطان سيف الكلمة، مع أنها كانت يوماً إرادة سقيمة ذات مواريث رديئة، ولكنها لا تحتمل نور وقوة الله في الكلمة، فتسقط الإرادة صريعة وتبدأ الكلمة تأخذ مكانها وتسيطر وتسود.

وكما قلنا؛ فإن كلمة الله هي كلمة إلهية، طبيعتها أزلية، نور ونار؛ ولكن ما أبعد الهوة التي بينها وبين طبيعتنا الأرضية؟! كلمة الله نور، وأنا ظلمة؛ ما الذي يجعل الظلمة تطيع النور؟! أنا إنسان محب للكذب ومحب للباطل؛ والكلمة صدق وحق إلهي، تنافر تام بين الطبيعتين. طبيعتان لا يمكن أبداً أن تلتقيا أو تتقابلا. إذن لابد من عامل وسيط، هذا هو ما رأيناه في المسيح عندما تجسد. لابد أن يتحد الإلهي بالإنساني لكي يقدر هذا البشري أن يأخذ من الله، ويقدر الله أن يسود على الجسد. فمن غير هذا الاتحاد يستحيل أن يحدث التغيير.

ولكن لابد من إعطاء الكلمة فرصة لكي تتفاعل مع الطبيعة البشرية، ولابد من التسليم والخضوع الكلي لها. تماماً مثل أنطونيوس: قرعت الكلمة قلبه، فانفتح، فوقع صريعاً لها، لم يستطع الانتظار، باع ما يملك من ميراث، ترك أخته، ترك المكان، باختصار وقع في الأرض ومات، سلَّم الإرادة نهائياً للكلمة.

لابد من عملية دخول الكلمة، كما يقول المزمور: «خبأت كلامك في قلبي» إنها عملية التفريخ، عملية إعطاء الكلمة الفرصة لتتحد بطبيعتنا الساقطة، لكي تتزع منها الرديء وتعطيها الجيد. ليس فقط علينا أن نسمع الكلمة ونخبئها؛ بل كما يقول إرميا: «وُجد كلامك "حلو" فأكلته»، «من يأكلني يحيا بي»، فليس فقط علينا أن نفرح بها، ونحفظها؛ بل تصير لنا طعاماً نأكله، تدخل وتتغلغل داخل الكيان، في كل مناحي الحياة، مثل خميرة صغيرة تُطعِّم إرادته ومشيئته وحبه وعاطفته قليلاً قليلاً، وهنا تصبح الكلمة على قمة عواطفه وعلى قمة مشاعره. هذا الإنسان يبني بيته على الصخر.

من هو الصخر سوى المسيح! الكلمة تثبَّتت على صاحبها، على المسيح حجر الزاوية. وهكذا النفس تُبنى من الداخل يوماً بعد يوم، ساعة بعد ساعة. وهنا النفس ليست هي صاحبة هذا البناء، وصحيح أن البناء ارتفع والناس تنظره، وشكله حلو، ولكن المهم هو الأساس المغمور الذي من أسفل والذي لا يراه أحد، الواصل إلى الصخر، على هذا الأساس المخفي كل أسرار علاقته بالله، أمَّا الناس فهي لا ترى إلا جزءاً صغيراً من أعلى ويتخيل العالم إنك أنت صاحب البيت، ويأتيك الشيطان ويقول لك: ادفع

الضرائب، أنت بنيت بيتاً في مملكتي على أرضي! وهنا تبدأ التجارب من كل الأصناف؛ من الداخل ومن الخارج، تنزل الأمطار، تأتي الأمطار، تهب الرياح، السيول تصدم البيت، لكن هذا ليس بيتي الذي عليَّ أنا أن أحامي عنه، إنه بيته هو. الذي يدافع عنه ويحفظه ويُدعِّمه هو الكلمة الساكنة داخلي.

أما البيت المبني على الرمل، فهو بيت يُحزن القلب، بيت ليس للمسيح، بيت بعيد عن الأساس الصخري، بيت مزخرف من الخارج، مبني فقط لكي يراه الناس. ماذا تظنون: بيت من هو؟؟ إياكم أن تعتقدوا إنه بيت شخص ملحد! أبداً أبداً. إنه بيت إنسان مؤمن من حافظي الآيات، الذين يُصلُّون بالمزامير، ويدرسون الإنجيل، وربما أيضاً يعظون به، ولكن للأسف، الكلمة لم تدخل في الداخل، يبقى بيتاً بلا أساس، ليس مسلحاً، باختصار مبني على الرمال. يزوره الناس وتعجب ببيته، وتقول عنه إطراءً ومديحاً، وأن ليس لبيته نظير! ولكن ما أن تأتيه التجارب حتى يسقط سريعاً، ويصير خرابه عظيماً. **الله يرحمنا.**

صلاة

يا ربنا يسوع المسيح، يا رب البَرّية،
يا رب الأربعين يوماً التي قضيتها في صلاة:
في اعتكافٍ عن العالم من أجل العالم،
في اعتكافٍ عن الخدمة من أجل الخدمة،
في اعتكاف عن الإنسان من أجل الإنسان.

أعطنا هذه الروح، يا رب،
لنكتشف أنفسنا على نور حبك،
ونعرف مقدار ما أصابنا من دمار بسبب توانينا وإهمالنا وكسلنا.

لا تجعل، يا ربنا يسوع، هذا الموسم المبارك؛
موسم الأسرار والملء؛ يفوتنا ولا نأخذ شيئاً.

أعطِ عبيدك يا ربى، في هذا اليوم الذي أتوا فيه إلى البرِّية،
كما خرجتَ أنتَ إليها،
خرجوا أيضاً هم،
طامعين في حبك وفى معونتك،
طامعين في تَجديد حياتِهم وبناء بيتهم على الصخر.

اليوم أسَّسنا يا سيدي بيت الحياة، بيت العمر،
بيت الزيجة الروحانية المقدسة معك.

فتعالَ،

تعالَ يا بنَّاء صالِح وابنِ معنا يا سيدي،
ليرتفع هذا البناء حتَّى سَماك،
تسكن فيه، ترتاح بروحك القدوس فينا يا ابن الله،
حينما نعود إلى أنفسنا ونراجع أنفسنا في كل ما عملناه،
ونبتدئ نجْني من ثَمرات الكنيسة الحلوة،
نجْني ثمرات الحب والحياة معك.

باركنا ككنيسة وقدِّس أيامنا وحياتنا وعمرنا كله في اسْمك. (٣٢)

---

(٣٢) صلوات الأب متى المسكين ص٤٥

(مت٤: ١-١٢)

[ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيراً. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً». فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيْضاً: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ». ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضاً إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ].

التجربة على الجبل(٣٣)

تعلمون، يا أحبائي، أننا في موسم من أهم المواسم في حياة الكنيسة وحياة أبنائها، جماعة وأفراداً.

سمعتم في الإنجيل أن الرب يسوع كان في البرية يُجرَّب من إبليس ٤٠ يوماً و٤٠ ليلة. نحن هنا أمام عمل من أعمال المسيح تكرمه الكنيسة جداً.

---

(٣٣) من كتاب الصوم الأربعيني ص١١١

ماذا عمل الرب في هذه المدة؛ بل ماذا عمل بالنسبة لنا؟

إن العمل الذي عمله الرب في البرية يُعتبر بالنسبة للكنيسة عملاً جماعياً، وبالنسبة لي ولك يُعتبر عملاً فردياً. اليوم نتأمل فيما استفادته الكنيسة من عمل المسيح وما يمكن أن أستفيده أنا وأنت في حياتنا مع الرب.

التجربة الأولى: نحن نعلم أن أول تجربة دهمت الشعب في القديم كانت هي تجربة الجوع، أي ثورة شهوة البطن، فالبطن هي سيدة الأوجاع، كما نسميها نحن الرهبان. هذه التجربة تداهم دائماً الطبيعة البشرية وقت الصوم ووقت العبادة والاعتكاف عن شهوة الجسد. فأول تجربة تأتي على الإنسان هي عن طريق البطن.

هكذا أتى الشيطان إلى السيد الرب مُقترحاً أن يجعل الحجارة التي أمامه خبزاً .. تماماً مثل ما فعل مع شعب إسرائيل. ولكن انظروا إلى رد المسيح على الشيطان: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله». هنا المسيح يلفت أنظارنا أن جوع الجسد لا يميت الإنسان بعد، بل الجوع هو إلى كلمة الله، فالذي يشبع منها لا يموت ولا يجوع جوع الموت أبداً. في الحقيقة إن تجربة الجوع التي داهمت شعب إسرائيل في البرية، وتذمروا على الله بسببها؛ تقبَّلها المسيح في نفسه على جبل التجربة عن العالم كله، فأصبح المسيح قادراً أن يُشبع العالم كله بجوعه، فصوم المسيح الذي انتهى إلى جوعه، صار مصدر غلبة ونصرة وقوة لكل إنسان على جسده وشهوته.

هكذا، فقد انفتح باب الصوم وصار متسعاً لكل إنسان، لأننا من المسيح كلمة الله الحي والمحيي نأخذ القوة، لكي نغلب لا شهوة البطن والطعام؛ بل نغلب الشيطان مصدر كل تململ وتذمر على كلمة الله. ٤٠ يوماً لم يأكل فيها المسيح شيئاً. ولمن صام المسيح إلا عني وعنك، وبي وبك، ولمن انتصر المسيح على غريزة الجوع إلا لنا، لكي نتبع خطواته. هنا المسيح يفتح لنا، بهذه الغلبة، سر الاعتماد على كلمة الله باعتبارها العامل الأقوى والأضمن لقيام الحياة: «**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان؛ بل بكل كلمة تخرج من فم الله**».

الكنيسة باتباعها خطوات الرب وتقديسها لهذا الصوم، أخذت هذه القوة وسلمتها لنا في هذه ال٤٠ المقدسة.

التجربة الثانية: بعد أن انهزم الشيطان أمام المسيح في تجربة الصوم، كان من الطبيعي أن يوعز إليه بإظهار عظمته وألوهيته، بأن يلقي بنفسه من على جناح الهيكل، فتأتيه الملائكة ويحملونه، فيصفق الناس ويُعظِّمون؛ هكذا الشيطان يُصوِّر للناس دائماً بعد نصرتهم في تجربة ما أنهم صاروا أعظم من البشر. وهنا الشيطان يأتي بنص كتابي يُدعِّم بها مشورته: «يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك».

ولكن مهما اعتمد الشيطان في صياغته للتجربة على أقوال الكتاب المقدس، فهو كاذب ومُضلل، فالآية التي طرحها الشيطان رد عليها المسيح بآية من سفر التثنية أيضاً: «لا تجرِّب الرب إلهك».

التجربة الأولى تأتي دائماً عن طريق الجسد عبر البطن، وهي تجربة يقع فيها كثيرون. أما التجربة الثانية فهي لمن غلبوا شهوة الجسد والغرائز، فهي تأتي صعبة جداً لأنها تجربة الذين تنسَّكوا وسهروا وحزموا بطونهم ونجحوا! فهي تجربة الأشداء المقتدرين الذين يدمنون الكنائس ويطيلون الصلوات ويدققون في الصوم وفي أصغر الفرائض، فيأتيهم الشيطان ويمتدحهم، ويوعز إلى كثيرين ليمدحوهم ويستحسنوا منهجهم ويُكبِّروا أسماءهم. لذلك كل من أتقن الفرائض والطقوس، كل من كانت كلمة الله في فمه، كل من أخذ مركز قيادة في الكنيسة؛ هو مُجرَّب بتجربة جناح الهيكل.

علِّمنا، يا رب، سر المُتكأ الأخير في الكنيسة. لقد وعظنا وعلَّمنا وحفظنا كثيراً ولكن لم نعثر بعد على المتكأ الأخير!

التجربة الثالثة: دخلها المسيح من أجل الكنيسة ومن أجل كل فرد. تقدم الشيطان وعرض أمام المسيح العالم كله بكل ممالكه، وقال له: هذا العالم هو مملكتي الخاصة التي أُسلِمَت في يدي، في إمكاني أن أُعطيك إياها لو خررت وسجدت لي!! عرض سخي من الشيطان، يقصد أن يقول له: لا داعي للصليب والآلام والمعاناة لكي تملك.

فهذه التجربة التي وضعها الشيطان أمام المسيح هي الخيار بين السجود للشيطان أو الصليب. المسيح زكَّى الصليب وارتفع عليه كمغلوب كمائت، كمطعون، كمهزوم في موقعة الجسد ليفدي العالم من سلطان الشيطان.

لقد كان المسيح ينظر إلى ما وراء معركة الصليب حينما قال: «إن حركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً». فالابن وحده هو الذي غلب العالم وشهواته، وأعطى لكل إنسان هذه الغلبة فيه. لذلك ما أعظم هذه التجربة التي دخلها المسيح مع الشيطان وانتصر فيها وحررنا إلى الأبد على مستوى الكنيسة وكل فرد فيها.

صلاة

يا ربنا يسوع المسيح، يا من عشت فقيراً وأنت ملك الملوك،
يا من غلبت الشيطان في معركة مجد هذا العالم،
وأعطيتنا الفقر الاختياري لنعيش في غناك إلى الأبد،

أعطنا أن نغلب كما غلبت في الموقعة الثالثة، ونعيش ونموت؛ لكن أبناء، وأبناء ملكوت،

نسير في مِلْكيتِك وفي ملكوتك غير محتاجين وغير مُعوزين شيئاً من أعمال كرامتك.

باركنا، يا رب، ككنيسة وكأفراد، يا من غلبت لنا ككنيسة مجتمعة متحدة وغلبت لنا كأفراد ليكون لكل منا الفكر الذي فيك.

أعطِ سر نصرتك لكنيستك،
ولنفرح بها حرة قوية لا عيب فيها ولا غضن،
ويفرح بك أولاد صليبك، الكل غالب معك ومنتصر في هذه المعارك الثلاث. (٣٤)

---

(٣٤) صلوات الأب متى المسكين ص٤٧

الأسبوع الثالث
من الصوم المقدس

يوم الاثنين من الأسبوع الثالث

(لو ١١: ٣٣- ٣٦)

[لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيَضَعُهُ فِي خفْيَة، وَلاَ تَحْتَ الْمِكْيَـال، بَـلْ عَلَـى الْمَنَارَة، لِكَيْ يَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ. سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَمَتَى كَانَتْ عَيْنُـكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً، وَمَتَى كَانَتْ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ يَكُونُ مُظْلِماً. اُنْظُرْ إِذاً لِئَلاَّ يَكُونَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلْمَةً. فَإِنْ كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّراً لَيْسَ فِيـهِ جُـزْءٌ مُظْلِمٌ، يَكُونُ نَيِّراً كُلُّهُ، كَمَا حِينَمَا يُضِيءُ لَكَ السِّرَاجُ بِلَمَعَانِهِ].

العين البسيطة (٣٥)

إنجيل هذا الصباح يتكلم عن موضوع مهم للغاية، يُعتبر من أخطر المواضيع التي تقابل الإنسان الروحي في جهاده الروحي، وهو: العين البسيطة. هذا معيار مسيحي من الدرجة الأولى، ويُعتبر امتيازاً عالياً للإنسان الروحي.

في الحقيقة لو أننا أخذنا التشبيه على أنه العين البشرية؛ لخرجنا تماماً عمَّا يقصده المسيح. الرب هنا لا يقصد العين البشرية. لأسباب كثيرة:

أولاً: هي عين واحدة وليست عينين، فهنا يتجه المعنى ناحية عملها وليس ناحية الشكل أو الصفة. ثم هي عين بسيطة، وكلمة بسيطة في اللغة اليونانية تعني معاني قوية جداً، ولكن لا معنى منها يتفق مع الجسد. أول هذه المعاني إنها مفردة أي ليست مركبة، فهي لا تحتمل التعقيد أو الثنائية،

---

(٣٥) عظة على إنجيل هذا اليوم في الصوم الكبير سنة ١٩٩٠.

بمعنى أنها لا يمكن أن تنقسم إلى رؤيتين.

الصفة الثانية: هي عين مستقيمة، في اتجاه أمامي، وليس تعريجاً بين يمين ويسار. وصفة ثالثة: أنها صحيحة، أي ليست مريضة وليس بها شوائب.

ثم هي واضحة أو صافية ليس فيها تعتيم، وآخر صفة لتلك العين البسيطة هي إنها مكشوفة، ليس فيها أشياء مخفية. إذن، كما رأينا، لا تنطبق واحدة من كل هذه الصفات على العين الجسدية.

إذن ما هو المقصود بالعين البسيطة؟

إنها العين الروحية، إنها العين البصيرة، والبصيرة ليست الإبصار، إنها إدراك الحق وتمييزه، وليس كالبصر الذي يرى فقط الظواهر الخارجية. فالعين التي يقصدها المسيح هي إدراك الحق والتمييز ما بين الحق وغير الحق، والحق في المفهم اللاهوتي والإنجيلي هو النور، والباطل هو الظلمة. وعندما نقول: النور، فالمقصود هو شخص الرب يسوع، الذي قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم». فالعين البسيطة هي التي انفتحت بصيرتها على المسيح والحياة الأبدية. بعكس العين الشريرة التي انفتحت على الشر.

وعندما نقول أنها عين بسيطة مفردة فنقصد أنها لا تقبل غير المسيح، وترفض أن يكون له بديل. ثم هي عين مستقيمة، أي أن اتجاهها هو ناحية المسيح، لا تميل عنه يُمنة ولا يُسرى. وهي عين صحيحة، أي ليس بها سُقم غوايات وشهوات الجسد، وتستطيع أن ترى المسيح بصفاء وبدون تشويش. ثم، هي أخيراً عين مكشوفة وصريحة، بمعنى أن كل شيء أمامها واضح.

العين الروحية، موقعها عند المسيح، أعلى شيء عند الإنسان، وأهم عضو من أعضائها، والذي عليه كل التركيز في فهم الإنجيل. يقول عن تلميذي عمواس إنه: «فتح ذهنهم ليفهما المكتوب». لقد انفتحت العين الروحية على الحق ودخلها نور المسيح، دخلها الحق؛ فانكشف لها كل شيء عن المسيح. *انظروا كم هي مهمة*، لذلك جعلها المسيح مثل المنارة التي يضعونها في أعلى مكان في البيت.

لو كانت العين الروحية سليمة؛ فإن نور المسيح ونور الله سيدخل ويضيء كل أعضاء الإنسان المنظورة وغير المنظورة، يضيء الفكر والضمير والعواطف والمشاعر والقلب، وتبتدئ كلها تستنير وتعمل لحساب النور. فإذا كان النور البشري المصنوع عنده القدرة أن يعمل في الجسم ويطهر من الميكروبات ويُظهر الخفيات؛ فما بالك بالنور الروحي، نور المسيح الفائق الفاعلية، عندما يدخل ويستقر في الإنسان، كم هو قادر أن يميت الخطية، ويطهر الفكر والقلب والضمير من الأعمال الميتة.

لو كانت عينك الروحية سليمة؛ فإن النور الإلهي يدخلها وينفذ فيها، الأمر الذي يسميه المتصوفون: التحديق في النور الإلهي، أي الشخوص في نور المسيح.

الإنسان الذي دخله شعاع النور من خلال العين الروحية يستطيع أن ينفذ أيضاً من خلالها لينظر ويتأمل في الله. وهذه عملية من أروع ما يمكن، ذلك لأن كلما تأمل الإنسان في الله أكثر؛ كل ما انسكب فيه النور أكثر.

فهنا التحديق في نور الله، في الحق الإلهي، في شخص يسوع المسيح، هذا يزيد العين جلاءً واستنارة.

ولكن لاحظ أنه في بداية التأمل يحصل صراخ، فبمجرد أن العين تتأمل في الأمور الإلهية ترتد العين سريعاً، ثوانٍ قليلة وتعود أدراجها، لا تستطيع أن تحدِّق، لماذا؟ لأن العين ليست سليمة، لابد لها من تطهير وغسيل أكثر وأكثر. ولكن كلما داوم الإنسان في النسك وفي العبادة والقراءة؛ كلما راقت العين وصفت، ويستطيع بعد هذا أن يحِّدق في النور أكثر، ويوُّجه ذهنه نحو آية من الآيات أو صفة من صفات الله، ويركز فيها الذهن مع القلب والمشاعر مع الفكر، فلابد له هنا أن يخرج بغنيمة، ولا يمكن أن يخرج فارغاً أبداً.

صلاة

ربنا يسوع المسيح الذي أحبنا حتَّى الصليب، لا تَجعلنا يا ربِّى نفقد هذا الإحساس، أنك صُلبتَ من أجلى ومن أجل كل واحد، وأن الصليب كان ثَمَن خطايانا، لكي نتبَرَّر أمامك، ولا يكون لنا ضمير خطية فيما بعد، بل نشعر أننا أولادك، وأننا مولودون ميلاداً روحانياً فيك، يا رب. لنا كل ما لكَ من حقوق بنويَّة وميراث سَماوي. شعبك يريد أن يلمس حبك، فاجعله يلمس يدك في الأمور الصغيرة كما في الكبيرة.

في هذه الأيام، التي ضعف فيها إيمان شعبك، أعط، يا رب، لشعبك أن يَحسّوا بك مرةً أخرى أنك تستطيع أن تَخلق سَماءً وأَرضاً جديدة وأن تُغيِّر معالِم الدنيا كلها لتعطينا ما نريد. (٣٦)

---

(٣٦) صلوات الأب متى المسكين ص٣٥

يوم الثلاثاء من الأسبوع الثالث

(يو٨: ٣١- ٣٩)

[فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: «إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ». أَجَابُوهُ: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ. كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَاراً؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً. أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ. لكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كَلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ. أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ». أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!]

ما الذي تفعله الخطية؟ (٣٧)

إنجيل هذا الصباح يحمل قضية الإنسان العظمى، الأولى والأخيرة: قضية الخطية: «من يعمل الخطية فهو عبد للخطية». سنتكلم هنا عن كيف تَستعبد الخطية الإنسان، وكيف يصير الإنسان خاضعاً كسيراً مقهوراً تحت سلطانها. سنعبر عليها درجة درجة:

الدرجة الأولى: حينما يخطئ الإنسان الروحي لأول مرة يحس أن الخطية غريبة عليه، ويبدأ الضمير يشهد ضده. يضطرب قلبه، تضطرب نفسه، يشعر

---

(٣٧) من عظة على إنجيل هذا اليوم في الصوم الكبير سنة ١٩٩٠

أن عنصراً خطراً دخل فيه. ثم بعد أن يقع الإنسان في أول خطية، في الحال يحس بشعور الذنب، هنا الخطية أعلنت عن نفسها بمنتهى الصراحة، كما أعلن الله نفسه أيضاً بمنتهى الصراحة. إذ يشعر الضمير أنه قد اقترف التعدي. وهنا يُبرِّئ الله ذمته من الإنسان، ليبدأ الإنسان يدخل مجال الخطية بإرادته.

الدرجة الثانية: تبدأ الخطية تستقر في أعماق الشعور، أي العقل وما يتبعه، أي الإنسان الباطن غير الواعي. تبدأ الخطية تعيش في الإنسان كغريب ولكن مقتحم، أُعطي له الفرصة أن يدخل البيت رسمياً وبأمر من الإرادة وبموافقة من النفس والعقل ، فهو صحيح غريم خطير ؛ ولكن في يده تذكرة دخول لا يستطيع الإنسان أن يحتج، فإرادته الحرة هي التي سمحت لها بالدخول.

الدرجة الثالثة: تبدأ الخطية تنطبع في الإنسان قليلاً قليلاً، لدرجة أننا نطلق على الإنسان اسم الخطية، وكأن الخطية صارت جزءاً لا يتجزأ من طبيعته. الإنسان العظيم الذي على صورة الله أخذ اسم الخطية بكل مسمياتها الكريهة، فهذا سارق، وهذا زاني، وهذا مغتصب. يا إلهي! وهكذا ترتفع الخطية على الإنسان وتستحوذ على أثمن ما في داخله وما في خارجه.

الدرجة الرابعة: هي المعركة الحاسمة: حيث ينتبه الإنسان لحاله الرديء بأي طريقة من الطرق: عظة، كلمة روحية، نصيحة ناصح، أو حتى من ضميره. يحس بالفارق فيما كان وفيما صار إليه، يحس باحتقار الناس له، ولكن بالأكثر يحس باحتقاره لنفسه في نفسه، هذا أمر صعب جداً. وفي

الحال يفكر بعزم أن يقاوم. ولكن، إذ به يتكشف له، ولأول مرة في حياته، أن الخطية تحصَّنت داخله، وعملت لها سراديب داخل نفسه وشعوره ولا شعوره، داخل الأعصاب والعواطف والمشيئة، وإذا بها متسلحة به ضده. يستجمع إرادته؛ يلقاها متآكلة، يستنفر قواه النفسية فلا يجدها، ويكتشف أن الخطية كانت هي اللص الذي اعتاد الدخول فعرفت خفايا البيت، وتسلحت بأسلحة صاحب البيت، تسلحت بالإرادة ضد الإرادة، وبالفكر ضد الفكر، وبالنفس ضد النفس، وينقسم الإنسان على ذاته، ولا يبقَ له إلا الخراب في الخراب، وتكون النتيجة أن كل محاولاته تبوء بالفشل، وتزيده سقوطاً في الوحل.

حصر التلفيات، ماذا صنعت الخطية؟

الخطية فعل سلبي، والأفعال السلبية حينما تتكرر، تُعمِّق وتحفر داخل الإنسان الطبيعي لِتشوه صورته الطبيعية وتعطيه صورة غير طبيعية، ويكتشف الشخص الأضرار:

أولاً النفس: تصبح نفساً منحرفة، لا تسير في مسارها المستقيم، بل تنحرف ذات اليمين وذات الشمال.

ثانياً الإرادة: كل مرة يخطئ فيها الإنسان بإرادته أو بجزء من إرادته تلتهمه الخطية ويصير تابعاً لها، ومرة وراء مرة تبتدئ الإرادة تتهرأ وتنحاز إلى الخطية.

ثالثاً الأعصاب: الأعصاب مخلوقة في الإنسان لتعمل على مستوى الطبيعة

الإيجابي، ولكن ما أن ينحرف عن ما خُلق عليه؛ يصير ثقل الخطية على الأعصاب أكثر من احتمالها، ولا يعود ذلك الجهاز الحساس على مستواه الأول، بل تُحدره الخطية إلى مستوى الصفر.

رابعاً الشعور الواعي: وهو الذي يُعبِّر عن الشخصية، مثل العقل والعواطف والمشاعر، فهو من كثرة التأنيب والعجز عن المقاومة، تضعف الشخصية، ويحس الإنسان إنه ضاع.

خامساً اللاشعور: معروف أن كل فعل يؤديه الإنسان وهو غير راضٍ عنه يسقط في اللاشعور، ويعيش هناك ويُفرِّخ، ثم يظهر بصورة تلقائية غير إرادية ويفضحه، كما يظهر في أحلام النوم، فيستيقظ الإنسان فيرى أن الخطية قد استطاعت تخريب كل ملكاته الداخلية وأضعفت نفسه وكل ملكاته.

مزيد من التلف

بتكرار المحاولات الفاشلة التي يحاول بها الإنسان في ضعفه وعجزه أن يتغلب على الخطية يزداد يأسه فيزداد ضعفه، وكلما استنـــزفت الخطية من إمكانياته؛ كلما خضع لها أكثر وأكثر، وازدادت عبوديته إجباراً.

وهكذا، في النهاية، يكتشف هذا الإنسان العظيم الجبار ذو النفس الجميلة البهية كيف هو صار مقهوراً ساقطاً تحت سلطان الخطية، وكيف هي غررته وخدعته تحت سلطان الشهوة واللذة والغنى الحرام، ويقيسُ، فيجد أن كله كذب في كذب، لأن الخطية في الحقيقة هي أكبر كذبة في عالم الإنسان، ولا يدرك هذه الحقيقة إلاَّ من تمرمر تحت ثقلها وذاق عمقها

الفاجر، لكي تتركه في الختام فاقداً أعز ما يملك. وبهذا يتم قول المسيح: «الذي يعمل الخطية هو عبد للخطية».

ولكن، الله، لم يترك الإنسان في هذا الوضع، الله تحرك منذ البدء وحرَّك السماء والأرض وحرَّك الأجيال والأنبياء والزمان والتاريخ ليعمل كله لحساب هذا الخاطئ الواقع في هذه العبودية، أرسل ابنه لينقذه منها، بل إن أول اسم حازه المسيح هو: مخلص، جاء ليخلص شعبه من خطاياهم، هذا هو عمله الوحيد، أمات الخطية وقام غالباً إياها ورفع عن الإنسان ثقلها، وأعطاه جدة روحية في كل شيء: فكر جديد، إرادة جديدة، مشيئة جديدة. كل شيء قد صار جديداً للإنسان.

صلاة

يا ربنا يسوع المسيح،

يا مَنْ سَمحتَ؛ وأنتَ كُلُّك لُطف وكُلُّك حنان ورحْمة؛

أن يدخل تلاميذك؛ أمام عينيك وفى حياتك على الأرض؛ في غربال الشيطان ليُغربَلوا بشدّة وعنف،

ورأيتَ بعينيك يا ربى كيف هربوا وتركوك،

ورأيتَ بعينيك، يا ربِّى، بطرس وهو واقف خارجاً وهو يجحدك علناً أمام جارية مسكينة ضعيفة.

سَمحتَ بكل هذا، يا ربِّى، في هذا اليوم أن تُجرَّب كنيستك في تلاميذها،

وأن يدخل الشيطان ليأخذ كل ما في إمكانه،

ويعمل كل ما في سلطانه،

حتَّى تتزكَّى كنيستك في أشخاص تلاميذها؛

ومنهم نحن أيضاً يا رب نأخذ تزكيتنا، ونأخذ قوَّتنا وسندنا الإلهي.

يا مَنْ طلبتَ من أجل بطرس فلم يفن إيمانه:

سيِّدي، اِجعلنا في دائرة طلبتك وشفاعتك الدائمة.

سيِّدي، اِجعلنا كلنا يا ربِّي وكنيستك في دائرة برِّك الخاص،

حتَّى لا يسقط فينا أحد ولا يَخيب رجاء أحد فينا.

أمين، يا ربِّي، اِسْمع واستجب في كنيستك،

منذ الآن وإلى أبد الدهور كلها، آمين. (٣٨)

(٣٨) صلوات الأب متى المسكين ص٨٩

يوم الأربعاء من الأسبوع الثالث

(لو٤: ١-١٣)

[أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمَاً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيراً. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزاً. فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: مَكْتُوبٌ أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ. ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: لَكَ أُعْطِي هذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ، لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ. فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: اذْهَبْ يا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ. ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَي يَحْفَظُوكَ، وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ. وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ].

التجربة على الجبل [٣٩]

هذا الإنجيل هو إنجيل الأربعين المقدسة كلها، هو قلب الصوم. أما معياره فهو: الملء بالروح يسنده النسك، والنسك لابد أن يتزكى بالتجارب. فلا امتلاء بدون صوم، ولا صوم بدون تجارب، ولا تجارب بدون نصرة، هذا هو المفهوم العام لإنجيل اليوم.

---

(٣٩) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

هذه الأربعين المقدسة، أخذها الكنيسة وجعلتها موسمها السنوي، وطقسها المجيد لتتقابل مع الله على جبل حوريب أو في السحابة تتحدث معه وتسبحه. وهي بصيامها الضعيف حتى الظهر أو العصر، الذي كان أصلاً صيام٤٠ نهاراً و٤٠ ليلة بدون أكل ولا شرب، لذلك نقول في التسبحة: بسر لا يُنطق به.

التجربة الأولى: عناصرها شيطانية خطيرة. أولها: عنصر التشكيك: «إن كنت أنت ابن الله»، تماماً كما قال لحواء: «أحقاً قال الله لكما أن لا تأكلا من كل شجر الجنة؟!»، انظروا الغش والكذب والخداع. ثانياً يستخدم عنصر المناسبة، لقد تركه الشيطان حتى جاع، أو بمعنى أصح: المسيح جاع له، لكي الشيطان يبدأ ويجربه. جعل له حجارة الأرض كمثل شكل الخبز تماماً. هذا هو عمل الشيطان أن يجعل الأمور بهجة للعين شهية للنظر. وفي الحقيقة ليس الأمر صعباً على المسيح، ألم يسبق وأن أرسل لهم منًّا من السماء، وجعل لهم ماءً من الصخرة؟ هنا الشيطان يشير علي المسيح: كفاك صياماً، أنت في إمكانك تحويل هذه الحجارة خبزاً، حتى إذا أطاعه المسيح؛ يكون الشيطان قد نجح في أنه نقض إحدى وصايا الله، ويكون له حق الفيتو على كلام الله.

أمَّا المسيح فقد انتبه لغوايته وتجاوز سهمه، وقال له: ليس بالخبز، سواء كان حجراً أو خبزاً تكون الحياة بل: بالكلام الخارج من فم الله. وكأن المسيح يقول له: أنت جاهل لا تدرك أن للإنسان حياتين؛ حياة بالجسد،

هذه لها الخبز، ثم حياة بالروح، وهي الأقوى والأسمى. وإذا فُرض علينا وطُلب منا أن نضحي، فلنضحِ بالجسد وخبز الجسد، ولا نضحي إطلاقاً بالروح وخبز الروح.

قال له المسيح: «**مكتوب**»، لينبه ذهننا أن لا سلاح إطلاقاً مع الشيطان إلا: بالمكتوب، لا يمكنك أن تغلب الشيطان بالنسك ولا بالجوع ولكن بكلمة الله، هذا هو السيف الروحي البتَّار الذي يستطيع أن يُنهي على كل تجربة من جهة العدو. ولو نعود لكلام المسيح، نجد أن هذا الكلام ليس جديداً، فهو قال: «الحياة أفضل من الطعام»، «لا تهتموا بما تأكلون»، «لا تعملوا للطعام البائد». ولكن الذي يسترعي انتباهنا هنا في رد المسيح، أنه، وهو ابن الله، كان يتكلم كإنسان، ليعطينا النموذج الأمثل لكل إنسان كيف يرد على الشيطان، وبهذا الرد صحَّح الخطأ الذي وقع فيه آدم وحواء.

الدروس المستفادة من التجربة الأولى: ١- مقولة الجوع كافر: هذه فكرة شيطانية، تعطي للجائع الفرصة إنه يسلك سلوكاً خاطئاً ويمد يده على الحرام. ٢- تجربة الشهوة: شهوة الأكل هي أول سلاح ضَرب به الشيطان آدم، وهو نفس السلاح الذي رد به المسيح على الشيطان وأرداه صريعاً.

إذا نجح الإنسان في أن يمسك بطنه وقت الجوع والصوم؛ سيستطيع أن يغلب كل التجارب التي ستأتيه فيما بعد.

التجربة الثانية: الشيطان يقول: أنا أعلم أنك أنت تصوم على مستوى عظيم، ليس عن نفسك، بل عن الشعب، فعليك أن تُظهر عظمتك للناس، اذهب للهيكل مثل رئيس الكهنة، وألقِ نفسك من أعلى جناحه، وستنـــزل منه بمجد وكرامة عظيمة، والشعب سوف يؤمن بك على الفور إنك أنت المسيا الموعود، ألست أنت ابن الله؟ ألم يُكتب هذا عنك في المزمور أن ملائكتك سيحملونك على أيديهم حتى لا يصدمك حجر؟

هنا الشيطان قلبَ المعنى، فالملائكة لا تكون في عون الذين يطيرون في الهواء لينالوا التصفيق والتكريم؛ ولكنهم للذين يسيرون في أرض الضيق والأحزان والعثرات التي يضعها الشياطين أمامنا لكي يعرقلوا مسيرهم.

أما ما يجب أن يرتد إلينا في التعليم في هذا الخصوص فهو أن لا نستخدم المكتوب لأجل شهوات قلوبنا وأفكارنا. أرجوك لا تتمحك في الآية حتى تعمل ما في نِفسك؛ لن تجد معونة، لا تُجرِّب الله. والذي يُجرِّب الله لن ينجح.

التجربة الثالثة: هنا الشيطان يكشف نفسه من بدايتها، إنه الضد والمقاوم لله: «اسجد لي»، فبعد أن لقي الشيطان الهزيمة مرتين متتاليتين، قال له: أنا لي من الله رئاسة هذا العالم، أنا رئيس هذا العالم، وجميع الممالك بكل مجدها مُعطاة لي، وأنا لي الحق أن أمنحها لمن أشاء. عليك أن تقبل مشورتي، عليك أن تتنازل عن منهج الخلاص القائم على تحمل الآلام والصليب.

وفي الحقيقة هذا العرض خطير جداً. كل فلسفات العالم تسير على هذا المنهاج: تنازل تنازل، ما الداعي للضيق، ما لزوم الصليب طالما أن هناك منهجاً آخر سهلاً لا صوم فيه ولا جهاد ولا بذل. الشيطان يَعِد بطريق سهل لبلوغ رئاسة العالم، فلا داعي لوضع شروطٍ للقداسة والطهارة، لماذا التركيز على الخطايا، لماذا التدخل في شئون الناس الخاصة، لا داعي للتشدد، اترك الناس وحريتها، اجعل السلوكيات مفتوحة، لا داعي للتمسك بالمُثل العليا، سهِّلوا الحياة للناس، لا تحرموهم من مُتعهم، لا تُلزموا الناس بوصايا صعبة لا يقدرون عليها، لابد من الحرية التامة من كل قيود... ثم أنا (أي الشيطان) مستعد أن أقنع الناس كلها أن تدخل تحت سلطانك ليكونوا لك جنودَك المُخلصين، وهكذا نحيا سوياً أنا وأنت في أخوة صادقة، أنت الرئيس وأنا خادمك المطيع، ولكن أولاً بعد أن تأخذ مشورتي وتخضع لي وتترك تماماً مسألة الصليب والآلام، وهذه الأمور غير المعقولة التي لا تناسبك كابن لله. أما إذا أنت لم يوافقك رأيي؛ فأنت تعلم مدى ضراوة الحرب التي ستكون بيني وبينك، سأُقاوم كل عمل تعمله، وكل كلمة تقولها، سأُلقي بذار الحقد على كل الأرض، في كل موضع يُدعى اسمك فيه، وسأُضيق على أولادك وأضطهدهم حتى الموت، وسيكون ذنبهم عليك. ها أنا أتركك إلى حين لتفكر في عرضي، وأنا في انتظارك ونحن على ميعاد آخر في جثسيماني.

رد المسيح:

اذهب عني يا شيطان، منهجي من الله أخذت، وكأس آلامي من يد أبي سأشرب، لهذا جئتُ، ولهذا وُلدتُ، مملكتي ليست من هذا العالم، خضوعي وسجودي لله وحده. وعندما أرتفعُ على الصليب، فسأطأ بقدميَّ على هامةِ أعدائي، وبدمي سأُمسح ملكاً، ليُدفع ليديَّ كل سلطانٍ مما في السماءِ وعلى الأرض.

صلاة

ربنا المبارك يسوع،

يا مَنْ صُمتَ عنّا أربعين يوماً وأربعين ليلة، بسرٍّ لا يُنطَق به،

حاملاً على أكتافك خطايا البشرية كلها متنقّلاً ما بَيْن صخرة وصخرة، وحزنك إلى الآب كان ذبيحة قبل الذبيحة، واكتئاب نفسك عوضاً عن الخطايا التي اقترفناها واقترفتها البشرية، كان أمام الآب رائحة ذكية،

عادت فانطبعت علينا ليشتمّها الآب فينا، رائحة المسيح الصائم عنّا، لكي ننال بصومنا دالّة معك.

يا ربنا يسوع المسيح، أعطِنا أسرار هذا الصوم العميق التي عشتَها وأنتَ تتنقّل بين خطايانا، من خطيئة إلى خطيئة.

هذه هي التي أورثتك حزناً على حزن، وهي التي عبّدت الطريق إلى الجلجثة بكل رضا وقبول، لأنك في هذه الأربعين، يا رب، قستَ بالشبْر خطيتنا طولاً وعمقاً، ولكن ليس جُزافاً، ولكن لكي تعطينا سرّ حبّك الذي اكتسبتَه لنا باتضاعك وآلامك وصلبك، لكي نستدرّ به مَحبَّة الآب عوضاً عن هذه الخطايا التي بلا عدد.

إن كنّا نرتِّل لك في كنيستك، أن خطايانا صارت كرمل البحر،

فهذه حقيقة يا رب، ولكنها لَم تَعُد ثقيلة عليك كالأول، لأن الدم المسفوك على الصليب قد رفع ثقلها عنّا وعن الآب، ولَم تَعُد تُرَى إلاَّ عند الذين يكفرون بدمك وبصليبك.

أيها الحبيب الصائم عنّا،

أعطنا قلباً يستطيع أن يَحسّ، لا بخطاياه هو فقط، بل بخطايا الآخرين أيضاً. لأنه كيف نُحب الآخرين، إن لَم نشعر أيضاً بخطاياهم؟ لأن الضعف يستدرّ الحب. لا نستطيع أن نُحب أحداً يا رب، إن لَم نقدِّم مع توبتنا صلاة أيضاً وحزناً وتوبة مع التائبين، ألَم تقل لنا: حزناً أو بكاءً مع الباكين وفرحاً مع الفرحين؟ كيف نبكي مع الباكين إن لَم نشعر بخطاياهم؟ أنتَ الذي شعرتَ بخطايانا، أعطِنا هذا السرّ.

ما أعمق سرّ صومك يا رب! لا نستطيع أن نتكلَّم عنه أمامك في صلاة، ولكن أعطنا إياه في تأملاتنا الفردية، أن يتأمَّل كل إنسان في هذه الأربعين المقدسة وماذا اكتسب منها، وماذا توفَّرت في نهايتها من أمْجاد ومن عطايا هذا مقدارها، لا للإنسان فقط، بل للبشرية والأجيال كلها.

كنيستك التي أحببتها تجوز هذه الأيام متاعب بلا حصر، وتَمزّق، وأخبار تلو أخبار وأكاذيب وأوهام أتعبت شعبك وأتعبتنا معهم. أتوسَّل إليك أن ترسل سلامك من السماء ليعُمّ كنيستك. اصنع عملاً يُعيد لنفوسنا راحتها وفرحها وسلامها، ويُعيد لشعبك وحدته والتئامه.

يا رب، لا يكون فيما بعد تَحزّب ولا انشقاق ولكن فكر واحد وقلب واحد، بل وجسد واحد وروح واحد، فيك يا ابن الله، نتوب وإليك نعود نتصالح معاً. (٤٠)

---

(٤٠) صلوات الأب متى المسكين ص٣٩

يوم الخميس من الأسبوع الثالث

(يو١٢: ٤٤- ٥٠)

[فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. أَنَا قَدْ جِئْتُ نُوراً إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ. وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ].

الإيمان بالمسيح[٤١]

المسيح، هنا يربط ربطاً وثيقاً بين الآب وبين كل من يؤمن به، وكذلك بين الآب وبين كل من يراه رؤية الاستعلان الإيماني، كابن الله، وليس رؤية العين.

وهدف المسيح من ذلك عدم الفصل بين اختبار الإيمان به، واختبار الإيمان بالآب، باعتبار أن ذات الآب وذات الابن هما ذات واحدة وجوهر إلهي واحد. فالإيمان بالمسيح هو الإيمان بالله، لأن الابن والآب هما واحد. هذا هو الإيمان المسيحي علماً بأن اختفاء المسيح باستمرار وراء من أرسله؛ هو محاولة للاحتفاظ بوحدانية الفكر والمشيئة والقول بين الابن المُرسَل والآب المُرسِل، فلا ثنائية في الله.

---

(٤١) شرح إنجيل القديس يوحنا ص٧٥٩

+ «أنا قد جئت نوراً إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي، لا يمكث في الظلمة»

أن يعرف الإنسان حقيقة الله، فهذا هو النور. فالله نور، بمعنى "الحق المدرَك الكامل"، وكل إدراك لله هو إدراك للحق، وإدراك جزئي للكمال، لأن الحق في الله لا يُدرك كماله، فهو فائق على كل الإدراكات، لذلك مَن يستنير بمعرفة الله، يظل كلما يمتد في نوره يمتد في معرفته وإلى ما لا نهاية.

والمسيح جاء ليستعلن ذات الله المخفية، يستعلنها في ذاته هو، أي في شخصه، لأنه ابن الله الوحيد، الحامل لكل حقيقة الله في ذاته؛ لذلك، فبتجسده، دخل نور الله إلى العالم، فصار نور الله أو حق الله، مُستعلناً ومُدركاً للإنسان. علماً بأن معرفة حقيقة الله في ذاته، أي اكتشاف ذاته إنه آب وابن، هو هو النور الحقيقي، أو الحق المنير الذي لا يمكن أخذه أو إدراكه كمعلومة أو كمعرفة قائمة بذاتها عن ذات الله، هذا مستحيل. فكل معرفة حقيقية عن الله بدون الاتصال الفعلي بالله، هي معرفة الظل، وليست معرفة النور. ولكن المسيح أعطانا معرفة الآب في ذاته هو: «الذي رآني فقد رأى الآب»، وأيضاً: «من التصق بالرب فهو روح واحد». وهكذا جعل المسيح الطريق إلى الله عَبرَ نفسه، والتي وضعها على المستوى الإفخارستي هكذا: «من يأكلني يحيا بي». فالمسيح هو نور العالم، وذلك لحساب الله، بمعنى أن حياته وكلماته هي الاستعلان الدائم لله. على أن الوصول النهائي إلى الله نبلغه إن بلغنا مستوى الاتحاد بالمسيح. لذلك، فكل من يؤمن بالمسيح، أي يتحد به بالروح، يعيش الحق، ولا يطيق حتى شبه

الباطل، إنه يتغير إلى النور، ولا يتغير إلى الباطل: «وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه، ونخبركم به: أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة. إن قلنا إن لنا شركة معه، وسلكنا في الظلمة، نكذب، ولسنا نعمل الحق».

+ «**وإن سمع أحد كلامي، ولم يؤمن، فأنا لا أدينه. لأني لم آتِ لأدين العالم؛ بل لأخلص العالم**»

والآن بعد أن أوضح المسيح أنه جاء نوراً للعالم حتى كل من يؤمن به لا يمكث في الظلمة، يعود ويأتي باللوم على من لا يحفظ كلامه، إذ هو كلام الله وهو روح وحياة؛ وهو بحسب القديس بولس، السيف ذو الحدين، الذي يخترق ويُميِّز أفكار القلب ونياته، حتى إلى مفارق النفس والروح، فهو ميزان القلوب والأفكار. فكلام المسيح بحد ذاته، لأنه نور، فهو يحمل قوة الكشف والإدانة؛ وكل من لا يحفظه فهو حتماً سيدين نفسه على ضوء الكلمة اللوغوس التي سمعها ورفضها.

ولكن، هل هناك تناقض بين ما نقوله في قانون الإيمان: أن المسيح سيأتي في مُلكه ليدين الأحياء والأموات، وبين أن المسيح لم يأتِ ليدين العالم؟؟ نُجيب ونقول: إنَّ المسيح بصفته نور الحياة جاء لِيُميّز بين أبناء النور الذين قبلوا النور؛ وبين أبناء الظلمة الذين رفضوا النور. لذلك كان المسيح يُكرر باستمرار أنه قد جاء إلى العالم كنور وحياة معاً ليخلص العالم من الظلمة، وليس ليحكم على العالم؛ ولكن لأن المسيح نور، والعالم ظلمة، فبالضرورة، ودون قصد منه، فضح الظلمة وميَّز النور عنها.

وهذا واضح جداً في فهم القديس بولس لمعنى الدينونة بالنسبة للظلمة والنور: «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور...ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحري وبخوها...ولكن الكل إذا توبخ، يُظهر بالنور، لأن ما أُظهر فهو نور. لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقم من الأموات، فيضيء لك المسيح».

المسيح هنا هو المضيء والمنير في عالم الظلمة، وهو بالتالي المُوبِّخ والمُميِّز بين أعمال الظلمة وأعمال النور، بين النائم الميت، وبين اليقظ الحي.

هذا هو عمل المسيح، كديان العالم، وديان الأموات. بمعنى أنه عندما يضيء على النائم والميت بالخطية، العائش في الظلمة، يدينه في الحال ويوبخه، فيبتدئ النائم في الخطية والميت بسُمِّها، يميز بين الظلمة التي يعيشها وبين نور المسيح فيستيقظ ويضيء له المسيح فيحيا، لأن المسيح هو النور المحيي: «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس».

المسيح جاء نوراً للعالم، وفي الحال صار نور المسيح، أي كلامه وتعاليمه، بمثابة دينونة للعالم، ليس على أساس القضاء السلبي والهدم، ولكن على أساس التمييز الإيجابي بين ما هو للنور وما هو للظلمة.

إذن، فالدينونة التي صارت بمجيء المسيح، كنور، ليست هدَّامة أو سلبية، بل إيجابية مطلقة، وخالقة مُحيية، ولكنها في نفس الوقت مُميِّزة تمييزاً قاطعاً وحاداً بين الحق والباطل وبين الخير والشر..

صلاة

نتوسَّل إليك يا يسوع المسيح،

يا مَنْ صُلبتَ عنّا وبنا على الصليب ومن أجلنا،

نتوسَّل إليك يا ابن الله أن تعطينا حقنا فيك، لأن موتك موتنا وقيامتك قيامتنا.

لا تجعل موتك بلا عمل فينا ولا تجعل قيامتك بلا عمل فينا، بل اجعل موتك وقيامتك كفعل حيٍّ دائم فينا.

نموت كل يوم ونقوم كل يوم معك،

نغتسل من خطايانا بدموعنا وتوبتنا؛ بأعمالنا ونُسْكنا أمامك.

سوف نعاهدك أن نضبط البطن والحنجرة واللسان والفكر لنحفظ أنفسنا من العالَم وشهواته، لنعيش بقية أيام حياتنا في خوفك، كأولاد لك وليس كأجراء تائهين في شُعَب الأرض.

ضُمّنا إليك فننضم كقطيع صغير تفرح بنا ونفرح بكَ.

نتوسَّل إليك، أن ما أعطيتَه للآباء، جدِّده فينا.

لا تجعلنا غرباء عن صفوفهم، ولكن ضُمّنا إليهم لنأخذ مكاننا بينهم يا ابن الله، لأننا بهم دُعينا وإليهم وإلى أماكنهم جئنا لنرتشف من كأس ما ارتشفوا ونفرح ونتعزّى ونأكل ونشبع مِمَّا أكلوا وشبعوا.

فاجعل أرواحهم التي تطلّ علينا من السماء شاهدة علينا أن نبدأ بداية حسنة أمامك. (٤٢)

---

(٤٢) صلوات الأب متى المسكين ص٢٢

يوم الجمعة من الأسبوع الثالث

(لو١١: ١٤- ٢٦)

[وَكَانَ يُخْرِجُ شَيْطَاناً، وَكَانَ ذلِكَ أَخْرَسَ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ، وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا: بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، وَآخَرُونَ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ يُجَرِّبُونَهُ، فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ، وَبَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً يَنْقَسِمُ عَلَى ذَاتِهِ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟ لأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنِّي بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ. فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبَعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحاً، تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ، وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ. مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ. مَتَى خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ، يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ يَطْلُبُ رَاحَةً، وَإِذْ لاَ يَجِدُ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ، فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ مَكْنُوساً مُزَيَّناً. ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ، فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ، فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذلِكَ الإِنْسَانِ أَشَرَّ مَنْ أَوَائِلِهِ!]

المسيح هو الأقوى[٤٣]

رأينا على جبل التجربة المواجهة، وكان فيها الشيطان هو المتقدم، وكيف بكل جرأة تجاسر ليجرِّب المسيح، ولكنه يخرج من هذه الموقعة مقهوراً. هنا نجد العكس، المسيح نفسه هو الذي يقتحم الشيطان في بيته.

على جبل التجربة، كما رأينا، جمع الشيطان كل مملكته في لحظة من الزمان، حاول أن يقدمها رشوة للمسيح لكي ما يتنازل عن صليبه، لأنه كان يعلم أنه مهزوم مائة في المائة. هنا أيضاً نجد تواجه المملكتين: مملكة الله مع مملكة الشيطان. في الحقيقة إن الممالك التي حاول الشيطان أن يقدمها للمسيح كرشوة هي الممالك المنظورة؛ أما المملكة التي يتكلم عنها المسيح فهي المملكة غير المنظورة، هي المملكة الحقيقية. مملكة الشيطان هي مملكة واقعية ولكن عملها غير حقيقي، هي ظلمة، والظلمة لن تبقى. والقديس بولس عندما يتكلم عنها وعن نظامها وماذا صنعه الصليب، يقول: «جرَّد الرئاسات والسلاطين، أشهرهم جهاراً ظافراً بهم في الصليب».

في الحقيقة نقول إن هذا المنظر يُريح ويُطمئن القلب جداً، ولكن نحن لا نقدر أن نقول بصراحة إن الشيطان قد انتهى نهائياً، ولكن الرب ربطه، أضعف قوته، كما سنرى.

هنا في حادثة هذا الأعمى والأخرس، فبعد أن شفاه الرب، كشف عمَّا

---

(٤٣) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

جرى في الخفاء بينه وبين الشيطان في معركة غير منظورة، ولكنه يُلمِّح لها، ويقول: «حينما يحفظ القوي داره متسلحاً؛ تكون أمتعته في أمان (انتبه: القوي هنا هو الشيطان)، ولكن متى جاء من هو أقوى منه، فإنه يغلبه، وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه». إنها معركة عجيبة مستمرة بين القوي والأقوى إلى يومنا هذا.

في إنجيل القديس متى، يقول إنه: يربطه أولاً، هذه صورة توضيحية للمعركة. مع العلم أن هذا المشهد العجيب، وبألفاظه سبق وأن رآه إشعياء النبي، وراء الدهور، يقول: «هل يُسلب من الجبار غنيمة؟ هل يُفلتُ سبي المنصور؟ هكذا قال الرب، حتى سبي الجبار يُسلبُ، وغنيمةُ العاتي تُفلت». هذه الأمور ليست خيالات كما يدَّعي البعض؛ بل هي جزء من حرب الشيطان، وفي سفر الرؤيا يقول إنه: سيعمل حرباً مع القديسين ويغلبهم. وفي أواخر الأيام يكثر الإثم ويرتفع قرن الشر لهذا الجبار المنصور. ومن كثرة الإثم تبرد المحبة.

إذن أين الإله؟ أين المسيح؟ إن كان الإثم قد كثر هكذا؛ فقد انتصر العدو، وإن كانت المحبة قد انسحبت، فقد انسحب المسيح. هذه هي علامات آخر الدهور، والتي هي ليست بعيدة عنا الآن.

ولكن الذي يُنعش أرواحنا هو تعبير المسيح عن نفسه إنه: الأقوى، وإنه الغالب، وإنه سيربط العدو ويوزع غنائمه. ويقول في موضع آخر: إنه «سبى سبياً وأعطى الناس كرامات»، أي إنه استعاد نفوس المسبيِّين الذين

كانوا واقعين تحت سلطان العدو من الآباء والقديسين الذين انتقلوا وكانوا لا يزالون ينتظرون الخلاص.

ولكن ما هي أسلحة الشيطان، وما هو داره أو بيته؟

إنها هي هي أسلحة الإنسان الطبيعية. فعندما نقرأ أن هذا الإنسان كان أعمى وأخرس، هو في الحقيقة ليس أعمى، إن له عينين. ثم هو ليس أخرس؛ ولكنه لا يقدر أن يتكلم. المنظر ببساطة أن هذا الإنسان أعطى فرصة للشيطان بعينيه أنها تخطئ كثيراً، وبلسانه أن يخطئ كثيراً؛ فكانت النتيجة أن الشيطان صار له موضع في عينيه، وموضع في أذنيه. ولما تمادى هذا الإنسان في شره؛ كانت النتيجة أن الشيطان استلم العينين كلها واستلم الأذنين تماماً. فلم يعد هذا الإنسان يقدر أن يرى أو يسمع.

ولكن المعنى الروحي يمتد إلى أعمق من هذا؛ فليس من الضروري أن يكون الشخص قد عمى عن الأمور المنظورة، ولكن الأخطر والأهم هو إنه يكون عمى عن الأمور غير المنظورة، الأمور الروحية، عن النور الإلهي. ثم لا يهم أن يكون صمته عن الكلام المسموع، ولكن صمت عن الكلام الروحي المشهود. فلم يعد يرى نور المسيح ، ولا أصبح يتكلم عنه.

والسؤال الآن هو: هل هذا الكلام بعيد عنا كثيراً؟ ألم تخطئ بعينيك مرة؟ ألم تخطئ بلسانك في حق مسيحك؟! ألم يحدث إنك حاولت أن تصلي ووجدت نفسك غير قادر؟ لماذا؟ لأن خطية صنعتها طمست عينيك فلم تستطع أن ترفعها نحو السماء، واللسان عجز عن النطق وانعقد عن الكلام.

انظروا، كيف أن أسلحتنا وآلاتنا التي نُقدس بها الله والمسيح حينما نُهملها كيف تُنتزع منا انتزاعاً، وكيف يدَّعي الشيطان ملكيتها، وكيف يحاربنا بها ويحارب الله!! ليست معجزة اليوم هي لشخص من ٢٠٠٠ سنة شفاه المسيح، أبداً، نحن المرضى، نحن المصابين بالعمى والخرس، وأيضاً نحن المحتاجين جداً لهذا الأقوى الجبار الذي يستطيع أن يربط الشيطان ويخرجه.

انظروا كيف ينتقل الإنسان من صف ملكوت الله لكي ينضوي تحت مملكة الشيطان وهو لا يدري، أو هو يدري ولا يستطيع الفكاك. المسيح يقول: «من ليس معي فهو عليَّ». لا يوجد حِيَاد مع المسيح. إما الشخص يكون مع المسيح أو مع الشيطان. والذي ليس مع المسيح بقلبه وحواسه فهو حتماً واضطراراً سيكون مع الشيطان، وبالتالي ضد المسيح. إن لم تكن العين مع المسيح؛ فهل من المعقول ألا تكون مع الشيطان؟! يستحيل! واللسان إن لم يكن يلهج باسم المسيح وحبه ونعمته الليل والنهار؛ هل ممكن أن يدَّعي أن الشيطان لا سلطان له عليه؟! واللسان الذي يتوقف عن تمجيد المسيح ينتزعه الشيطان بالملكية. «من لا يجمع معي فهو يفرق».

فإذا لم يعمل الإنسان لحساب المسيح؛ هل يستطيع أن لا يعمل لحساب الشيطان؟! أمر مستحيل.

لذلك أصبحت حقيقة لا مفر منها، إما أن نكون لملكوت الله حقيقة بالقلب بالكامل؛ وإلا، نُخطف، والذين خُطفوا كثيرون. ولكن الحقيقة الأعظم التي نخرج بها من هذه المعجزة أن المسيح هو الأقوى: «**ثقوا أنا قد غلبت العالم**».

صلاة

ربنا يسوع المسيح،

يا من بحنانك الفائق الوصف، يا من بشعورك بمسؤليتك تجاه الإنسان، الإنسان المسكين الضعيف المغلوب تحت أهوائه وشهواته وأطماعه الكثيرة، خرجت وحيداً في براري الأردن وأمضيت الليالي الكثيرة وحيداً من صخرة إلى صخرة ومن تلٍّ إلى تل، تسكب دموعك من أجل البشرية الضعيفة وتقدم صلاتك المتصلة أمام الآب أبيك، من أجل الإنسان المحتاج إليك.

يا رب،

هكذا ظهرت لنا حاملاً مسئوليتنا، مسئولية ضعفاتنا وخطايانا على كتفيك مبكراً جداً قبل الصليب، وسكبت نفسك وصلبتها بالجوع والعطش قبل الصليب، لكيما تعطينا، يا ربي، قوة في أصوامنا وجهادنا، حتى نستمد منك النصرة على عدو جنسنا الذي لا يريدنا أن نكون صائمين ولا غالبين.

أعطِ، يا رب، عبيدك وشعبك في كل مكان نوراً واستنارة حتى يفرحوا بما لهم فيك، ويرثوا ميراثهم الذي اذَّخرته لنا كأب كثير الرحمة كبير القلب، تعبت من أجل أن تُورِّثهم ميراثاً لا يفنى محفوظاً لنا في السموات.

أعطهم، يا ربي، أن يعرفوا ميراثهم ولا يتهاونوا أو يتكاسلوا عن أخذ ما لهم فيك، يا ابن الله، حتى يوجَدوا غالبين ومنتصرين في اسمك وباسمك. آمين(٤٤).

---

(٤٤) صلوات الأب متى المسكين ص٦٣

قداس الأحد الثالث

(لو١٥: ١١-٢٠)

[وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَان. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيه: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَال. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعاً! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصاً. فَدَعَا وَاحِداً مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِماً فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْياً لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ].

أحد الابن الضال [٤٥]

يقع الأصحاح الخامس عشر بين الأصحاحات الأربعة والعشرين موقع الفاصل الموسيقي الأنيق في انسجامه واختيار مكوِّناته. فهو يدور حول موضوع واحد يتحدَّد من أوله، إذ لَمَّا عيَّر الكتبة والفرِّيسيون المسيح كونه يحتفي بالخطاة ويسعدهم بتقرُّبه إليهم وأكله معهم، بدأ المسيح يعطي فلسفته هذه، كون الخطاة المنبوذون من المجتمع أحوج إليه وإلى محبته من الأبرار الراضين بأنفسهم القانعين بأفضليتهم. وأعطى في هذا المضمار ثلاثة أمثلة متناسقة ومتصلة اتصال النغمة الواحدة في مقطوعة موسيقية. فاختار أولاً مَثَل الخروف الضال الذي خرج من الحظيرة و لم يعد، وأثَّر ذلك على الراعي الذي جدَّ في إثرِه حتى وجده، ومن فرحه به حمله على كتفه ليهوِّن عليه وعورة الطريق.

ثم امرأة مُقترة وفقيرة جمعت عشرة دراهم من كدِّها وتعبها، ضاع منها درهم واحد فقامت بالليل وأسرجت سراجها وأخذت تبحث عنه في كل أركان بيتها وهي تكنسه كنساً باجتهاد حتى عثرت عليه، فمن فرحها دعت الجارات والصديقات ليشاركنها فرحها.

ثم المثل الأخير عن الرجل الذي كان له ابنان، كان الأصغر مدلَّلاً فطالب أباه بنصيبه من الميراث، وأبوه حيٌّ بعد، فمن عطفه أعطاه مُناه، فأخذه وانطلق إلى كورة بعيدة يبذِّر المال بعيش مُسرف حتى نفدَ عن

---

(٤٥) الإنجيل بحسب القديس لوقا ص٥٧٢

آخره. وحدث أن نُكبت الأرض بجوع شديد فاشتغل كأجير يرعى الخنازير، فاشتهت نفسه أن تأكل من أكلها فلم تُعْطَ. فتذكَّر عزّ أبيه والعيشة في أحضانه، فقام في الحال وأخذ يرتِّب في قلبه كلمات الاعتذار التي سيردّ بها على عملته هذه. ولكن ما أن قرب من الدار حتى لمحه أبوه من بعيد فقام وكان يجري نحوه من فرحته. وأخذ الابن يعتذر بأعذاره ويعترف بخطيته والأب مشغول كيف يحيِّيه بعمل وليمة فاخرة ويُلبسه أجمل لباس. وأحضر خاتماً مرصَّعاً في يده وحذاءً جديداً في رجليه وقال: «اذبحوا العجل المسمَّن لنأكل ونفرح».

قصة جميلة، تحيِّي التوبة وتمجِّدها وترفعها إلى مستوى فرحة العيد عند الناس وفرحة الآب السماوي بعودة الشركة مع الإنسان، وخاصة أن المسيح نفسه هو قائلها ليردَّ على وقاحة الفرِّيسيين الذين يلومونه على كونه يحب الخطاة ويأكل معهم. فرفع المسيح تذمُّرهم إلى أخطر قضية بين الله والإنسان: فالإنسان الذي جرَّه الشيطان من حضن الله أصبحت عودته التي أكملها المسيح تمثِّل أعظم نصر للمسيح وأعظم فرحة عند الآب!

حبك القصة في هذا المثل نادر وجميل، فالمسيح افتعل الجوع الذي سيؤدِّي حالاً إلى عودة الابن إلى أبيه، وهذه اللفتة البديعة تُضاف إلى عين الأب الساهرة على الخطاة كيف يفتعل الأزمات والضيقات في وجههم ويضيِّق عليهم حتى يشعروا بخطئهم، ثم يستثير عواطفهم في التعب والجوع ليدركوا أن هذا بسبب خطيتهم فيفكِّروا في العودة والتوبة. وهذا ما تمَّ في هذه القصة العجيبة.

«فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ».

أخطر آية في هذه القصة المثيرة: «فقام وجاء إلى أبيه». هذه الحركة احتاجت من الابن أن يموت على الصليب لكي "يقوم ويذهب إلى الآب" فتقوم فيه البشرية وتجيء إلى الآب. وهي أعظم حركة إيجابية في القصة كلها وعليها يدور الحديث والوصف وكل التعبيرات!

إن أحوج درس تحتاجه المسيحية الآن هو الدرس الذي يعلِّم الخاطئ كيف يقوم ويذهب إلى الآب. هنا نتعجَّب أن المسيح لم يذكر أن الأب قام وفتَّش عنه وأرسل المنادين وقصَّاصي الأثر، بل ظلَّ جالساً في بيته يحتل بكل رزانة سلطانه الأبوي. صحيح أن المسيحية تحتاج إلى المعلِّم والواعظ والأب الروحي والرئيس، ولكن كل ذلك اختفى من هذه القصة. فهذه القصة تقوم على أساس أن الابن عرف اللحظة الحرجة التي فيها يقوم ويذهب إلى أبيه. وهنا ينبغي أن نقف ونقول: إذا لم يتأسَّس الإنسان على معرفة روحية صحيحة فلن يعرف متى يتوب ويعود إلى الله. وأجمل ما في هذه القصة أن في اللحظة التي تحرَّك فيها الابن نحو أبيه واطمأن لها الأب قام الأب وركض لاستقباله بكل عطف وحنان الأبوَّة.

«فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ».

لَمَّا ابتدأ الابن أن يتلو ما حفَّظه لنفسه طول الطريق من اعتذار وتأسُّف

شديد، لم يسمع له الأب وانشغل خصيصاً كيف يعدّ له الوليمة، والخاتم والحلة والحذاء والعجل المسمَّن. هنا الابن العائد إلى أبيه يحكي قصة خجله وما عمله وما تأتّى من عمله، والأب يحكي قصة حبه وأبوّته وحنانه المذّخر له في قلبه. هنا المُصالح كأنه غائب؛ ولكن العجب العجاب أنه هو هو الذي يحكي هذه القصة حيث رجعة الإنسان إلى الله قامت على دم صليبه. وهكذا تماماً «إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه» . ولذلك فإن هذه القصة المتقنة على المستوى البشري يتركز سرّها الأعظم في عمل المسيح كمُصالح أخفى نفسه في القصة، ولكن القصة تقوم كلها عليه إذ لا يمكن أن يفوت علينا أن القصة في أصلها هي عن المسيح وحبه للخطاة.

أمَّا الحلّة والخاتم والحذاء والعجل المسمَّن فكلها تنتهي بعبارة: «لنفرح» هذا فرح الله والملائكة والسماء. كما قالها ق. لوقا في بداية الأصحاح: «أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من ٩٩ باراً لا يحتاجون إلى توبة».

صلاة

الرب المبارك يسوع المسيح، لك التسبيح والشكر والمجد الدائم يا رب.

لك السجود في كل زمان ومكان.

نسبِّحك يا رب بنفس واحدة وفم واحد. نُمجِّدك ونُمجِّد أباك الصالح لأنك أعطيتنا فرصاً للحياة. أعطيتَ أمامنا يا رب المشورة الحسنة، أن نعود إليك بكل قلوبنا، نادمين عن حياة سالفة كلها أعمال ميتة لا تُمجِّدك وليس لها ثَمر إلاّ ما نستحي منه.

الآن يا سيدي، نتقدَّم إليك بكل محبة، طالبين من نعمتك أن تغطينا، طالبين أن تلبسنا كجماعة كما لبسناك في المعمودية فرداً فرداً،

أن تضمّنا إلى صدرك، أن تصالح كل قلب مع كل قلب، تصالح النفوس معاً ليكون الكل واحداً فيكَ يا ربِ حسب رغبتك وحسب مشيئتك وصلاتك لدى الآب.

أتوسَّل إليك يا رب أن تعطينا شهوة قلبك، هذه الوحدة عينها، وأن ترفع من بيننا السخط والمرارة والتحزّب والانشقاق التي هي كلها أعمال شيطانية وليست سماوية.

أعطنا مشورة السماء، ومواهب أبي الأنوار الذي يعطي بسخاء ولا يُعيِّر لكل مَنْ يطلب، لكل مَنْ يفغر فاه فتملأه.

أعطنا من عطاياك يا ابن الله لنستطيع أن نتجاوز عن أخطائنا وعيوبنا وأخطاء الآخرين وعيوبهم لنرى أنفسنا فيك، يا ربِّي، أولاداً مقرَّبين إليك.

اقتننا لخلاصك يا ابن الله كقطيع رضيتَ عنه وأحببتَه.

أشْعِرنا بمحبتك يا ابن الله لكي ما ننمو فيها بلا حدّ، لأننا نُحبّك يا ابن الله لأننا شعرنا بأنك تُحبّنا.

فليت هذه المحبة التي سكبتها في قلوبنا من عندك ومن عند الآب تنمو كل يوم؛ تزداد فيما بيننا؛ نتاجر فيها المتاجرة الحسنة ونحفظ الوديعة كرغبة بولس الرسول لتيموثاوس، حتَّى النفس الأخير.

باركنا في صلوات القديسين وشفاعة أم النور. (٤٦)

---

(٤٦) صلوات الأب متى المسكين ص٢٤

الأسبوع الرابع
من الصوم المقدَّس

يوم الاثنين من الأسبوع الرابع

(لو١٦: ١-٩)

[وَقَالَ أَيْضاً لِتَلاَمِيذِهِ: كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ لَهُ وَكِيلٌ، فَوُشِيَ بِهِ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُبَذِّرُ أَمْوَالَهُ. فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْكَ؟ أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَكِيلاً بَعْدُ. فَقَالَ الْوَكِيلُ فِي نَفْسِهِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ لأَنَّ سَيِّدِي يَأْخُذُ مِنِّي الْوَكَالَةَ. لَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْقُبَ وَأَسْتَحِي أَنْ أَسْتَعْطِيَ. قَدْ عَلِمْتُ مَاذَا أَفْعَلُ، حَتَّى إِذَا عُزِلْتُ عَنِ الْوَكَالَةِ يَقْبَلُونِي فِي بُيُوتِهِمْ. فَدَعَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَدْيُونِي سَيِّدِهِ، وَقَالَ لِلأَوَّلِ: كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟ فَقَالَ: مِئَةُ بَثٍّ زَيْتٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاجْلِسْ عَاجِلاً وَاكْتُبْ خَمْسِينَ. ثُمَّ قَالَ لآخَرَ: وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: مِئَةُ كُرِّ قَمْحٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاكْتُبْ ثَمَانِينَ. فَمَدَحَ السَّيِّدُ وَكِيلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ، لأَنَّ أَبْنَاءَ هذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِيلِهِمْ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ، حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ].

مَثَـل وكيـل الظلـم (٤٧)

هذا المثل قائم على فرضية أن الحياة هي فُرص، لابد أن ننتهزها، ونُقايض بها. علينا أن نبيع الذي لنا هنا، نُتلفه، نُبذره، على أساس أن كل ما نملكه على الأرض هو أمور فانية، وذلك لكي نربح الذي لا يفنى والذي يبقى إلى الأبد. فإن عرفت أن تقايض الفاني بالباقي تكون نجوت.

---

(٤٧) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

مثل وكيل الظلم من أصعب الأمثلة التي ممكن أن نقابلها، لأنه وُضع خارج القانون الأخلاقي، فالسيد امتدح ذلك الوكيل الظالم، مدحه لأنه عمل بحكمة أهل العالم، حكمة مال الظلم، حكمة السلوك بالجسد.

يجب أن نعرف في البداية أن كل الأشياء التي لنا هنا على الأرض من مال وصحة وعافية وعينين وجسد وعقل... كل هذه أمانات، وأن المسيح استأمننا عليها، هو صاحبها، ونحن عليها وكلاء.

المسيح في هذا المثل يقول عن هذا الوكيل إنه بدد الأموال، التي ليست له، التي لا يملكها، زوَّر في الدفاتر وكتب فيها أشياء ليست صحيحة. المسيح يقول أنا أريدكم أن يكون لكم تلك الذهنية، فالصحة التي عندكم والأموال التي في أيديكم هي ليست ملككم؛ أنتم لستم أصحابها، عليكم أن تُبددوها. أنا أقول لكم تصرفوا فيها، بددوها، لا تخافوا، ألست أنا صاحبها الأصلي. أنا سأعوضكم عنها، سأعطيكم أنا أجمل وأحسن منها مائة ضعف، ثم أيضاً أعطيكم معها الحياة التي فوق. كم ستعيش؟ ستين، ثماين... سوف أعطيك حياة إلى الأبد. إن أنت بددتها لحسابي سوف أُضيفها لحسابك فوق إلى الأبد؛ أما إن أنت أخذتها لحسابك، ضاعت منك وأنت ضعت، ولن يكون لك عندي شيء فوق.

المَثَل دقيق جداً ولا يمكن فهمه إلا على هذا الأساس: أن كل ما نملكه هو ليس لنا. والمسيح يستلف من مَثَل وكيل الظلم ويكلم أولاد النور، يقول لهم: انظروا أولاد الظلمة إنهم أحكم منكم، انظروا كيف يأخذون

مال الظلم، المال الذي مآله الفناء ويتمتعوا به ويعملوا به أصدقاء، وأنتم ألا تفعلوا مثلهم وتكسبوا به الحياة الأبدية؟!

ثم من يكون يا تُرى هذا الشخص الذي يمكنه أن يبدد بسرور؟! هو الذي لا يحس أن الذي يملكه هو له، بل هو ملك المسيح، والمسيح حر فيه والمسئول عنه. لذا المسئولية واقعة عليه وليست علينا.

مال الظلم

معروف أن المال هو أصل كل الشرور. ولكن هذا المال، المال البطَّال عندما نُبعزقه ونُبدده لحساب المسيح يبقى للبر، يكون مال بر، يصير للحياة الأبدية. تماماً مثل كل شيء في العالم، فالعالم نفسه وُضع في الشرير، والزمان الذي نحياه زمان مقصَّر وشرير؛ ولكن ماذا لو نحن استغلينا هذه الأيام في صلاة وسجود وعبادة؟ سيتحول هذا الزمان المُقصَّر إلى خلود وحياة أبدية. الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أُعطي له حق تحويل الزمن إلى خلود. صلِّ يوم تتحول بحساب الله إلى ألف سنة. صلِّ سنة تكون هذه هي الأبدية. هذا هو قانون المقايضة: تراب بمجد، ملاليم بجواهر سماوية.

هذا المثل عجيب ورائع للشخص الذي له وعي وعين روحية، ويمكن تلخيصه في نقطتين: الأولى هي مقدار السعادة والغبطة التي يذوقها الإنسان حينما يبدأ في التبديد لحساب الله، إنها سعادة لا يمكن أن تُدانيها أي سعادة أخرى على الأرض، مهما أُعطيت من تكريم وأمجاد وأفراح.. كل هذه لا يمكن أن تتساوى مع أحاسيس إنسان يبدد وليس فقط يعطي.

والثانية هي أن المتغير يتحول إلى ثابت، والفاني إلى باقي وإلى حياة أبدية.

تصور إنساناً يحس وهو هنا على الأرض بالخلود، يحس بالشركة في المجد الإلهي. لذلك تهون عليه أتعابه الجسدية، وفرحته لا يمكن أن يقدرها إنسان.

المسيح هو أكبر مُبدد ممكن أن يسمع عنه إنسان أو عقل بشر، وهو عندما يتكلم عن عطائه في الروح يقول: «ليس بكيل يُعطي الله الروح»، المسيح لا يعطينا حسب استحقاقنا، بل يعطينا بلا كيل. الذي عمل ساعة واحدة سوف يعطيه تماماً مثل الذي عمل ١١ ساعة، يقول له أنا صالح، أنا حر أُبدد مالي كما أريد. يقول في العهد القديم: «**جرِّبوني يقول الرب، إن كنت لا أفتح لكم كوى السماء حتى أفيض عليكم حتى لا يكون هناك متسع حتى تقولوا كفى كفى**».ماذا يكون هذا؟ تبديد بلا شك.

في معجزة إشباع الجموع، اسمع ما يقول «أكلوا وشبعوا ثم رفعوا ما فضل منهم ١٢ قفة مملوءة». إنه تبديد. وأيضا نسمع عن الأجران التي حوّلها خمراً، ١٨٠ لتراً من خمر جيدة لكي يفرحوا. ونقرأ عن الشبكة المملوءة سمكاً والتي كادت أن تتخرق من كثرة ما تحويه.

لسان حال المسيح في كل ما سمعنا أن كيله جيد فائض مهزوز ملآن في الأحضان.

وأخيراً، هذا المثل يخاطب أبناء النور يقول لهم: يا أبناء النور تعلموا من أبناء الظلمة كيف هم يُبددون أموالهم على الباطل والبطّال. المال مالي، وأنا

استودعته عندكم. الصحة والعافية أنا أعطيها وأُزيد عليها. إن حجزتموها لحسابكم تُنـــزع منكم وتفنى ولا عائد لكم. أما إن أنتم أضفتموها لحسابي تبقى لكم وتزيد وعائدها في السماء محفوظ لكم.

صلاة

أعطِ لكل إنسان يتوسَّل إليك تجديداً وحياةً جديدة، يا رب.

أعطِ شعبك، يا رب، أن ينفتح قلبه وأن ينفتح ذهنه لكلمة الحياة. كل مَنْ تأخَّر حتَّى اليوم ولم ينفتح الكتاب المقدس أمامه، ليعي كلماتك كما ينبغي، ليكن اليوم وهذه الساعة، ساعة انفتاح قلب وإنجيل، يا رب. ليعود إليك شعبك ويقرأ الكلمة بوعي وبإخلاص نيَّة لكي ما ينفتح ذهنهم ويدركوا خلاصهم المُعَدّ في الكلمة.

أعطِهم، يا ربِّي، حياة مُجدَّدة في اسْمك، وأعطِ يا رب بصلواتهم أيضاً أن تمتلئ الكنيسة من كل مواهب الروح، مواهبَ الخدمة والمَحبة والألفة المسيحية، مواهب الاتضاع والوداعة حتَّى ترتاح، يا روح الله، في كنيستك وفى كل قلب بلا مانع ولكي ما تنشط الكنيسة وتؤدِّى واجبها أمامك وأنتَ تستأمن رعيتك على كل عطية صالحة.

أعطِهم يا ربّ من عطاياك في السماء. باركهم بكل بركة روحية من عندك، ليتقدَّس كل قلب وتتقدَّس كل نيَّة ويتقدَّس كل لسان وفكر في اسْمك، لكي يعودوا إليك كلهم يا رب في حياة مُجدَّدة؛ حياة قوية بالكلمة؛ حياة قوية بالصلاة والمحبة الصادقة، لتكون كنيسة واحدة ورعية واحدة لك يا ابن الله. (٤٨)

---

(٤٨) صلوات الأب متى المسكين ص١٣٨

يوم الثلاثاء من الأسبوع الرابع

(لو٩: ٥٧- ٦٢)

[وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «يَا سَيِّدُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». وَقَالَ لآخَرَ: «اتْبَعْنِي». فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ». وَقَالَ آخَرُ أَيْضاً: «أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ].

تبعية المسيح (٤٩)

إنجيل هذا القداس هو عن الدعوة لاتباع الرب، هذا الإنجيل يخصنا في الصميم. أعطانا فيه المسيح ٣ أمثلة، نُبلورها في البداية لكي تكونوا على وعي بها، وكلها واقعة تحت الخداع: الأول: شخص واقع تحت خداع المظاهر، الثاني: شخص واقع تحت خداع المجاملات، الثالث: واقع تحت خداع العواطف.

الشخص الأول: «يا سيد أتبعك أينما تمضي». المنظر يبدأ هكذا: كانت الرفقة تسير مع يسوع مُلتفين حوله في سعادة غامرة، يسألون يسوع وهو يجيبهم بأحاديثه التي لا يمكن أن يجاريها حديث، قيل عنها: إنه «ليس كالكتبة

(٤٩) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

والفريسيين»، وإنه «لم يتكلم قط إنسان مثل هذا الإنسان». هذا الكاتب أُخذ بالجماعة السائرة التي تتحدث بفرح وسعادة عن ملكوت الله، فكَّر في نفسه: لماذا لا يتبع ذلك المعلم، كفاه قوانين الناموس وتعقيدات التلمود. لم يدرِ هذا الكاتب أن هذا الفرح والسرور وهذه البهجة ثمرة نباتها مُر علقم، نباتها اسمه الضيقة. وبدون الضيقة لا يمكن لإنسان أن يذوق فرح ولا بهجة سماوية. انخدع الكاتب بالمظهر الخارجي لأنه وجد أن كلام المسيح شهي، حياة تبدو أنها جميلة جداً، لم يكن يعلم ما وراءها، لم يعمل حساب النفقة.

طبعاً الذي تغره المظاهر من المستحيل أن يسأل عن الأتعاب التي وراءها. هذا المُعلم الذي تريد أن تتبعه أيها الكاتب وراءه صليب يُحمل. من دون الصليب لا يمكن أن يكون هو معلم صح، ولا أنت تلميذ صح.

كان رد المسيح لهذا الشخص، كما لكل إنسان: «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، أما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه». لم يقصد المسيح أن يُيئِّس هذا الكاتب، ولكن أن يُوَعِّيه، فإن كان هو يطلب حقاً الفرح الحقيقي الذي يدوم معه، لابد عليه أن يُفرِّط، لابد أن يترك الأرض التي هو ممسوك بها والمواريث التي تقيده وكل ما يتعلق بالماضي والحنين إليه.

قال له المسيح: أنا ليس لي مكان أستريح فيه على الأرض، مكان راحتي هو في قلب الآب؛ فإن كنت تراني فقط كإنسان يستطيع أن يعطيك ما تطلبه وما ترتاح له، فأنت مخطئ. أما إن كنت تستطيع أن تبقى كالثعالب وكالطيور، لا يكون لك جحر يأويك وعش ترجع إليه، تكون

كطائر سماوي، هنا فقط تقدر تتبعني.

المسيح هنا يضع الحد الفاصل بين أهداف مربوطة بالأرض وأهداف مربوطة بالسماء. الله قال لإبراهيم: اخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك. دعاه ليخرج من وطنه الأكبر أي أرضه، ومن وطنه المتوسط أي عشيرته، ثم يخرج من وطنه الأصغر أي بيته. هذه هي الأشياء التي تحجبه عن الله، التي تمنعه من الاستمرار في المسيرة السماوية. قال له اترك كل هؤلاء! أطاع إبراهيم. ولكن كيف استطاع إبراهيم أن يطيع، على أي أساس، ونحن نقول إنَّ الغريزة تتملك في الإنسان مثل هذا التملك؟!

اسمع! أعجب ما في الإنسان إنه يحوز غريزة أقوى، غريزة الخلود، غريزة الحياة الأبدية. هذه الغريزة هي الأفضل وهي الأقوى، إذا صحيت في الإنسان تخمد الغريزة الجسدية، لا يعود لها وجود. لذلك سمع إبراهيم الصوت وأطاع، لأن صوت الله أحيا فيه الحنين إلى ما فوق.

الشخص الثاني: هنا الرب هو الذي يدعو: «**وقال لآخر اتبعني. فقال يا سيد ائذن أولاً أن أمضي وأدفن أبي**». كلمة: **أولاً**، أتعبت المسيح جداً، المسيح لا يلقي الدعوة جُزافاً، إنه يدعو إنساناً وجده مستحقاً وجديراً بالدعوة، إلا أنه أحس بأن هناك رُبط تُكبله بالأرض ولا تجعله قط قادراً أو مهيأً لملكوت الله. فانتهز له فرصة أو بالحري مأزق ومحك شديد، دعاه لحظة وفاة أبيه وهو ما يزال بعد في البيت لم يُدفن. هذا الإنسان كان مربوطاً بالأصول والواجبات، دعاه المسيح وهو في أحرج المواقف، ولكن

كان قصد المسيح أن يحرره إلى الأبد من رُبط المجاملات التي كانت كفيلة بأن تطمس معالم الحياة الأبدية من قلبه إلى الأبد. هذا الموقف نجح فيه أنطونيوس، ترك أباه، وانطلق.

الشخص الثالث: «أتبعك يا سيد، ولكن ائذن لي أولاً أن أودع أهل بيتي».

هذا هو الشخص المربوط بالعواطف والمجاملات، المسيح استطاع أن يفكه منها. في الحقيقة إن الذي يحب أهل بيته أكثر من الله إنما هو يهين الله، والذي يحب العالم يكون عدواً لله. «محبة العالم عداوة لله». لذلك حقاً قال المسيح: «أعداء الإنسان أهل بيته».

قصة بنت يفتاح في العهد القديم، التي أمر أبوها بتقديمها ذبيحة، فقالت له: أعطني مهلة ٣ شهور أبكي فيها عذراويتي، ثم اذبحني بعدها. وكأني بهذا الرجل يريد أن يبكي عذراويته، يبكي موته. يذهب إلى الحياة ليبكي موته! هنا معكوسة. المسيح لا يدعو إلى الموت، إنه يدعو إلى الحياة. هل الشخص المدعو للحياة يذهب ليودع الموت والموتى!!

مشورة الجسد مسمومة، هذا الشخص يريد أن يعود للجسد ليتلقى قبلة الأم، فتكون سهماً في قلبه لا يعرف أن يتخلص منه للأبد. كان رد المسيح عليه أشد الردود جميعاً، وأكثرها قطعاً ومنعاً: «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله». المحراث هو الإنجيل، والذي يحرث لابد عليه أن ينظر لفوق حتى تخرج الخطوط مستقيمة. أن ننظر للوراء

معناه أن المحراث سوف يفلت منا، معناه حرث مُعوَّج، معناه إهانة لله.

الله وضع للإنسان بُعدين: بُعد للأمام للملكوت، وبُعد خلفي للبيت ولأهل البيت. فإذا سرت صح من أول خطوة في الطريق؛ ستأخذ قوة للترك وللاندفاع إلى الأمام، وتكون مثل بولس: «أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام». يا تيموثاوس: «امسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت».

صلاة

أختم هذا الإنجيل لهذا الصباح بدعاء من قلبي لنفسي ولكم جميعاً أن لا يجعلنا الله على مستوى الجسد في دعوتنا، من جهة النظر إلى إغراءات تُغرينا للراحة الأرضية.

أطلب من الله أن يعطينا انتباهة الروح في داخلنا، حتَّى بسكين حادّ للنعمة، تقطع كل رُبُط تربطنا بالأرض وبالجسد وبالعالَم حتَّى نستطيع أن ننطلق ولا ننظر إلى وراء، بل نُثبِّت وجهنا نَحو ملكوت الله ويكون هدفنا واضحاً أمام أعيننا، نُجدِّد عهدنا كل صباح، وبدموعنا نغسل قذر خطايانا السالفة.

نعم يا ربنا يسوع المسيح، نحن في أشدِّ الحاجة إلى روح القضاء، روح الدينونة؛ بأن نجلس ندين أنفسنا كل صباح وكل مساء؛ نَحكم على أنفسنا قبل أن يُحكَم علينا، لئلا نسمع أخيراً "اذهبوا عَنِّي؛ لستُ أعرفكم"، فتكون المسيرة كلها باطلة. (٥٠)

---

(٥٠) صلوات الأب متى المسكين ص٤٨

يوم الأربعاء من الأسبوع الرابع

(مر ٤: ٣٥- الخ)

[وَقَالَ لَهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: «لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ». فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضاً سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ، فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِيءُ. وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائماً. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟» فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ! ابْكَمْ!». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟» فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً، وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضاً وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!»]

يسوع في السفينة (٥١)

إنجيل هذا الصباح يختص بالكنيسة وبالنفس البشرية، وآية اليوم هي: **«وكان هو في المؤخرة على وسادة نائماً»**.

قصة هذه الحادثة مذكورة في الثلاثة أناجيل وفي كل إنجيل يضيف آية أو يصف لمسة فيزيدها جمالاً. سأعلق على بعض الفقرات بقدر الإمكان.

لَمَّا كان المساء: دائماً في الإنجيل عندما نقرأ المساء؛ انتبه إن النور سيغيب، وأن ضيقاً سيأتي.

لنجتز إلى العبر: لم يسبق للمسيح أن قالها، ما معناها هنا؟ أيكون قصده عبور محيط العالم إلى الشاطئ الآخر؟

---

(٥١) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه: السفينة هي الكنيسة، لا بد أن يدخل هو أولاً ويعد لنفسه مكاناً فيها ثم بعد ذلك تدخل الكنيسة وراءه.

وفيما هم سائرون نام: فقد كانت الريح هادئة والجو معتدلاً.

كان هو في المؤخرة على وسادة نائماً: أمعقول أن ينام الرب هكذا؟

فحدث نوء عظيم: ولازال نائماً، **وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر:** ولازال نائماً، «**وكانت الأمواج تضرب إلى السفينة:** ولازال نائماً. مستحيل أن شخص ينام في مثل هذه الأمواج التي تضرب السفينة.وتغطيها.

«**وكانوا يمتلئون ماء**» لقد دخل الماء السفينة، وهو ما زال نائماً.

«**وصاروا في خطر**» ولا زال نائماً. فأيقظوه قائلين: «**يا معلم، أما يهمك إننا نهلك؟!**» هل معقول أن نهلك والرب موجود؟

«**فقام وانتهر الريح، وقال للبحر اسكت! ابكم!**» المسيح ألغى قوانينه التي وضعها هو.

«**فسكنت الريح وصار هدوء عظيم وقال لهم: ما بالكم خائفين، كيف لا إيمان لكم؟ وقالوا بعضهم لبعض: مَن هذا فإن الريح والبحر أيضاً يطيعانه**». مع العلم أن هذه المعجزة أصعب بكثير من أن يخلق الريح ويخلق البحر.

قلنا إن إنجيل هذا اليوم يتجه نحو الكنيسة، ولو رجعنا للقراءات، ستجدون أن الكنيسة كانت في ضيق عظيم، فقد قاموا على يعقوب أخي الرب وقتلوه، وهذا الإنجيل إشارة سرِّية لحال الكنيسة في عبورها محيط العالم بليله الطويل لتلاطمها الأمواج وتحدق بها المخاطر من كل جانب وتترصدها أهوال وراء أهوال، أجيال وراء أجيال، ثم الملاحون

فيها تأخذهم المظاهر فيفزعون إذ يرون الغرق قد أطبق عليهم، والمسيح كما هو.

في قصة هذا اليوم نحن نتكلم عن الكنيسة، وليس عن المركب، وإن كنا سنرجع إليها من حين لآخر.

قصة اليوم هي قصة مُبسطة للغاية لتاريخ الكنيسة وأهوال الزمان الذي صدمها وصدمته. كان المسيح نائماً على وسادة لا توقظه زعازع الدنيا ولا كان اضطراب العالم يُقلقه، ولم يزعجه تهديدات الهلاك الذي أحاط بالكنيسة؛ ولكن فقط همسة صراخ بالاستغاثة أيقظته في الحال، طلب النجدة أقامه ودفعه إلى المقدمة لينتهر ويصير سلام.

المسيح النائم: تعبير سري عميق. نحن سبق وعرفنا مسيح الكلمة، الخالق الفعَّال في الخليقة، الذي يقيم الخليقة بالكلمة، ويضبط حركتها ويحكم مسيرها، الذي الكل يتحرك ويوجد به. عرفنا المسيح الماسك بأعنة الكون، مجراته ونجومه وكواكبه، الحركة كلها تأتمر به؛ ولكن لم نعرف بعد شيئاً عن المسيح النائم. مسيح الهدوء. هو نائم عندك، نائم في مركبك. ليتك تحس به معي اليوم، لأن هذا ما يُعوزك. هذا هو المسيح النائم، مسيح السكون الأبدي الذي انطلقت منه أول حركة الخلق، وبقى كما هو مسيح السكون، مسيح الصمت الرهيب. لا تقربه حركة اضطراب، ولا يدنو منه قلق ولا يقلقه انزعاج. عندما بدأت الخليقة، بدأت معها الحركة، ومع الحركة بدأ الاضطراب. لأن الحركة انبثقت من السكون. السكون أولاً،

والسكون أصل، ثم الحركة فرع. المسيح هو السكون لا تؤثر فيه إفرازات الحركة التي تناطح فينا، ولكنها لا تستطيع أبداً أن تطاله. يبقى المسيح كما كان مركز السلام ورئيسه، مصدراً للهدوء والراحة. تعالوا إليَّ يا جميع المضطربين والقلقين والمنـــزعجين... تعالوا إليَّ: أهبكم السكون الذي يفوق العقل وأعطيكم السلام الذي يفوق كل تصور. أمنحكم الراحة التي لا يقربها ضيق ولا اضطراب.

الآن نعرف سر نومه هادئاً على وسادة، إنه لا يضطرب، إنه نائم في مركبك الضعيف بسلطان هدوئه وصمته الذي يفوق العالم وكل اضطراباته. فحينما تضطرب الأمور من حولنا، حينما تنقض علينا التجارب كأمواج البحر، حينما تلطم قاربنا الضعيف وتدخل المياه إلى أعماقنا لتكدر صفو حياتنا وتتهدد روحنا بالغرق.. فلنا معلم متوسد إيماننا في المؤخرة، معنا في ذات القارب، ويوحي إلينا بنومه بالهدوء الذي ينبغي أن يدخل قلوبنا ولا ينتظر منا إلا الاستغاثة. قُل إن ضعف إيمانك: إنه نائم ولكنه مستيقظ، نائم والهدوء ملء يديه.

نعود للتلاميذ، صرخوا له: «**أما تبالي أننا نهلك؟!**». والمسيح يقول لهم: كيف تهلكون وأنا معكم في نفس المركب؟! أنتم لو هلكتم سأهلك معكم!! لن أتركَكم تهلكوا، مستحيل. كيف تهلكون والخلاص معكم في ذات القارب. هذه مضادة لا يمكن أن تكون.

وهذه القصة مُسجلة على المسيح كوعد إلهي بالنجاة، كما هي أيضاً

مُسجلة لك ولي أيضاً.

لقد خدع هذا الاضطراب العظيم التلاميذ، أفزعتهم هذه المظاهر، أخافتهم هذه الاضطرابات، أفقدتهم الرؤية، رأوا الهلاك ولم يروا المسيح، انشغلوا بالغرق ونسوا أنهم مربوطون بطوق النجاة. كيف يأتي الموت من المقدمة والحياة رابضة في المؤخرة؟!!

قال لهم: أين إيمانكم؟ ترجمتها: أين أنا منكم.

«**وكان هو في المؤخرة على وسادة نائماً**»: هذه هي معيار القصة، ولابد أن تكون هي معيار حياتنا في رحلة العبور عبر المحيط.

صلاة

نشكرك يا رب،

لأنك تعطى شعبك وكنيستك قوَّة، كان يتأمّلها بولس الرسول قائلاً: "متقوِّين بكل قوَّة المسيح يسوع"، كل قوَّة.

نحن في ضعف شديد ولكن هذا لا يَخفى عن قلبنا وفكرنا.

نداؤنا إليك أنك لابدَّ أن تُقوِّينا، لأنك وعدتَ أن قوَّتك في الضعف تُكْمَل،

بل لنا أن نفتخر بضعفنا أمامك يا رب حتَّى تحلّ قوَّتك علينا، لأنه كيف تعطي قوَّتك للقوى؟ كيف تعطي حكمتك لحكيم بذاته؟ أو كيف تعطي نعمتك لإنسان يشعر أنه صاحب نعمة؟

ربنا، نقف أمامك وكأننا لا نملك شيئاً، مع أننا نملكك ونملك كل شيء بك وفيك.

ولكن اجعل هذه رؤيتنا الدائمة التي لا تفارقنا أننا لا شيء ولا نَملك شيئاً، مائتين بالحق،

وإن كنا نحيا فيك أنتَ وحدك نحيا وبروحك القدوس نحيا،

نحن محسوبون كقذر العالم ووسخ كل شيء، هذا هو فخرنا، لأننا بذلك نستطيع أن نلمح ولو من بعيد ذلك الإكليل الذي أُعدَّ لنا في اليوم الأخير.

زِدنا إيماناً لكي نستزيد عطية الروح القدس في هذه الأيام، سنعيش لك وسيكون فرحنا الوحيد بك، وسيكون أملنا ورجاؤنا الوحيد هو أنتَ، ويكفينا هذا: (٥٢)

(٥٢) صلوات الأب متى المسكين ص١٤٣

يوم الخميس من الأسبوع الرابع

(لو١٨: ٣٥- الخ)

[وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ أَعْمَى جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازاً سَأَلَ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ. فَصَرَخَ قَائِلاً: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي! فَانْتَهَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ لِيَسْكُتَ، أَمَّا هُوَ فَصَرَخَ قَائِلاً أَكْثَرَ كَثِيراً: يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي! فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ سَأَلَهُ قَائِلاً: مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ فَقَالَ: يَا سَيِّدُ، أَنْ أُبْصِرَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَبْصِرْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ. وَفِي الْحَالِ أَبْصَرَ، وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللهَ].

أعمى أريحا (٥٣)

قصة من القصص الشديدة الحيوية والتوضيح، ومُلقبة بقصة أعمى أريحا. وهو الأعمى الوحيد الذي ذُكر اسمه: ابن تيما، ويقول التقليد بخصوصه إنه التحق بجماعة المسيح وصار يتبعه، بل إنه حُسب عضواً في الكنيسة وصار له عمل. ويمتاز الأعمى بن تيما بالحساسية؛ إذ شعر بالمسيح من على بُعد، وبالإلحاح الشديد المُتبجح إذ منعوه من الصياح فزاد صياحاً، وأبدى في القصة حركة وسرعة إذ أول ما دُعي للمقابلة ألقى ملابسه وجرى نحو المسيح ليقتنص الفرصة وقد سنحت له بعد سنين عذاب.

---

(٥٣) الإنجيل بحسب القديس مرقس ص٤٥٨

«وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ أَعْمَى جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازاً سَأَلَ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ. فَصَرَخَ قَائِلاً: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!»

نحن هنا خارج أريحا وداخلون على المدينة، وطبعاً كان مكان الأعمى المختار هو على باب المدينة.

كان لهذا الأعمى حساسية مشاعر، فهو يبدو أنه أحسَّ بروحه أن إنساناً عظيماً قادمٌ، وأن في يده معجزة شفائه. لذلك كان صراخه لا يُطاق كمَنْ يستغيث بالمسيح من جحود البشر. ويبدو أنه أحس بالروح أن اللجاجة هي سلاحه الوحيد ليصل صوته إلى أُذن الله؛ فكان!!

والذي ينتبه إلى الحوار الذي دار بين الأعمى والسائرين بجواره يشعر في الحال أنه إنسان مغلق العين، نعم، ولكن مفتوح القلب، لأن الذي حسبه وجده، فهو سأل لا لمجرَّد قراءة أخبار بل سؤالاً للحياة فكان له ما أراد!

ولو أنصفنا في تقدير هذا الأعمى لأدركنا فيه البشرية الذليلة المطروحة على باب المدينة اللاهية، وهم الذين أشار إليهم السيد بسكّان خارج السياجات. فالأعمى يمثّل قطاع الشعب المحروم من النور.

«فَانْتَهَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ لِيَسْكُتَ، أَمَّا هُوَ فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيراً: يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!»

هي لحظة تأخير واحدة وتكون فرصة النور والحياة قد ضاعت منه، كان هو يحسّ ذلك. لذلك مهما تكاثر صوت الرفض والتعويق حوله

فلم يستطع أن يغلب الصراخ المرتفع ليصل من فوق رؤوسهم أو قلوبهم لصاحب القلب الذي أحسَّ به هو والأُذن التي تسمع ما قبل الصراخ.

لم يدرِ هؤلاء القوم أن المسيح ضبط اللحظة ضبطاً ليكون هنا بجوار الأعمى قبل أن يبدأ الرحلة. فالرب دائماً هو على ميعاد مع الصارخين، فهو سامع الصراخ؛ بل همس الروح وتنهُّد القلب. هو يرى الدموع وهي لا تزال تملأ العين قبل أن تسقط! فالذي قدَّم حياته ودمه فدية للخاطئ يعرف كيف يحتضن الحزين والمتألِّم، حتى ولو أدَّى الأمر أن يخلق له عينين عوض التي سلبتها منه الطبيعة. فالمسيح لا يريده أن ينظر فقط؛ بل يريده ألاَّ يشعر بالألم والحرمان فهو في كل ضيقتنا يتضايق.

لمَّا سمع المسيح كلمة: يا ابن داود أدرك أن هذا ليس أعمى عادياً بل إنسان يرى ما لا يراه البصير، فهو يكلِّم المسيح بكلمة السر التي طالما أخفاها عن تلاميذه. ولكي يتأكَّد القارئ أني أقول الصدق اسمع ما قاله المسيح عن إيمان هذا الأعمى الذي فاق كل إيمان، لقد آمن به أنه مسيَّا وصرخ له باعتباره أنه جاء وأتى إليه خصيصاً فهو عمله. أي أن تفتيح عينيه هو أول عمل من أعماله كابن داود، المسيَّا الآتي. فالكلمة استوقفته في الحال و لم يستطع أن يتجاوزه خطوة.

«فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ سَأَلَهُ قَائِلاً: مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ فَقَالَ: يَا سَيِّدُ، أَنْ أُبْصِرَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَبْصِرْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ».

أرجو أن تلاحظ، عزيزي السامع، إلى أمر المسيح بأن يقدِّمونه إليه. وفي الحقيقة لقد تلقى المسيح أمراً سابقاً من خليقة أخطأت الطبيعة في توريثها الصحة والنظر، والأمر هنا يتعلّق بخالقها، فهو وحده الذي يصحِّح ما أساء به الزمن. ولكن لولا إيمان الرجل ما وقف المسيح هذه الوقفة، فإيمان الرجل الذي ينطق به صراخه جدير بأن يُسمع إليه. وابتدره المسيح: بـــ ماذا تريد أن أفعل بك حتى يحس الأعمى أن إرادته حَمَلها فوق إيمانه، فكانت هي مفتاح الاستجابة: "إيمان وإرادة" معاً.

إلى هنا تكون المعادلة الإيمانية قد تعانقت مع المعجزة ليكون له ما يريد. لقد أبصر الأعمى بعد سنين هذا عددها وربما كان مولوداً كذلك، لا فرق! وبقول المسيح: إيمانك قد شفاك يكون قد أعطانا منهج المعجزة وأوضح لنا أن بداخلنا قوة قادرة بالإيمان أن تعمل المعجزات: فهو القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا

«وَفِي الْحَالِ أَبْصَرَ، وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللهَ».

أكثر ما يسترعي اهتمامنا هنا أن الشفاء تمَّ في الحال! فالإرادتان اتحدتا، إرادة الآخذ وإرادة المعطي. لهذا، كان العمل يستوجب تمجيد الله وتسبيحه فعلاً، لأن هذه المعجزة أظهرت المسيح بصورة الخالق المقتدر الحنَّان. أمَّا الأعمى فهو أعظم مَنْ يمثِّل الإنسانية الموجوعة.

صلاة

اسْمعنا يا ابن الله، تعالَ في وسطنا اليوم، جدِّد عهودنا أمامك، اُسْكُبْ من عطاياك داخل قلوبنا لنتعرَّف على حقيقة نفوسنا أمامك. إن كنّا نسينا خطايانا، بكِّتنا بروحك. وإن كنتَ تبكِّتنا ولَم نتُب، اضرب. خَيْرٌ لنا أن ننكسر أمامك بالجسد ولا نُحرَم بالروح من ميراثك. علِّمنا يا رب، وإن قسَّينا قلوبنا، قَسٌّ أنتَ عصاك على ظهورنا لكي نتأدَّب ونُقوَّم، لأنه إن كُنَّا تَحمَّلنا تأديب أبوينا بالجسد، ألا نتحمَّل تأديب أبي الأرواح، لكي عِوض التأديب يُعطى المَجد!!

يا رب تأخَّرنا كثيراً عن أن نكون حسب قلبك. تأخَّرنا كثيراً أن نكون حسب الدعوة التي دُعينا إليها. ولكن، يا رب، يكفى، لا تَجعلنا نستغلّ صَبْرك في عنادنا وفى قسوتنا لئلاّ نذخر لنا غضباً يوم الغضب.

نَجِّنا من الغضب الآتي يا ابن الله بتوبة تليق بقديسيك يا ابن الله؛ توبة تليق بهذا المكان الذى موَّن السماء بأرواح أبرار كثيرين في المجد. الآن هم يشفعون عنّا، هم يعرفون الطريق ويؤازروننا.

مدّ يدك يا ابن الله وامسك بيميننا، قُدنا في الطريق، وسِرْ بنا. وإن كان الطريق عسراً وصعباً، ولكن أنتَ تحملنا حينما تقسو علينا الأيام والخطايا بشدَّتها، ارفعنا؛ احْملنا.

ألا نراك كل حين أمامنا في الصور كراعٍ صالح يحمل الخراف الضعيفة التي كدَّها التعب؟ الطريق، يا ربي، شاقّ علينا جداً، وضاعت آثار آبائنا الأماجد، بصعوبة نستطيع أن نستجلي أعمالهم وأفكارهم. أنتَ وحدك الذي تستطيع أن تعلِّمنا. ارفعنا يا ربِّى إليك. (٥٤)

---

(٥٤) صلوات الأب متى المسكين ص٢١٣

يوم الجمعة من الأسبوع الرابع

(مت١٥: ٢١- ٣١)

[ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ. ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ أَعِنِّي!» فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». فَقَالَتْ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا». حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ. ثُمَّ انْتَقَلَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى جَانِبِ بَحْرِ الْجَلِيلِ، وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَجَلَسَ هُنَاكَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، مَعَهُمْ عُرْجٌ وَعُمْيٌ وَخُرْسٌ وَشُلٌّ وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ، وَطَرَحُوهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ. فَشَفَاهُمْ حَتَّى تَعَجَّبَ الْجُمُوعُ إِذْ رَأَوُا الْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ، وَالشُّلَّ يَصِحُّونَ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالْعُمْيَ يُبْصِرُونَ. وَمَجَّدُوا إِلهَ إِسْرَائِيلَ].

المرأة الكنعانية (٥٥)

تعلمون يا أحبائي أننا في موسم الأربعين المقدسة التي فيها انطلق الرب إلى البرية منفرداً وحده لكي يُكمِّل لنا فيها نُصرة عظيمة وعجيبة على العدو. معروف أن الرب لم يخرج للبرية بنفسه، كان لابساً جسد إنسان، أي طبيعتنا البشرية التي ظلت تحت سطوة الشيطان وتحت الانكسار لسنين

(٥٥) عظة على إنجيل هذا القداس في الصوم الكبير سنة ١٩٧٣

كثيرة جداً. تقدم المسيح ليُجرَّب من الشرير، وكأنه يقول للشيطان هذه هي طبيعة الإنسان اصنع بها ما تريد.

تعلمون أن المسيح جُرِّب وانتصر في ثلاث مواقع خطيرة: الموقعة الأولى: خبز الجسد، شهوة البطن، تلك الضربة التي أوقعت أبينا آدم، والتي مازالت البشرية تعاني منها حتى يومنا هذا. الموقعة الثانية: تجربة النـــزول من على جناح الهيكل بمجد عظيم، تجربة الكرامة البشرية، تجربة المجد الذي نسرقه من الله وننسبه لأنفسنا. الموقعة الثالثة: قال له إبليس: أعطيك ممالك العالم إن هو سجد له، إنها شهوة الامتلاك. هذه الآفة التي نتعرَّض لها جميعنا، ولكن المسيح سلَّم بشريتنا الضعيفة النُصرة على هذه التجربة، لكل من يريد.

والآن نأتي إلى إنجيل اليوم: «**فأجاب يسوع وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ليُعطى للكلاب**».

في الحقيقة إن كل من يقرأ هذا الكلام الصعب يجزع، فلم يسبق أن قال المسيح الوديع اللطيف مثل هذا. ولكن لو أننا فهمنا عُمق هذه الآية جيداً، سوف نفهم الإنجيل، وسوف نفرح جداً ونتعزى جداً ونتقوى جداً.

يذكر الإنجيل أن يسوع مضى لتخوم صور وصيدا. ومعروف أن هذين البلدين هما من مدن كنعان، وكانت تعبد إلهاً اسمه: " بعلزبول" أي "إله المرتفعات"، ولما كان اليهود يسخرون من هذه الشعوب الوثنية؛ فقد حرَّفوا الاسم إلى "بعلزبوب" أي إله الذباب. كانت عبادتهم مستهترة نجسة

تُرتكب فيها الفضائح ويذبحون الأولاد ويقدمونهم للبعل.

لم يكن المسيح متجنياً على هذه المرأة. لقد كان من طبيعة اليهود أنهم يُعبِّرون عن النجاسة بالكلاب، لدرجة أن اليهودي إذا وقع عليه ظل كلب لابد أن يتطهر. في مرة أحس داود النبي أنه أغضب الله، فقال: أنا كلب ميت، أي منتهى الاحتقار لنفسه؛ وهكذا كل إنسان يحس بالنجاسة لابد أنه يقف أمام الرب ويقول له: أنا كلب!!

أما هذه المرأة الكنعانية الوثنية لم تكن فقط تعبد بعلزبول عبادة شفاهية؛، بل كانت تشترك مثلهم في تقديم الذبائح، وربما كانت قدمت كعكة لعشتاروت قبل أن تأتي. لذلك هي قبلت هذه الصفة دون أن تشعر أن المسيح تجنّى عليها أو أساء لها بهذا اللقب.

أرجو أن تلاحظوا جيداً المراحل التي تدرج فيها المسيح في تعامله مع هذه الكنعانية:

أولاً: المسيح لم يُظهر نفسه منذ البداية لهؤلاء الأمم، لقد أخذت هذه المرأة تستقصي أخباره شهوراً طويلة، تسأل هل يمكن أن يأتي المسيح إلى بلادها، إلى أن سمعت خبره أنه سيزورهم، أخذت تبحث عنه إلى أن وجدته في بيت، فوقفت خارجاً، وأخذت تصرخ وتصرخ ارحمني، أيها الرب، ابن داود. لم يجبها المسيح بل تصامم عنها.

ثانياً: المرأة يزداد صياحها، فيحاول التلاميذ أن يصرفوها، ولكن صياح المرأة كان أكبر من أن يُسكِتوه، فطلبوا من الرب أن يفعل شيئاً لكي

يصرف هذه الوثنية المزعجة، فيصدمها الرب ويقول: إنه أتى فقط لشعب إسرائيل، فهو مُرسل لأجلهم وليس للغرباء. كلام قاطع، ليس فيه تأويل، إذن عليها الانصراف وعدم الإزعاج.

ثالثاً: لم تنصد المرأة، لم تُصبْ بخيبة أمل، لم تفشل، بل ازداد صراخها، لم تعمل اعتباراً لعدم استحقاقها، والأعجب أنها سجدت له، سجود يعني العبادة، يعني الجحد لماضيها وآلهتها. ولكن الشيء المُحيِّر أن الرب يصدُّها للمرة الثانية ويُذكِّرها بأصلها الوثني وأنها لا يحق لها التقدم لمشاركة الأسياد طعامهم، فخبز البنين مقصور عليهم فقط.

هنا المرأة ترتفع بإيمانها إلى أعلى وأعظم ما يكون الإيمان، هي لم تنكر أو تعترض على ما قاله المسيح، بل هي أيَّدت كلامه، قالت بمنتهى الاتضاع الفائق أنها فعلاً لا حق لها في أكل طعام البنين، بل حتى الكِسر كثيرة عليها، ولكنها طمعانة ومتعشمة فقط في الفتات الساقط الذي لا يُعطى باليد بل يسقط عفواً تحت المائدة من طعام الأسياد.

وكأن المسيح كان ينتظر هذا الإيمان، كان يتلهف عليه، بحث عنه و لم يجده في البنين، في شعبه.

ونحن نسأل على مَ اعتمدت هذه المرأة العظيمة الإيمان، ما الذي استندت عليه في الجرأة التي تقدمت بها؟

لم يكن لها دالة أو استحقاق أو ميزة في أي شيء، ليس لها أعمال تشفع فيها، بلا ناموس أو شخص يصلي عنها.

لم تعتمد على أي شيء فيها؛ ولكن، كان كل أملها وأمانتها ورجائها في المسيح فقط، هذا هو رصيدها الأكبر والأوحد، فكان إيماناً صافياً لا تشوبه شائبة بشرية. وفي الحقيقة، إنه عندما يكون إيماننا غير معتمد على ذواتنا أو مقدرتنا؛ بل على المسيح وحده؛ هنا يرتفع الإيمان ويساوي في قامته المسيح نفسه. أما إذا اعتمد الشخص على أعماله وعشوره وأصوامه، يكون قد انتزع من الله قدرة العمل، ويقول له الرب ليس لك شيء عندي.

إياك أن تقول أنا ضعيف وخاطئ، ولذلك ليس لي دالة عند المسيح؛ فحتى لو كنت هكذا فعلاً؛ تعال انظر لهذه الكنعانية، لم يكن لها رصيد من أي شيء روحي تستند عليه، ومع هذا دخلت للرب مباشرة، ولم يستطع الشيطان أن يمنعها. صلِّ للرب وقُل له: {**أنا محتاج جداً إليك، ابنتي مريضة، تعال اشفها..**}. فلابد أن تأخذ، لابد أن تنال، لن تخرج أبداً فارغاً.

يا أحبائي، أرجوكم أن تنتبهوا لهذا الإبْجيل: ففي كل مرة تقف تصلي وتحس في نفسك أنك أفضل من غيرك، فلن تأخذ شيئاً؛ ولكن إنْ قلت إنَّ كل إخوتي، يا رب، يستحقون خبز البنين أما فلا أستحق شيئاً، فسوف تخرج شبعاناً جداً، وكل ما تتمناه تأخذه.

فأجابها يسوع: «**عظيم إيمانك! ليكن لكِ كما تريدين**».

صلاة

يا لِمجدك يا ربي يسوع المسيح، يا إلهنا الصالِح،

هذا الشعب المبارك الذي قلتَ عنه: افتحوا، افتحوا الأبواب لتدخل الأمّة البارّة والشعب الحافظ الأمانة.

هذا الشعب، يا سيدي، الذي حفظ أمانتك وخرج وراءك في البَرِّية ليأكل خبز البنين،

أعطِه الشبع، وأعطه الإيمان الذي يدوم معه إلى الأبد، الإيمان الذي يُغذيه بكل ما تشتهيه نفسه في اسْمك وباسْمك يا ابن الله.

كل امرأة مَحزونة من أجل ابنتها، أعطِها إيمان الكنعانية.

كل رجل وكل شاب محزون من أجل ابنه أو أخيه، أعطِه يا رب في هذا اليوم إيمان الكنعانية،

ليعود إلى بيته وهو كسبان ورابِح نفسه هو وجسده وحياته وحياة أسرته.

يا إلهنا الحي، يا من كنت مع الكنعانية وأعطيتها كل ما سَأَلَت،

أعطِ عبيدك سُؤل قلبهم، يا رب، أن تشفي وحيدهم؛ ووحيدة كل واحد منا هي نفسه. (٥٦)

---

(٥٦) صلوات الأب متى المسكين ص٥٠

قداس الأحد الرابع

(يو ٤ : ١- ٤٢)

[فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصَيِّرُ وَيُعَمِّدُ تَلاَمِيذَ أَكْثَرَ مِنْ يُوحَنَّا، مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلاَمِيذُهُ، تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضاً إِلَى الْجَلِيلِ. وَكَانَ لاَبُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ. فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوخَارُ، بِقُرْبِ الضَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِه. وَكَانَتْ هُنَاكَ بِئْرُ يَعْقُوبَ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكَذَا عَلَى الْبِئْرِ، وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاءَت امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَعْطِينِي لأَشْرَبَ»، لأَنَّ تَلاَمِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبْتَاعُوا طَعَاماً. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: «كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لأَنَّ الْيَهُودَ لاَ يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ. أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، لاَ دَلْوَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيه؟». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيه أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيه يَصِيرُ فِيه يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا»، أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ: «لَيْسَ لِي زَوْجٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «حَسَناً قُلْتِ لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي

يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ». وَعِنْدَ ذلِكَ جَاءَ تَلاَمِيذُهُ، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ. وَلكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: مَاذَا تَطْلُبُ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا؟ فَتَرَكَتِ الْمَرْأَةُ جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: «هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَاناً قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟». فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ. وَفِي أَثْنَاءِ ذلِكَ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، كُلْ» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لِي طَعَامٌ لآكُلَ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ». فَقَالَ التَّلاَمِيذُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَلَعَلَّ أَحَداً أَتَاهُ بِشَيْءٍ لِيَأْكُلَ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ. أَمَا تَقُولُونَ إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ يَأْتِي الْحَصَادُ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمُ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ. وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَراً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعاً. لأَنَّهُ فِي هذَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ: إِنَّ وَاحِداً يَزْرَعُ وَآخَرَ يَحْصُدُ. أَنَا أَرْسَلْتُكُمْ لِتَحْصُدُوا مَا لَمْ تَتْعَبُوا فِيهِ. آخَرُونَ تَعِبُوا وَأَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ عَلَى تَعَبِهِمْ». فَآمَنَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ بِسَبَبِ كَلاَمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ أَنَّهُ: «قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ». فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّونَ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ، فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ. فَآمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جِدًّا بِسَبَبِ كَلاَمِهِ. وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ: «إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ نُؤْمِنُ، لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ].

ماء يسوع المحيي

«كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد».

موازنة دقيقة وملهمة بين ماء هذا العالم الذي يتهافت الناس جميعاً على الشرب منه؛ وبين الماء الذي يعطيه المسيح. ولكن يزيد المسيح أن ماء العالم من يشرب منه يعطش أيضاً، وربما إذا امتنع عليه أن يشرب يموت عطشاً. ويعود المسيح ويقدم الماء الذي هو، في الحقيقة ليس ماءً بذات الصفات والطبيعة، ولكن بصفات وطبيعة أخرى، فالماء الذي يعطيه، من يشرب منه لا يعطش أبداً.

المسيح هنا يستخدم الماء، موضوع الحوار، من واقع حال الإنسان، فيما يخص جسده، وفيما يخص روحه؛ فيما يخص حياته على الأرض، وفيما يخص حياته الأبدية.

فالجسد يعطش ويعطش ويعود إلى الماء في كل مرة، فهو لا يرتوي أبداً أبداً؛ ولكن الروح تعطش؛ فإذا ارتوت فلن تعطش أبداً، لأنها ترتوي من ماء الحياة الأبدية، أو الماء الحي أو الماء الحقيقي.

المسيح يضع إصبعه على نفسه ويشير إلى ذاته. فالماء الذي هو يعطيه، هو عطية الاستعلان التي إذا سكبها على قلب إنسان ووعيه فإنه يتعرف على حقيقة المسيح، فيدخل مجال الحق الإلهي وينتمي بروحه إلى

السماويات، ولا تعود الأشياء التي في الدنيا تُشبعه وترويه.

والمسيح يضرب على الوتر الحساس ليرنَّ صوته في أعماق النفس المتعبة التي نهبتها الشهوات والملذات والجري وراء سراب الغرور والمتعة، التي كلما شربت منها النفس ازدادت عطشاً إليها دون أن يدري الإنسان أنها تمتص رحيق حياته ونضارته وإرادته وكرامته، وأخيراً تتركه صريعاً للندم واليأس وخيبة الأمل.

كل من أدْمنَ على شرب المياه المُعطشة هنا، يتمنى في يوم من الأيام لو لم يولد حينما يبلغ به العمر أرذله؛ أما الذي ذاق الحياة في المسيح فهو كل يوم يولد جديداً.

كل من ضيَّع العمر في ملذات هذا الدهر وضيَّقت عليه الدنيا بعد ذلك، يتمنى لو يموت؛ أما الذي استعلن المسيح واستنشق الحياة الأبدية فيه، فهو يحيا كل يوم حياة جديدة ولن يموت أبداً. (٥٧)

ماء العالم، كل الذي يشرب منه يعود ويعطش أيضاً، لأنه ماء نابع من الأرض. ولكن جاء المسيح ومعه ماء حيٌّ، أي فيه روح الله. كل من يشرب منه يصير هو نفسه ينبوع ماء حيّ، يخرج من بطنه، أي من قلبه، أنهار من هذا الماء الحيّ، أي الذي فيه روح الله.

ومن عجائب هذا الماء الحيّ الذي جاء به المسيح من فوق، أن كل من

---

(٥٧) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ص٢٨٤

شرب منه لا يموت، حتى ولو داهمه موت الجسد، فهو يقوم من الموت إلى الحياة الأبدية. والمسيح هنا يقصد بالماء الحيّ أنه تعاليمه التي فيها سرّ الحياة الأبدية. وكلمة المسيح تروي النفس العطشانة إلى الحق. والجوع والعطش إلى الحق لم نسمع به إطلاقاً إلاّ بعد أن جاء المسيح، المحسوب أنه هو بذاته "كلمة الله"، التي هي الحق. لذلك صرَّح المسيح بوضوح أنه "الطريق والحق والحياة". أما الطريق فيقصد به أنه هو واسطة العبور من الأرض إلى السماء، حيث عرش الله. أما الحق فهو استعلان سرّ الله المؤدي إلى الحياة الأبدية. وأما الحياة فهي الحياة الأبدية ذاتها. وهذا كله مكنون في تعاليمه ووصاياه. لذلك يقول المسيح في إنجيل القديس يوحنا: «إنَّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة».

والعجيب حقًّا أن كل من ارتوى بكلام المسيح، يصير هو نفسه ينبوع ماء حيّ، لا إلى ساعة أو يوم، بل إلى الأبد. كل من يسمعه يكون كمن سمع المسيح نفسه، وكما ارتوى يُروي أيضاً. وهكذا يعيش المسيح في كل من آمن به وأحبه. كما يقول بولس الرسول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ». وهكذا يصبح من يؤمن حقاً بالمسيح يصير هو أيضاً ينبوع ماء حيّ. وكأنما يعيش المسيح في كل الناس، كل من آمن وأحب.

وكما أن الماء الطبيعي يُحيي الإنسان كل أيام حياته، هكذا كلمة المسيح تُحيي كل من يسمعها، وتدخل إلى قلبه وتُصيِّره ينبوع ماء حيّ. وكما أن

الماء للعطشان حلو ولذيذ، يظل يشرب منه إلى أن يمتلئ؛ هكذا كلام المسيح لمن يستمع إليه حلو ولذيذ، يظل يشرب منه ليعود ويشرب أيضاً حتى آخر حياته. وكما أن الماء الطبيعي مركّب من أوكسجين وهيدروجين، كذلك كلام المسيح مركب من حق ونور، الحق يكشف والنور يقود. ولكن الماء الطبيعي يشربه الإنسان ويظل في مكانه، أما الماء الحيّ فيشربه الإنسان ويرتقي إلى السماء. وماء الطبيعة له ينابيع وعيون بلا عدد تغطي وجه الأرض، أما الماء الحيّ فله ينبوع واحد في السماء يملأ كل السماء.

يا لسعد البشرية بمجيء ابن الله، حاملاً سرّ الماء الحيّ ليُحيي به الإنسان إلى الحياة الأبدية. (٥٨)

صلاة

يا ربنا يسوع المسيح، أعطِ عبيدك العطش الحقيقي.

كلنا، يا رب، نعطش ونشرب الماء. أعطِ لكل نفس عندما تعطش إلى كوب ماء أن تذكر عطشها الحقيقي إليك، لكي تشرب منك وترتوي ولا تعود تعطش أبداً أبداً لهذا العالَم، لا لغناه ولا لمجده ولا لخطاياه ولا لأباطيله.

لا تجعل إنساناً يعطش لشيء مِمَّا في هذا الدهر، بل يكون عطشه هو للمسيح فيغتني ويرتوي.

أمين، ليتمجَّد اسْمك في كنيستك من الآن وإلى الأبد، آمين(٥٩).

---

(٥٨) مع المسيح ج٤ ص١٠٠

(٥٩) صلوات الأب متى المسكين ص٥٢

الأسبوع الخامس
من الصوم المقدَّس

يوم الاثنين من الأسبوع الخامس

(لو٩: ١٢-١٧)

[فَابْتَدَأَ النَّهَارُ يَميلُ. فَتَقَدَّمَ الاثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ: اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَاماً، لأَنَّنَا هٰهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ. فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا. فَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ، إِلاَّ أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ طَعَاماً لِهذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ. لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: أَتْكِئُوهُمْ فِرَقاً خَمْسِينَ خَمْسِينَ. فَفَعَلُوا هٰكَذَا وَأَتْكَأُوا الْجَمِيعَ، فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ، ثُمَّ كَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعاً. ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً].

معجزة إشباع الجموع (٦٠)

«فَابْتَدَأَ النَّهَارُ يَميلُ. فَتَقَدَّمَ الاثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ: اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَاماً، لأَنَّنَا هٰهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ».

واضح هنا أن الجموع التي تبعت المسيح ليست من سكّان المكان، والمكان فعلاً قفر لا يصلح لمبيت ولا يوجد فيه ما يؤكل. وربما كان المكان أيضاً ليس أرضاً يهودية بل قفراً تابعاً لأراضي المدن العشر الأممية، حيث يعزّ الضيافة والمبيت.

«فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا. فَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ، إِلاَّ أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ طَعَاماً لِهذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ».

---

(٦٠) الإنجيل بحسب القديس لوقا ص٣٨٨

الدَّرس الذي يريد ق. لوقا أن يعطيه للكنيسة هو: أن الكنيسة مسئولة عن إطعام الشعب الجائع حتى ولو كانت فقيرة وليس لديها فلسان ولا لحسة زيت ولا شيءٌ في كُوَّار الدقيق. فهنا يؤسِّس الرب مبدأً على استفسار التلاميذ أن الكنيسة مسئولة، وليس لها أن تتجاهل منابع الزيت والدقيق الذي وضعته أرملة صرفة صيدا في خزانة الكنيسة، أو تتجاهل صنارة ق. بطرس فهي سند كبير يمكن أن يُطعم ويملأ الخزانة بالمال، هذا بجوار الاثنتي عشرة قفة التي أمر المسيح أن تُستودع في مخازن الكنيسة لوقت الحاجة. لأننا نحن، بالرغم من النعمة التي نحن فيها مقيمون، ولكن نحتاج لبواقي وفضلات القديسين نسند بها قلبنا إن جفَّ نبعه الجديد. كذلك شبكة ق. بطرس التي كانت قد طُرحت على يمين السفينة موجودة في خزانة الكنيسة يمكن أن تنفع ساعة القحط وتعب الليل كله ولا يوجد الإدام.

«ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين، إلاَّ أن نذهب ونبتاع طعاماً لهذا الشعب كله» إن أرقام رئيس مالية كل كنيسة لا تكذب فهي دائماً أقل ودائماً لا تكفي لشيء، هذا كله يسمعه الله ويتعجَّب ويقول: ألا يوجد في وسطكم صبي تكون أُمه قد دسَّت في مخلاته خمسة أرغفة وسمكتين؟ فقبل أن يعلن الرؤساء إفلاسهم ينبغي أولاً أن يصرخوا إلى الرب، فالرب لا يمطر من نفسه ذهباً ولا فضة ولكنه يضعها في مخلاة صبي. فلتبحث الكنيسة عن الإيمان الذي فيها، فرُبَّ صبياً له عند المسيح دالة، فالمسيح سبق وألهم الصبي أن يطالب أُمه بالخبزات والسمكات قبل أن يجري مع الرفاق ليلحقوا

بالمسيح، أو تكون أُمه وضعتها في مخلاته متوسلة أن يستخدمها وقت الجوع. فالنعمة تتكفَّل من ذاتها بترتيب كل شيء وليس علينا إلاَّ أن نبحث عن المُلهَمين الذين أعطتهم النعمة مسئولية الجماعة كلها وهم لا يدرون.

«لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: أَتْكِئُوهُمْ فِرَقاً خَمْسِينَ خَمْسِينَ. فَفَعَلُوا هكَذَا وَأَتْكَأُوا الْجَمِيعَ».

أمَّا الأمر بجلوس الشعب فجيد، أمَّا أن يجعلوهم صفوفاً والعدد خمسين فهذا رفع من اندهاش كل من الناس والتلاميذ، أين الطعام؟ فالشعب يعرف أنه ليس من خبز ولا إدام فمن أين يأتي بالطعام؟ وهنا في الحال استحضر الشعب ذكرى المن السماوي، بل وحتى المن غير منتظر لأن المن كان يسقط والشعب في خيامه، وفي الصباح كل واحد يجمع لنفسه. وهذه أول إشارة لسرِّية القصة التي ستتعجَّب عليها البشرية كل الأيام والسنين. لأن وضع هذا الشعب هكذا صفوفاً صفوفاً وكل خمسين معاً يعني أن المن في وسطهم ولن يقوموا ليبحثوا عنه لا في السماء ولا على الأرض، إذ حتماً سيأتيهم وهم جلوس!!

«فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ، ثُمَّ كَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ».

كل عيون الشعب مُسلَّطة على الرغيف الذي في يد الرب، والكل رآه وهو يرفع عينيه نحو السماء، فابتدأ الشعب يحس بالسرِّ، لأن هنا الآن الخبز أخذ السر، سر البركة، من فوق من الآب ومن يد المسيح وقوة الروح القدس

التي بدأت تكسر وتعطي الشعب، وإذ بالرغيف الذي انكسر لا يريد أن ينقص. هنا القوة، والسر في الكسر، هنا فعل سماوي روحي لاهوتي أزلي أبدي معاً، مطلق بمعنى فعل لا ينتهي. لقد ابتدأ سر الإفخارستيا كفعل بركة وشكر من فم المسيح وهو يدعو الآب ليشترك بالروح! "سر الكسر" كفعل خَلْق مستتر في الكسر وفي اليد التي تكسر، يملأ كل تلميذ حجره، وبمجرَّد ما يستدير ويعطي المسيح ظهره ليمشي يعود الرغيف بكماله الذي كان عليه. الخبز حقيقي خبز قمح، ولكن الكسر فعل إلهي لا يتأتَّى منه نقص، فبمجرَّد أن ينكسر يعود الرغيف صحيحاً وكأنه لم ينكسر. وهذه سمة الروح لا ينكسر ولا يتغيَّر ولا يزول وفيه القوة غير المنظورة وغير المحسوسة، يأخذها المتناول في فمه لتدخل أحشاءه لتصنع عملها الروحي، وهي بآن واحد خبزة تُؤكل وتُهضم، ولكن أثرها الروحي باقٍ في الإنسان. اللقمة الصغيرة كالكبيرة لأن الخواص الطبيعية لا تهم، ولكن عمل الروح الذي فيها يعمل عمله في الإنسان الذي يقبلها بالروح والإيمان.

«فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعاً. ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً».

هناك فعلان: «شبع»، و«فضل»، الامتلاء والفيض. وهذا هو سمة العمل السماوي: الكيل الملبَّد المهزوز أي الملآن الفائض، لأن كل هزَّة في الملء تجعله يفيض.

أتوا إلى المسيح جائعين فارغين فذهبوا شباعى، والذي فاض عنهم يملأ اثنتي عشرة قفة.

إنَّ قصة الخمس خبزات والخمسة آلاف، وهي القصة التي انكسر فيها رقم (٥) ليمتد إلى اللانهائية بلا توقُّف ولا حدود؛ تمثِّل سر تحوُّل المادة في يد المسيح إلى روح، والزمن إلى أبدية وخلود، الأمر الذي تجسَّد ليكمِّله في نفسه والإنسان معه.

صلاة

نتوسَّل إليك أن نعرفك المعرفة الحقيقية التي ليست بالكلام ولا بالفهم؛ ولكن معرفة العِشرة؛

معرفة التقديس في الروح؛ معرفة الحياة يوماً بيوم وساعة بساعة في حضرتك.

نتعرَّف على حقوقنا المنسيَّة. نتعرَّف على نصيبنا المؤمَّن لنا والمحفوظ في السماويات.

بارك كنيستك من أقصى الأرض إلى أقصاها.

بارك كنيسة مصر التي عاشت تحت الآلام كل الحياة حتَّى اليوم، واجعل لها من الاضطهاد والآلام فرصة لكي ما تشترك في المجد، أو كيف نرى مجدك أو نشترك فيه دون أن نشترك في آلامك.

ليتنا لا نخزى من صليبك؛
وليتنا لا نجزع من آلام الذين يضطهدوننا؛
وليتنا لا نرتعب من حرق كنائسنا،

ولكن نريد يا رب أن تُعلن حقك في قلوبنا، لنعلنه للعالم كله لكي يعرف العالم أننا لا نعيش بأنفسنا ولكن بك وبروحك القدوس، وأنَّ العالم كله لا يستطيع ولا يقدر على كنيستك، حتَّى أبواب الجحيم تُحرَق وتظل أبواب

الكنيسة مفتوحة على مَمر الدهور للقلوب الأمينة؛ تسجد وتعبد بالروح والحق.

نعم يا رب، قوِّ شعبك في هذه الأيام ليعرفوا أن نصيبهم في السماء وأن سيرتهم مكتوبة في السماء وليست على الأرض، لكي يطلبوا ما هو باقٍ ولا يحزنوا كثيراً على ما يفنَى ويزول.

بارك رئيس شعبنا، اجعله وسط هذه المحَن قادراً أن يُعلن اسْمك، وأن يتمسَّك بحقك وأن يدافع عن إيمان كنيستكَ بقوة، لكي ما يُسمَع اسم يسوع المسيح في العالم كله.

بارك كل مَنْ يشهد لك، بل بارك كل مَنْ يتألَّم عنك وبك، يا رب.

أعط قوة وخلاصاً للشعب المسيحي لتكون فرصة أمامه ليتَّحد في المحبة ويتَّحد في الآلام. (٦١)

(٦١) صلوات الأب متى المسكين ص١١٢

يوم الثلاثاء من الأسبوع الخامس

(يو٨: ١٢- ٢٠)

[ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً قَائِلاً: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ». فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: «أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ. شَهَادَتُكَ لَيْسَتْ حَقًّا». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ، لأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَداً. وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدَيْنُونَتِي حَقٌّ، لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَأَيْضاً فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ: أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ. أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي». فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ هُوَ أَبُوكَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً». هذَا الْكَلاَمُ قَالَهُ يَسُوعُ فِي الْخِزَانَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَلَمْ يُمْسِكْهُ أَحَدٌ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ].

أنا هو نور العالم

«ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً: أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة».

نحن الآن في عيد المظال، وكان يُجرى فيه طقس يُسمى طقس النور، ويتم فيه إيقاد ٤ منارات مرتفعة داخل الهيكل، وكان هذا تذكاراً لعمود النور الذي أرسله الله لهم ليقودهم في برية التيه أثناء الليل. ولكن كان عمود النور هذا وقتياً، أما المسيح، فهو النور الذي جاء لينير العالم دائماً وإلى الأبد.

وحينما يقول المسيح: «**أنا هو نور العالم**»، فهو يعني نور الحياة، هو النور المعطي الحياة، والتي لخصها ق. يوحنا: «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس»، فالحياة في المسيح هي نور العالم.

لقد دخل النور الحقيقي إلى العالم مُلتحفاً جسد إنسان، وهو أصلاً اللابس النور كثوب، جاء لينير البشرية من داخل كيانها، فصارت حياة الإنسان نوراً بعد أن كان يتخبط في ظلمة العالم. لقد استنارت حياة الإنسان بالنور الإلهي، فأنارت وصارت أنواراً في العالم: «أنتم نور العالم». ولا يزال المسيح هو هو عمود النور الذي يسير بالبشرية المستنيرة به وبالله، في طريقها الضيق الحرج، داخل برية العالم المظلم، يقودنا خطوة بعد خطوة. والذي يتبع النور لا يشعر بليل العالم، ولن تدركه الظلمة، هذه حقيقة يدركها كل من استنار بالمسيح والتصق به: "الرب نوري وخلاصي ممن أخاف".

والواقع إن الطبيعة البشرية بالنسبة للنور الإلهي مظلمة خاطئة يدب فيها الموت، وشعاع الله لم يكن ينفذ إليها أبداً، ولكن حينما استعلن لنا الرب الطبيعة الإلهية التي فيه، وصيَّرنا شركاء فيها، هنا نفذ النور الإلهي إلى أعماقنا، فأدركنا طبيعة الله وأسراره، واستنارت عقولنا وقلوبنا بفكره ومشيئته وكلماته. وهكذا دخل النور أي الطبيعة الإلهية، إلى طبيعتنا العمياء الخرساء، فتغيرت وتجددت، وصارت لها أُذن تسمع ما لم تكن تسمع، وعين ترى ما لم تكن ترى، وقلب يستطلع بالروح حتى أعماق الله، وروح تحيا مع الله.

« أنا هو نور العالم ».

هذا القول يستحيل أن ينطقه إلا الله وحده: «وقال لي اُكتب، فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة... والمدينة لا تحتاج إلى شمس ولا إلى قمر ليضيئا فيها، لأن مجد الله قد أنارها، والخروف سراجها، وتمشي شعوب المُخلَّصين بنورها ..لأن ليلاً لا يكون هناك».

وإشعياء النبي يصف هذا الإشراق العجيب في ملء الزمان بالنسبة للكنيسة هكذا: «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك، لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض، والظلام الدامس الأمم، أما عليك فيشرق نور الرب (أنا هو نور العالم) ومجده عليك يُرى. فتسير الأمم في نورك، والملوك في إشراقك»، ويقول في موضع آخر: «لا تكون لكِ بعدُ الشمس نوراً في النهار ولا القمرُ ينير لك مضيئاً، بل الرب يكون لكِ نوراً أبدياً وإلهك زينتك. لا تغيب بعدُ شمسُكِ وقمرُكِ لا ينقص، لأن الرب يكون لكِ نوراً أبدياً»

والعجيب أنه بعد أن قال المسيح :"أنا هو نور العالم"، قام بتفتيح عيني المولود أعمى، لتتم النبوة: «أنا الرب لقد دعوتُك بالبرِ، فأُمسكُ بيدكَ وأحفظُكَ وأجعلُكَ عهداً للشعبِ، ونوراً للأمم، لتفتح عيون العُمي، لتُخرجَ مِنَ الحبسِ المأسورين، من بيت السجن، الجالسين في الظلمة». وهنا يجمع النبي معاً بين النور وتفتيح العيون. (٦٢)

---

(٦٢) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ص٥١٨

«أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة».

كان عمود النور الذي قاد شعب بني إسرائيل في القديم هو رمز، كان نوراً خارجياً، ولكنه لم يدخل داخلهم؛ ولكن جاء المسيح، النور الحقيقي، لينير من الداخل. لكي يصير فينا، لكي نأخذ هذا النور، لكي نحتويه ونمتلكه في داخلنا، فتتحول فينا الرؤية إلى حياة، أي يكون لنا نور الحياة، وبالتالي نتبعه ولا نمشي في الظلمة. وهنا التبعية ليست ظاهرية، إنها تبعية داخلية بالكلمة؛ بمعنى السير إثر وصاياه. ماذا ستكون النتيجة عندئذ؟ سنكون بني النور، مولودين من النور، مولودين من المسيح؛ لا لأننا صرنا نوراً؛ ولكن لأننا احتوينا النور، صار لنا نور الحياة. لأجل هذا هو قال: «فليضئ نوركم هكذا أمام الناس»، حتى يُستعلن المسيح الذي فينا.

يلزمنا جداً أن نفهم أننا في رحلتنا إلى الأبدية نحن نسير في عالم الظلمة، عالم موضوع في الشرير، تفعل فيه الخطية ما تشاء في الفكر والجسد، هنا جاء المسيح إلى العالم، لكي ينير للمؤمنين باسمه طريق الحياة من داخل العالم.

في الحقيقة، إن الإنسان الذي ينير له المسيح سوف يرى أعز ما في العالم وكأنه ظلمة، سوف يكتشف الجهالة التي فيه. لذلك حقَّ قول المسيح: {من يتبعني فلا يمشي في الظلمة}. لقد صار المسيح بالنسبة لنا هو عمود النور لرحلتنا السعيدة إلى الوطن السماوي، على أساس أن نحتويه داخل قلوبنا، فيصبح سراجاً لأرجلنا ونوراً لسبلنا.

والمسيح عندما قال: «أنا نور العالم» هنا النور موصِّل، نور متحرك، نور ليس جامداً، ولكنه فعل يقود الإنسان، يعلن للإنسان حقائق العالم

والحقيقة الأبدية. وهكذا المسيح يقود النفس من نور إلى نور، أي من حق إلى حق. الإنسان الذي يجلس كل يوم ساهراً أمام المسيح، هذا الإنسان تنسكب الكلمة داخله بغنى، وينكشف له الحق، ويُبكّت من الكلمة وتنكشف حقائق الحياة وحقائق نفسه، ويُعدِّل ويُصحح المسيرة.

فإن لم يمسك الإنسان بكلمة الحياة جداً، ويأخذ المسيح كشخص حقيقي وكمصدر للنور والحركة؛ فهذا الشخص لابد أن يتوه في متاهة هذه الدنيا، ليس فقط ٤٠ سنة كالشعب القديم؛ ولكن تتوه ٨٠ سنة ولا تفوق إلا آخر لحظة وتجد أن الوقت قد فات ولا فائدة أو مكان للتوبة. فالعالم هنا هو عالم تيه، ما لم يقودنا نور المسيح.

المسيح نور، ولكن نور فقط للسائرين، والذين يتبعونه يكون لهم النور في داخلهم، يقودهم للوطن السماوي. (٦٣)

صلاة

نتوسَّل إليك؛ يا رب؛ أن لا تجعل هزات ظُلْمة تنسجم مع هزات النور أبداً، بل اجعل النور يطرد الظلمة كالمحبة التي تطرد الخوف خارجاً.

نتوسَّل إليك أن تؤلِّف قلوبنا في المحبة حتَّى نتذوق معنى كنيستك، القلب الواحد والروح الواحد والجسد الواحد، في وسط هذه الأيام التي نئنّ فيها كلنا من انقسام نفوسنا وانقسام أفكارنا.

اجعل، يا سيدي، حياتنا مستقيمة أمامك، اجعل روحك القدوس يُخرِجنا

---

(٦٣) من سلسلة عظات هجرة المسيحي سنة ١٩٨١

من ظلمة الحياة التي نعيشها بسبب خطايانا إلَى نورك، فنُحدِّث يا رب بفضل نورك العجيب.

نعم نتوسَّل إليك أن تكُفّ فينا كل عوامل الانقسام الداخلي؛ سواء كان في الكنيسة؛ أو بين الأفراد أو في أنفسنا.

اجعل لنا استقامة القلب والفكر حتَّى نقترب إليك بطهارة نيّة وضمير، حتَّى نستطيع بجُرأة أن نقف أمامك ونشعر ببنوَّتنا التي وهبتَها لنا والتي لا شيء يستطيع أن ينْزعها منَّا.

أعطنا هذا الروح الواحد والقلب والفكر الواحد الذي تنادى به كنيستك على مدى الأيام "وحدانية القلب"، بالصلح والسلامة في وسط شعبك.

نعم يا رب، لكي ما يكون لنا اتّحاد حقيقي فيك، تكون لنا شركة حيَّة في يسوع المسيح بحسب وعدك، شركة حيّة بالروح تنْزع منَّا كل عوامل الجسد التي تعمل فينا لكي ما تلصقنا بالأرض وبالتراب.

ساعدنا أن ننفكَّ بروحك القدوس، يا رب، وننطلق بالروح لنُمارس حريتنا فيك؛ حرية أولادك؛ وحرية نعمتك، لكي ما نشعر، يا رب، بعملك العظيم الذي عملته، وكيف بدم صليبك قرَّبتَ البعيدين والقريبين ووحدتهم فيك.

لنا اشتياق أن نُمارس وحدتنا في داخل أنفسنا ومع بعضنا البعض فيك حسب وعد يسوع المسيح وصلاته إليك.

نعم، يا رب، ليت كل شهوة ابنك يسوع المسيح تتحقق، ليكون فينا الحب الذي أحببتَه به، لأنه لن ينسكب هذا الحب بالروح فينا إلاّ إذا كانت لنا شركة فيك، يا ابن الله. آمين. (٦٤)

---

(٦٤) صلوات الأب متى المسكين ص١٧٨

يوم الأربعاء من الأسبوع الخامس

(لو ١٣: ٦- ٩)

[وَقَالَ هذَا الْمَثَلَ: كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَراً وَلَمْ يَجِدْ فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هذِهِ السَّنَةَ أَيْضاً، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً، وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا].

مَثَل التينة غير المثمرة (٦٥)

فصل إنجيل هذا اليوم هو فصل إنذاري. واضح لنا إنه كلما نتقدم في أيام الصوم؛ كلما وضح منهج الرب. ومع قرب النهاية تتكثف الأمثلة والقصص التي تخص وكالة الإنسان: سمعتم مَثَل وكيل الظلم والمُطالب بإعطاء حساب الوكالة، ثم مثل الوزنات والمتاجرة الرابحة، وهنا مثل اليوم والثمر الذي يطلبه صاحبها.

أريد أن أنبه ذهنكم في البداية أن الرب في كل ما يتكلم به إنما كان يتكلم على مستويين: مستوى الواقع الذي أمامه، والمستوى الدائم إلى الأبد. فكلام المسيح، كما قيل عنه: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول». لذلك من الخطأ حصر المثل فقط في الأمور الحادثة أمام

---

(٦٥) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠.

المسيح؛ وإلا لا يكون هذا إنجيلاً ولا تكون هذه بشارة، بل تكون فقط تاريخاً. مسيحنا ليس مسيح التاريخ أبداً، كما يدَّعي البعض، مسيحنا حي، وكلامه روح وحياة، وليس هو تسجيلاً للتاريخ أو للعبرة أو التذكر. وكل ما خرج من فمه من أمثلة وقصص ومعجزات تشمل الواقع وتمتد إلى ما بعد الزمن. والزمن مطوي تحت الكلام يعبره ويتخطاه.

هذا المثل واضح أنه يتكلم عن إسرائيل، ولكن لابد من الانتباه أن الكلام يخص الكل، يخص الفرد، كلام المسيح لا ينحصر في شخص، إنه ممتد يشمل كل أذن سواء في جماعة أو فرد. ومضمون الأمثلة كلها هو: أين الثمر؟ أين الربح؟ أين الوكالة؟

بالطبع كلام المسيح ليس جديداً على الأسماع، إنه نفس الكلام الذي كان يكلم به الأنبياء قبل مجيئه، من إشعياء النبي حتى ملاخي، ١٦ نبياً لم يكفوا عن توبيخ الشعب وإنذاره وعن دعوته للتوبة والرجوع عن الخطايا.

يقول لهم الرب على فم إشعياء: «يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي، ماذا يُصنع لكرمي وأنا لم أصنعه». انتبهوا جيداً، الدينونة والحساب والربح هنا ليس عن فراغ، فإن كان الله قد صنع ما عليه، وكان صوته واضحاً في الأنبياء؛ فأين الطرح؟ فهنا يسأل وله حق السؤال، ويدين وله حق الدينونة، ويُعنِّف، وهو ليس عنيفاً، بل كان واجباً عليه أن يقول أكثر من هذا، ولكن اعلم أن الكلام هنا مُطبق علينا نحن أيضاً.

ويستكمل النبي كلامه: «لماذا انتظرت أن يصنع عنباً فصنع عنباً

رديأً؟»، لم يعد يصلح للأكل. بل وحتى المقارنة مع الأمم ليست في صالحهم؛ عندما قابل رئيس الجند وشفى له ابنته، قال له: لم أجد في إسرائيل إيماناً مثل هذا، وقابل الكنعانية: قال لها عظيم إيمانك، يا امرأة. الأمر الذي لم يقله لشخص يهودي.

واضح أن إسرائيل قد نزل إلى الحضيض. «فالآن أُعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي أنزع سياجه (أي أرفع عنايتي العناية الإلهية عنه) فيصير للرعي (أي تأتي الأمم وتطأه بأقدامها) أهدم جدرانه فيصير للدوس (عمل الجدران هو أن تحفظ كرامة الإنسان، أي أفضحهم) وأجعله خراباً لا يُقضب (أي يُقَلَّم كل سنة) ولا يُنقب (أي لا ينقوه من الحجارة) وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً (أي انتهت تماماً الرحمة والمعونة الإلهية). إنَّ كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذَّته رجال يهوذا فانتظر حقًّا فإذا سفك دم وعدلاً فإذا صراخ».

كان المسيح يرى من وراء الدهور ماذا سوف يحدث لإسرائيل والخراب الذي سيصيبها على يد الرومان.

قبل هذا الإنجيل مباشرة كانوا يخبرون المسيح عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دماءهم بذبائحهم، رأى فيهم المسيح رائحة الشماتة والاحتقار لهؤلاء المذبوحين داخل الهيكل وهم يقدمون قرابينهم. قال لهم يسوع: لا تعتقدوا أن هؤلاء مُخطئين أكثر من بقية الجليليين، ولكن إن لم تتوبوا فجميعكم هكذا تهلكون. وهنا أصل مثل تينة اليوم.

المسيح هنا يتكلم عن رؤيا، لا يرى فقط أيام خراب أورشليم، ولكنه يتكلم عن أيامنا هذه، عن أيام الكنيسة الحاضرة، والضيق التي تعيش فيه، وهذا ما يقوله لنا بطرس في كاثوليكون اليوم: «لا تستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة كأنه أصابكم أمر غريب». أي لا تتعجبوا، فهذه هي خطيتكم، والتي إن لم تتوبوا عنها تهلكون.

فحديث المسيح في أواخر الأيام، كله على هذا النهج: المؤاخذة والمطالبة، يقول إشعياء كنبوة عن المسيح: «يأكل من تعب جبينه» المسيح يريد ثمر، يريد أن يأكل من ثمر الصليب يريد أن يرى الوصايا حية، ولكن لا تستغربوا إذا ما حصل خراب وموت وهلاك، هذا نتيجة أعمالنا. أين التوبة؟ إن لم تتوبوا تهلكون، ويكون هلاك بلا رحمة، لأنه سبق وأن أنذر.

المسيح اليوم يأتي ليطالبنا، ٣ سنوات ليس لها قيمة حسب الأرقام، ولكنه يقصد فترة زمنية محدودة معدودة محصورة، أعطاها لك للتوبة، إن أنت تخطيتها سيكون لك إنذار أخير، وبعد هذا لن تسمعه مرة أخرى.

٣ سنوات، ربما تكون لواحد سنة، ولآخر خمسة، ولآخر عشرة، ولكن في النهاية مواعيد الله صادقة ولا يمكن أن تخيب، إنه يعطي لكل إنسان فترة يُطيل فيها أناته ولكن بعدها تبدأ الإنذارات.

اسمع، يا حبيبي، لو أعطاك المسيح إنذارات شديدة؛ اعرف أن ال٣ سنوات انتهت، وأنت الآن في السنة الرابعة. المسيح لا يمكن أن يأخذك خلسة أبداً. يبدأ يُنبه يُنبه، هل تعرف كيف يكون التنبيه؟ إنه يضع زبلاً

تحرق الجذور، يوقظ نعاسها، يُنشِّطها، يتعامل معك وأنت داخل القلاية وخارجها، وأنت نائم وأنت متيقظ.

انتبه لإنذارات الرب، إذا وجدها قد كثرت؛ اعلم أن الآخرة قد اقتَرَبَت.

صلاة

الشكر لكَ والتسبيح والمجد الدائم يا ابن الله، يا مَنْ صنعتَ عجباً لحسابنا.

أتوسَّل إليك يا مَنْ صالَحتَ النفس بالجسد، أن تُصالِح نفوسنا بأجسادنا يا رب.

أجسادنا ثقيلة جداً على نفوسنا، صارت مرذولة لا تريد أن تستجيب لمطالب النفس والروح.

كم مرة تُطالبها بالقيام والوقوف فتتكاسل وتتراخى.
ألا ليتكَ تعطينا قيامة صادقة حقيقية للجسد والنفس.

ألا ليتكَ تعطينا مصالَحة عميقة سرِّيّة، لكي لا يتمرَّد الجسد فيما بعد على الروح، بل يتصالَح معها ويستجيب. والروح أيضاً تتصالَح مع الجسد في ألفة أنتَ كونتها بعد خصومة دامت آلاف السنين.

أيها القائم من الأموات بمصالحة عُظمَى بين النفس والجسد،

ليتكَ تُصالِح نفوسنا مع أجسادنا، ثُمَّ ليتكَ تُصالِح نفوسنا بنفوسنا يا ربِّي.

كم مرة تَضيق نفوسنا بإخوتنا! كم مرة نَضيق بالناس وبالآخرين!
وأنتَ يا رب الذي صالَحتَ الكل فيك وصالَحتَ البشرية بأبيك.

هذه هي قوة القيامة، قوة المصالَحة العظمى.

ليتكَ، يا رب، تشفي خصومتنا؛ إن كان في داخلنا أو في خارجنا؛

أَلْغِها يا رب كما ألغيتَ الموت،

أَلْغِ الخصومة من أعماقنا، لكي يَدُبَّ الصلح والسلام بين أنفسنا وبين الآخرين؛ كل الآخرين يا رب.

لا يَعُد لنا عدو، لأن القائم من الأموات لا يرى أمواتاً، بل يرى حياة ويبارك كل الأحياء.

فأعطِنا نحن الذين دُعينا أبناء قيامة ونور، أن نتصالَح مع كل إنسان في الوجود.

لتُعط كنيستك بذرة المصالَحة حتَّى تأتلف الأعضاء كما تأتلف المرافق في الجسد بأُزُر ومفاصل سهلة الانحناء والالتواء ليسير الجسد ويقوم ويستقيم.

آمين، اسمع يا رب في كنيستك في هذا اليوم المبارك،

ألقِ صلحاً وسلاماً على وجه الأرض كلها حتى يهتم كل إنسان بخلاص نفسه. (٦٦)

(٦٦) صلوات الأب متى المسكين ص١٢٤

يوم الخميس من الأسبوع الخامس

(لو١٣: ١٠- ١٧)

[وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ فِي السَّبْتِ، وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحُ ضَعْفٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ، فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ، إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكِ. وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ، فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللهَ. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْمَجْمَعِ، وَهُوَ مُغْتَاظٌ لأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِي السَّبْتِ، وَقَالَ لِلْجَمْعِ: هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَلُ، فَفِي هذِهِ ائْتُوا وَاسْتَشْفُوا، وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، فَأَجَابَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: يَا مُرَائِي، أَلاَ يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟ وَهذِهِ، وَهِيَ ابْنَةُ إِبْرَاهِيمَ، قَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟ وَإِذْ قَالَ هذَا أُخْجِلَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ، وَفَرِحَ كُلُّ الْجَمْعِ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الْكَائِنَةِ مِنْهُ].

المرأة المنحنية (٦٧)

موضوع اليوم هو موضوع الساعة، يخص البشرية كلها، ويخص الكثيرين منا.

«كان بها روح ضعف ثماني عشر سنة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة».

إنّه مرض العصر، هذا هو تشخيص السيد المسيح العارف بكل شيء والذي يسميه الإنجيل: روح ضعف. ولكن كلمة روح هنا ليس معناها

(٦٧) عظة على إنجيل القداس في الصوم الكبير سنة ١٩٩٠

مرض، ولكن روح غريب في المرأة، وأما في الأعراض فكانت تبدو منحنية، وجهها في الأرض. وكأن المسيح يصف الأمة اليهودية وهي منحنية على ذاتها ووجهها إلى الأرض تنبش في الأرض من أجل الأرض. تركت السماء وغنى السماء. هكذا كل نفس انحنت على الأرض وأخفت وجهها عن الله، هذه فيها روح ضعف.

الذي يهمنا نحن هو قول الرب: «**ربطها الشيطان**».

الشيطان روح عاقل، قوة عقلية مستبدة، مدخله الأساسي في الإنسان هو الفكر، لا يستطيع أن يدخل الجسد أبداً أبداً، ولكنه يدخل عن طريق الفكر. والفكر هو مركز النفس وهو المحرِّك الداخلي للجسد كله. فحينما يطغى الشيطان على فكر الإنسان يدخل ويمسك فكره؛ يكون بالتالي قد ملك زمام النفس. ومعروف أن النفس لها سلطان مؤثر على الجسد تحرسه وتُصادقه وتُمرضه؛ بل يمكن أن تجعله مجنوناً أعمى أخرس. الخرس هنا ليس بسبب أنه أخرس ولكن لأن الشيطان الذي عليه أخرس، وهذا أخطر أنواع الشياطين، ذلك لأن حتى الصلاة التي تُقال عليه لا يسمعها.

فما دام الفكر مفتوحاً للشيطان؛ لذلك من السهل أن يدخل العقل كل أمر غريب وغير طبيعي، وما يزال وراء الإنسان يوحي ويزين له حتى يقنعه بالخطية في النهاية ويتممها. هذا هو دخول الشيطان في الإنسان الذي يسميه الإنجيل: «وكان عليه روح نجس». في الإنجليزية يسمونه ممسوك،

مملوك، وفي الحقيقة أن الشيطان فعلاً قد امتلكه، امتلك الفكر وامتلك النفس وامتلك الجسد، سيطر على الشخص تماماً، وهذا ما يسميه الإنجيل: «ربطها الشيطان».

لو أننا أتينا لزماننا هذا؛ فلم يعد الشيطان يعمل حسب الظاهر، حيث رأينا أن كل أموره في الماضي تنتهي في الجسد، فيصطنع عليه العمى والخرس والشلل، ولكن الآن هو يعمل نفس هذه الأمراض، ليس في الظاهر، ولكن بطريقة مُستترة. فهو يدخل على الفكر ويُشوِّش عليه، ويُذكره مثلاً بالماضي وكيف كان يعيش في فرح وسعادة، ويبدأ يُضخِّم له سعادته السابقة بالمقارنة مع واقعه وحاضره الصعب، وباختصار إن الشيطان يسرق منه عنصر الالتحام بالواقع، فينفصل عن الحاضر، بل ينفصل عن الحياة وعن المستقبل وعن السعادة الحقيقية، وتتركز حياته في الجهالة الغبية التي للماضي. هذا هو مرض العصر، هذه هي النفس المنحنية، ليس فقط في الجسد ولكن في النفس أيضاً، ولكن الباب والمدخل لكل هذا هو الفكر، لو أننا سمحنا للشيطان إنه يدخل ويعبث به.

ولكن شكراً للمسيح، فإن كان للشيطان فرصة في عالم اليوم إنه يربط الإنسان بروح ضعف، إن كان هو القوي المُتسلح في بيته، ولكن لنا اليوم من هو الأقوى منه، لنا من يفك ومن يحل، لنا من يرفع عنا كل ضعف، كما رفع عن هذه المرأة.

ولكن، اعلم، إنه لم يتم هذا بكلمة في الهواء، لا، إنه دفع الثمن، أخذ

روح الضعف في نفسه، إنه أنَّ أنينا، ألم تسمعه يقول: «نفسي حزينة حتى الموت»، كل أحزان العالم تراكمت عليه، يقول إشعياء: «أحزاننا حملها»، إنه جعلها على كتفه، ثم يقول إن: «أوجاعنا تحملها»، أي آلام أمراضنا تألم بها. كم هذه الآية تشجع الإنسان أن يرتمي على المسيح، وهو سيحمل عنك كل خطاياك وأوجاعك وآلامك. كما يقول بطرس: «حمل خطايانا في جسده على الخشبة».

أخيراً نقول: كانت توجد في الكنيسة قديماً أوشيه تُقال من أجل الذين عندهم موهبة إخراج شياطين، فتقول: "صلوا من أجل الذين لهم مواهب شفاء"، ولكن للأسف سقطت من طقس الكنيسة، ولكن نحن علينا الآن أن نعمل لهم أوشية خاصة، ولو في قلالينا، ونصلي من أجل المربوطين برباطات الشياطين، من أجل المحزونين وأصحاب الأمراض النفسية.

ثقوا إنكم حينما تصلون هكذا؛ فإن أخاكم الذي بجانبكم سيرتاح، وستُزال العكارة التي في القلوب.

صلاة

والآن، اسمح، يا رب، ومُدْ يمينك، والمس نفوس عبيدك.
وأعطنا جميعاً الحِل والشفاء.

انزع يا رب واطرد روح الضعف والمرض.

ليُعظِّم الجميع اسمك ويبتهج الكل بخلاصك.

يوم الجمعة من الأسبوع الخامس

(يو٨: ٢١-٢٧)

[قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي، وَتَمُوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا». فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولَ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. فَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِهِ. إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ». وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ عَنِ الآبِ].

أنا أمضي وستطلبونني (٦٨)

إنجيل هذا الصباح ينضم إلى الأناجيل السابقة التي تتكلم عن الإنذارات، ذلك لأن الرب قارب أن يُنهي خدمته: «**أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم حيث أمضي أنا لا تقدرون أن تأتوا. أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق.. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم**».

في العهد القديم استطاع أحد الأنبياء، وهو هوشع النبي، أن يخترق الأزمنة بعين النبوة ويصف مشاعر المسيح تماماً، يقول: «أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم، لأن روح الزنى في باطنهم وهم لا يعرفون الرب».

---

(٦٨) عظة على إنجيل القداس في الصوم الكبير سنة ١٩٩٠

ولكن هل يمكن، أيها الأحباء، أن يكون في باطننا روح زنى ونرجع إلى الرب؟! مستحيل. لقد صار الكلام علينا غريباً، صار ثقيلاً. هل يمكن أن يكون في باطننا روح كبرياء وتعالي وأحقاد وحسد وبغضة وعداوة نحو بعضنا البعض، ثم بعد ذلك هل يمكن أن نرجع للرب، ويقبلنا؟!

آه، نعم! يمكن أن نرجع؛ ولكنه رجوع كاذب، بالرجلين فقط. الرب أصله متواضع بالطبيعة، كيف ندخل إليه ونحن ليس لنا الوسيلة التي تُدخلنا إليه، وأكرر ليس هناك وسيلة سوى التواضع والمحبة، بدونهما لا يمكن أن نجد الله.

انتبهوا! هذا الكلام مُصَوَّبٌ نحونا، وكما يقول بولس: «إن جميع هذه الأمور أصابتهم مثالاً لنا وكُتبت لأجل إنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور». إذن، فالقصة قصتنا، والتحذير لنا، والإنذار موَّجه إلينا. وفي الحقيقة، فإن المسيح لا يقول هذا الكلام لأجل اليهود، فهو كان يعلم إنهم لن يؤمنوا وسوف يصلبوه؛ ولكنه كان يكشف كل ما في الإنسان، لأنه يعرف ما في الإنسان، هو كتبه لأجل الكنيسة الآتية، لأجل شعبه القادم، لأجل مختاريه وأخصائه. ولكن هل نسمع؟ هل نستثقل كلامه، ونعطيه مثلهم القفا لا الوجه؟ لذلك مهما حملنا على أيدينا من ذبائح وعطايا، مهما قدمنا من طقوس وصلوات بأجمل الأصوات، ستكون كلها ولا شيء، ولا يمكن أن تُدخلنا إلى الله. تعالوا انظروا ماذا كان يفعل الشعب في القديم من ذبائح بالآلاف وعلى أعلى مستوى، وفي النهاية لم يجدوا

الرب، رفضهم الرب، قال لهم: «من قال لكم أن تدوسوا دوري»، ويساويها في العهد الجديد: «اذهبوا عني، أنا لا أعرفكم».

كان المسيح مع اليهود كل يوم وجهاً لوجه، يتكلم في بيوتهم، يعلم في شوارعهم، فماً لأذن، كان حاضراً معهم بكامل لاهوته؛ ولكن العيون كانت عمياء، لم يبصروه، أعطوه القفا، أكمل المسيح تعاليمه في الزمان المحدد، وهم أكملوا رفضهم.

حذَّرهم المسيح، قال لهم: «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق». ما معنى هذا الكلام؟

المسيح عندما نزل على الأرض، بقيت طبيعته فوق وإلى فوق. فإن كان ابن الإنسان على الأرض فهو هو الذي كان في السماء. ولكنه من أجلنا أخضع طبيعته الفوقانية بتواضعه وإخلائه الفائق. أما نحن فمن أسفل وإلى أسفل. طبيعتنا مُعتمة وجسدنا ثقيل، ونفسنا مظلمة. نزل المسيح لكي يحملنا، لكي بطبيعته العلوية يُصعدنا إلى أعلى، إلى فوق. يقول: «أنتم من أسفل وإلى أسفل، وأنا من فوق وإلى فوق»، المسيح يدعونا لنأخذ فرصتنا ونطلبه، لكي يرتفع بنا: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع». سأكون كمثل مغناطيس سماوي أجذبكم في صعودي وارتفاعي، فهذه هي طبيعتي أن تكون مرتفعة إلى فوق.

ولكن اعلموا أن الارتفاع الإلهي مع المسيح إلى فوق حتى الآب، هو مُذخر فقط للذين أحبوا المسيح وعاشوا معه وصادقوه واتحدوا به. فإن لم

نتحد به هنا في شركة واتحاد حقيقي وليست مجرد شركة فكرية لاهوتية عقائدية؛ فلا يمكن أن ترتفع طبيعتنا، وسنبقى كما نحن من أسفل وهو من فوق، ولا يستطيع هو أن يُصعدنا. لذلك فالاتحاد أمر في غاية الأهمية، وعندئذ بكل هدوء وبكل سلام سنصعد معه، نلتقيه من دون أي جهد، ذلك لأنه هو الذي سيُصعدنا وليس نحن.

المسيح الآن معنا، كما كان مع اليهود تماماً، بلاهوته، بكمال إمكانياته، بحبه الفائق، برحمته المتسعة، بذوقه، بلطفه، بحنانه، بترحيبه، يتوسل إلينا كل يوم بكل ترجي، يقول لنا:

تعالوا إليَّ، سأحملكم على كتفيَّ كما أحمل الخروف الصغير.

أنت وحدك لن تستطيع أنت تفعل شيئاً، لن تستطيع أن تتخلص من شهواتك ورباطاتك التي تثقل جسدك وروحك.

إن لم تنفكوا منها ستظلوا مشدودين لأسفل.

لابد أن تتغيروا، لابد أن تتجددوا، لابد أن تعرفوني جيداً.

لو أخذتموني، سأحملكم وأرفعكم معي.

صلاة

إلى متى يا سيدي القدوس؟

لقد صرنا في ضيق عظيم جداً، لأن النور غائب والظلمة أحاطت، حتَّى أننا نتلمَّس على الحائط كالأعمى ولا نعرف الطريق،

وأنتَ يا رب هو الطريق والحق والحياة.

آه يا رب، آه يا رب، أطبقت علينا الظلمة طبقات فوق طبقات،

فغاب النور، وحتَّى غاب النور عن الوعي.

آه يا رب، الإنجيل في حضننا والظلمة ملأت قلبنا. كيف هذا؟

آه يا سيدي، ليتَ نبوَّة إشعياء تتحقَّق،

أن يُولَد شعبك في يوم، يُولَد كله للنور وللحياة الأبدية، يتعرَّف عليك من جديد وينسى أعمال الظلمة.

هل يُولَد شعب كله في يوم؟ نعم، هذا ما نطلبه منك يا ابن الله، وأن تتمَّ النبوَّة على حق، وليعرف شعبك أنَّه اليوم يوم خلاص والساعة ساعة مجد وتجديد لِمَنْ يمد يده ويمد قلبه ويأخذ.

عُدْ بنورك يا ربِّي، وفتِّش على القلوب التائهة بعيداً عنك واطلبها، والنفوس التي غاب عنها النور افتقدها، لا تتركها في ظلمة، ارحمها.

نَحن عبيدك وأولادك، يا رب، أتوسَّل إليك من أجل كل نفس تعيش في الظلمة، أشرق عليها بنورك السماوي، أشرق عليها مجاناً، لا تطلب منها شيئاً وهي في ملء ظلمتها وفي ملء نومها على سريرها، افتقدها، فتقوم مفزوعة لأنها رأت رؤيا، رأت نوراً، إنَّه الرب يسوع يفتقد.

آه يا ربِّي يسوع المسيح، افتقدهم وهُم نيام.

لا تفتقدهم وهُم يُجاهدون، لأن افتقادك مجانِي هو، والروح القدس الذي ينير قلوبَهم تعطيه عطية من السماء. (٦٩)

---

(٦٩) صلوات الأب متى المسكين ص٢٤٦

قدّاس الأحد الخامس

(يو٥: ١-١٨)

[وَبَعْدَ هذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. فِي هذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ، يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. لأَنَّ مَلاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ. وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. هذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ. فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ: «إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ». أَجَابَهُمْ: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». فَسَأَلُوهُ: «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟» أَمَّا الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ، لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ، إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ. بَعْدَ ذلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً، لِئَلاَّ يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ». فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ الْيَهُودَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ. وَلِهذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ عَمِلَ هذَا فِي سَبْتٍ. فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ].

شفاء مريض بركة بيت حسدا (٧٠)

«وكان إنسانٌ به مرض منذ ثمانٍ وثلاثين سنة. هذا رآه يسوع مُضطجعاً وعَلِمَ أن له زماناً كثيراً، فقال له: أتريد أن تبرأ؟»

ثماني وثلاثين سنة في المرض، هذا هو أسلوب ق. يوحنا في اختياره الآيات ذات التطرف الصارخ ليقدمها كنموذج لتفوُّق المسيح الإلهي: فالأعمى: منذ ولادته، والميت له: أربعة أيام في القبر، ثم هذا المريض له: ثماني وثلاثين سنة في مرضه. فالآية هنا مختارة من وسط مئات وربما ألوف كنموذج للقوة الفائقة.

أتريد أن تبرأ؟

اختار الرب هذا المُقعد ليُجري فيه آية الشفاء المجاني دون أن يطلب منه. هنا أسلوب ق. يوحنا السري، فهو يرمي إلى أبعد من المُقعد ومن الآية في حد ذاتها. الرب يريد أن يقول له" هل لازالت لديك إرادة الشفاء والحياة الأفضل؟" لقد علم الرب أن هذه الفترة الزمنية الطويلة في ذِلة المرض والكساح قد حطَّمت نفس هذا الإنسان، والخطورة هنا تكمن في فقدان الإرادة نحو استعادة الحياة، حتى وإن كان قد بذل جهداً جسدياً عنيفاً ومستمراً ربما كل يوم مرة أو مرتين في محاولة النـــزول في البركة، والتي باءت جميعها بالفشل. الرب هنا لا يسأل عن إرادة الغريزة نحو صحة الحياة، والتي يستوي فيها الإنسان والحيوان؛ وإنما يسأل عن إرادة استعادة الحياة، التي بلا خطية، لأن

---

(٧٠) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ص٣٢٥.

برء الجسد متوقف على البرء من الخطية. وهذا القصد الإلهي في كلام الرب واضح من تحذيره له عندما لاقاه بعد ذلك وقال له: «ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً (أي ثانية) لئلا يكون لك أشر».

بهذا المعنى يكون الرب قد وضع النقط على الحروف لتظهر كل قصة هذا الإنسان قبل مرضه وفي مرضه، حتى تبقى إلى الأبد عبرة لكل إنسان! فقد عاش هذا الإنسان في اقتراف الخطية مما كان سبباً في ضياع صحته حتى آلت إلى ما آلت إليه من الضمور والشلل! لقد انصاع وراء شهوة الخطية فاستعبدته وحطمته. والرب لما رآه تحنن عليه من تلقاء ذاته، إذ لمح فيه بقايا إرادة، فبادره بسؤاله: «أتريد أن تبرأ» ليستنفر فيه الرجاء الذي استبدت به المحاولات البائسة لمدة الثماني والثلاثين سنة. المسيح يريد أن يستنهض فيه الإرادة نحو الحياة الأفضل. ويلاحظ أن الرب لم يسأله عن إيمانه، فالإيمان يُبحثُ عنه بعد أن نستوثق من وجود الإرادة أولاً. لأن الإيمان فعل إرادة. فالرب يستنفر الإرادة في الإنسان، إرادة الإيمان بالحياة، ليرسي فوقها قوة الحياة الأفضل.

فانظر، يا عزيزي، كيف أن الرب لا ييأس من خلاص الخطاة، هو يطلبهم ويستنهض إرادتهم. فكيف، بعد ذلك، ييأس أي خاطئ من رحمة رب الحياة؟! والقديس يوحنا يقدم لنا مريض الثماني والثلاثين سنة نموذجاً لإرادة الحياة بالنسبة لخاطئ لم تنطفئ منه جذوة الحياة، ويقدم المسيح في منظر قيل عنه: «قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مُدخنة لا يُطفئ».

«أجابه المريض يا سيدُ ليس لي إنسانٌ يُلقيني في البركة متى تحرَّك الماءُ، بل بينما أنا آت ينـــزلُ قدامي آخرُ»

كان رداً من واقع الحال، وكأني به يريد أن يقول: أما الإرادة فهي حاضرة عندي، يا سيد، ولكن أن أجد القوة على التنفيذ فلست أجد"! إنه ردٌّ صائبٌ غاية في الصواب استدر حنان الرب، ولكن خيبة أمل المريض لم تكن في إرادته التي استخدمها مئات المرات، ولكن في بني الإنسان الذين لم يؤتوا الرحمة، فهلا ترحم أنت؟؟

ولكن، بالرغم من صحة الرد وصحة التعليل؛ إلا أن القضية تحولت في نظر المُقعد من قضية حياة في الخطية ضد نفسه وضد الله، إلى خطأ الناس وخطية الآخرين. وهذه هي للأسف طبيعة الخطية، إنها تُخفي نفسها عن مصدرها الحقيقي، لتظهر وكأن صاحبها منها براءٌ!

لقد وقع أيوب البار في هذا التزييف لما أتته بليته فنسبها إلى الله، وأخذ يعاتبه. ولكن ماذا كان رد القدير الذي عيناه تخترقان أستار الظلام؟ قال له قولته المشهورة: «تستذنبني لكي تتبرر أنت؟!» ولكن بالنهاية قبل الرب ذنب أيوب على نفسه، وبرَّره وبرَّأه! أليس هذا هو الفادي الذي حمل عارنا؟ وهل تغير الرب أبداً؟

«يا سيد، ليس لي إنسان يلقيني في البركة»

لقد استدر هذا المُقعد عطف السيد. أليس هو القائل على فم إشعياء النبي: «فرأى أنه ليس إنسانٌ، وتحير من أنه ليس شفيع»، فحنَّت أحشاؤه

«فخلّصت ذراعه لنفسه». ونظر إلى المقعد وكأنه ينظر إلى الشعب بأكمله أو الإنسان ككل! وقال قولته وكأن ظهره مسنود على الصليب: «قم احمل سريرك وامشِ».

«قال له يسوع قم احمل سريرك وامشِ فحالاً برء الإنسان وحمل سريره ومشى».

هي كلمة صدرت من المسيح فأحيت العاجز، وحرّكت عضلاته الضامرة، دبت فيها قوة الله فأحيتها بأقوى مما كانت. أما ظهره الذي انحنى تحت عبء السنين الطوال فقام واستقام، وحمل ثقل سريره كظهر شاب يستعرض قواه! لقد صار ماضيه الحزين كقصة وشهادة. وهذا حال كل من صدَّق وآمن بكلمة المسيح.

فلتنتبه يا عزيزي إلى قوة الكلمة في حد ذاتها، إنها تنتهر الخطية وتلاشيها، وتنتهر المرض فتلغي سطوته.

فإن كانت كلمة المسيح هكذا وبهذه القوة؛ فكيف لا نُسْكِنُها قلوبَنا؟! وما الذي يقف حائلاً دون أن تعمل فينا؟

لقد أصابت المقعد وهو منطرحٌ على سريره، فلماذا لا تصيبُنا ونحن منطرحون تحت صليبه؟ إن كلمة المسيح تعمل عملها ولا تحتاج إلا لمن يسمعها ويكون محتاجاً إليها.

ولو نلاحظ أن الرب هو صاحب مبادرة الشفاء، وهو لم يشترط على مريضه أي شرط، فهذه هي طبيعة الفداء، مجانية مطلقة، من طرف واحد وهو الله في شخص يسوع المسيح.

صلاة

أيها الآب القدوس، يا مَنْ قبلتَ ذبيحة ابنك واشتَمَمْتَها على الصليب وقت المساء، رائحة حلوة ذكية أمامك لأنَّها غَفَرَت كل خطايا البشرية،

أَقْنِعْ أولاد ابنك يسوع المسيح ألاّ يعودوا قط وينظروا إلى قلوبهم أنَّ فيهم خطية، أو عليهم خطية، إنها رُفِعَت، وهي مَيِّتة بقوَّة يسوع المسيح العائش فيهم.

ارْفَع من عليهم، يا رب، ضمير الخطايا، لأنكَ أنت سكنت فيهم، لأنكَ أعطيتهم سلطان الروح القدس.

القوَّة التي من السماء سلَّمتها لهم جميعاً، احْفظها لَهم، يا ابن الله، حتَّى يستطيعوا أن يَجْحَدوا بها كل فكر شرير يقترب منهم من قريب أو من بعيد لأي سبب من الأسباب، أنَّهم ليسوا قديسين وليسوا أطهاراً.

هم أطهار في اسْمك رغماً عن الشيطان وكل أعماله وكل تصوُّراته، مهما هيَّج فيهم من أعضاء الجسد الذي هو الجسد الطبيعي وليس الجسد العتيق. الجسد العتيق مات وانتهى، ليس له وجود فيهم.

أمَّا الجسد الطبيعي فله حركاته، أنتَ لا تُميته. بل أنتَ بِهذا الجسد؛ تُقيم العالَم ليُخصَب ويكثُر نسله في كل مكان.

أنتَ الذي أعطيتنا هذه الغرائز الطبيعية وهي تتحرَّك فينا تطلب ما لها، ولكننا أخذنا نذراً على أنفسنا أن نعيش لكَ وليس للخطية، فلن نكون أبناءً للخطية مهما كان.

نَحن مسودون بالنعمة ولن تسودنا الخطية بعد. (٧١)

---

(٧١) صلوات الأب متى المسكين ص٢٦٣

الأسبوع السادس
من الصوم المقدَّس

يوم الاثنين من الأسبوع السادس

(لو١٣: ١- ٥)

[وَكَانَ حَاضِراً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ، فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ، لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ. بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ! بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ].

إن لم تتوبوا (٧٢)

الرب في هذا الإنجيل أعطى مثلين لنوعين من الكوارث التي يُفاجأ بها الناس:

أولاً: الكوارث الاجتماعية: وفيه يتحدث هذا الإنجيل عن الصدام الدموي الذي حدث بين الجليليين وبين الجنود الرومان داخل الهيكل. كانوا يظنون أن الهيكل سيدافع عنهم، ومن أمثلة هذا النوع: الكوارث التي يتسبب فيها الإنسان كالحروب والاضطهادات العنصرية والصراعات المسلحة.

ثانياً: الكوارث الطبيعية، والمثال الذي يقدمه الإنجيل هو سقوط برج على الناس مما أدى إلى موتهم. ويندرج تحتها كل ما ينشأ من الطبيعة وليس للإنسان يد فيها، مثل الزلازل والأعاصير والأمراض والحرائق.

---

(٧٢) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

ولكن ما هي وجهة نظر المسيح في هذين النوعين من الكوارث؟

المسيح يرتفع بهذه الحوادث كلها ولا ينسب سببها إلى خطية مُحددة، فهو ينفي عن أولئك الذين قتلهم بيلاطس أنهم كانوا أكثر خطية من غيرهم، وهو أيضاً لا ينعت الجماعة التي قتلهم البرج في سقوطه بأنهم أكثر شراً من الآخرين. ولكنه يستطرد ويقول: إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون.

وهنا يجب أن نلاحظ بعض الأمور:

١- أن الكارثة سواء كانت طبيعية أو اجتماعية هي عظة تنبيهية، هي إنذار، سواء لك أو لمن معك، أو للجماعة، أو للمدينة أو للشعب، إذن فعليك إذا تواجهت مع كارثة، فلا تبحث عن سببها، بل عليك بالتوبة.

٢- إن أي كارثة سببها خطية، ولكن ليس خطية الذين ماتوا فقط؛ ولكن خطية الكل. إنها خطية الذين ماتوا وخطية الذين نجوا، وهذا ما يوضحه المسيح عندما قال: أتظنون أن هؤلاء أكثر خطية من الآخرين، بمعنى إنهم كانوا خطاة مثلهم تماماً، وهو يجيب بالنفي التام.

٣- إن كل كارثة نسمع بها أو نراها أو ندخل فيها هي إنذار لكارثة أعم أكبر قادمة، ما لم يتبعها توبة.

٤- التوبة قادرة أن توقف أي كارثة في الحال.

والذي يسترعي انتباهنا في قول المسيح: «**جميعكم تهلكون**»، إن "**جميعكم**" معناها أن الخطر القادم سيكون أشد ضراوة وسيشمل ويعم الجميع؛ فإذا كان البرج قد قتل فقط ثمانية عشر؛ فتعالوا انظروا ماذا فعل تيطس بمدينتهم

أورشليم، حيث أُرتكبت فظائع يندى لها الجبين. كان المسيح يرى الحاضر ويرى القادم ويرى وسيلة الخلاص من القضاء المُحتم وقوعه. وهنا تظهر التوبة أمامنا بجلاء كقوة عُظمى قادرة أن تُغيِّر قضاء الله وتُغيِّر القانون المحتوم. الله ليس عنده قوانين مُحتَّمة، القوانين مُحتَّمة علينا نحن فقط. الله حر في جميع قوانينه. والعجيب المُذهل هو أن الله، وهو صاحب القضاء وصاحب القانون ألزم نفسه (إن جاز التعبير، وهو جائز) بأنه مستعد أن يُغيِّر جميع أقضيته، وجميع حتمياته المُقدَّر وقوعها إذا الإنسان تاب. هنا ترتفع التوبة في عينيَّ أي إنسان لكي تبلغ إلى قامة الله في قدرته على تنفيذ الحكم، وفي نفس الوقت على رفع الحكم. الخطية تجعل الله ينفذ الحكم؛ والتوبة تجعله يلغيه. انظروا إلى أي مدى يعتمد الله علينا في قضائه وأحكامه.

ولكن الشيء الأعجب من هذا كله هو، أن الله لا يريد التوبة من الجميع، يكفيه عشرة فقط تائبين. واقرءوا المحادثة الرائعة التي دارت بين إبراهيم والله، وكيف تشفع فيهم إبراهيم حتى لا يحرق سدوم وعمورة مُعتمداً على وجود عشرة أشخاص فقط تائبين فيهما. المسيح يريد واحداً من كل بيت أو حتى من كل بيتين.

مطلوب فدائيِّين للتوبة عن كل العالم، مطلوب جماعات فدائية تتوب لأجل لمصر ولكل بلد، تُكرِّس حياتها الخاصة للصلاة والتقوى والتوبة عن نفسها والآخرين. لكي يرحم الله العالم ويرفع غضبه. أرجوكم انتبهوا، هذه هي مسئوليتكم!

والآن، ما هو موقفنا نحن، يا مسيحيين، من إنجيل هذا اليوم؟

يجب أن نعلم أولاً أنه ليس هناك أفكار أو فتاوٍ بشرية؛ ولكن المسيحية محكومة وقائمة على قدمين:

١ــ إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله. لذا فإن كل كارثة تحدث للشخص المسيحي هي أمر داخل في اعتبار الله واعتبار المنهج المسيحي للخلاص وتكميل الرسالة. لذلك يقول: «لا تستغربوا البلوى المُحرقة التي بينكم حادثة»، «بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل الملكوت»، «في العالم سيكون لكم ضيق»، «سيأتي وقت يظن فيه كل من يقتلكم أنه يؤدي خدمة لله». إذاً ليس في الأمر جديداً، ونحن لهذا نحيا، ولهذا وُلدنا، وإن مُتنا بها؛ يا مرحبا.

٢ــ علينا أن نرى مسيحنا ونتعلم منه، ففي أوج محنة آلامه وصلبه طلب من الآب أن يغفر خطايا أعدائه، وكأنه يقول: لا تجعل صليبي وموتي سبباً لدينونتهم، اغفر لهم، أنا مصلوب من أجلهم. لذلك لابد من حتمية الصفح والغفران للمسيئين.

ما أعظم الصليب! إذ ليس في كل ما يُعرض على الإنسان من كرامة ومجد يساوي حَمل الصليب. **هذا هو منهجنا.**

صلاة

لماذا نِمْنا في هذه الأيام يا ربِّي؟

لماذا ننام يا سيدي؟

ألا يُمكن أن توقظنا من نوم هذا الرقاد الذي قد يؤدِّى بنا إلى الموت الأبدي؟!

يا سيدي، حاصِرنا كما حاصرتَ شاول في جَبَروت وعنفوان اضطهاده لكنيستك باجتهاد أن توقفه عند حدِّه،

أوقِفنا يا ابن الله، أوقِف كل واحد منَّا يا سيدي زاد عن حدِّه.

أوقِفنا على الطريق يا رب، رُدّنا إليك كما ردَدْتَ شاول إليك، يا سيدي، وأعطيتَه أن يكون كارزاً بما أظهرتَ به وبما أظهرتَ له.

لماذا يا ربِّي هذا التواني، هذه السنين كلها؟

لماذا التمحُّك في أمور كذّابة كلها؟

الذات أضلَّتنا عن طريق الحق، عن الطريق المؤدِّى إليك في داخلنا.

أرشدنا يا سيدي لكي ما نعود أمامك ونطلب الحقيقة، ونطلب ما وضعتَه في قلبنا منذ البدء،

أن نطلبك في داخل نفوسنا، أن نُكرِّس حياتنا لك منذ اليوم، أن نعيش أبناء للملكوت، أن نزرع بِحَذَق في الداخل ما أودعته فينا،

لكي ما نستطيع أن ننمو في داخلنا وليس في خارجنا،

لكي ما نستطيع أن نأخذ صورتنا منك في الداخل،

لكي ما إنساننا الجديد يُولَد بِحَقٍّ في داخلنا ويأخذ صورتك تماماً في المجد والقداسة.

اِعْمَل عملك فينا بروحك القدوس.

أيقظنا من نوم الغفلة لئلا ننام نوم الموت يا ربّ.

أخاف لئلا تداهمنا الساعة الأخيرة ونحن متوانين، كسالَى وبعيدين عن الخلاص.

يا ربِّى، لا تجعلنا بعد اليوم سامعين ناسين لاهين،

بل عاملين بالحق حسب كلمتك؛ حسب توجيهك، لأن الكلام منك ولهم يا ابن الله.

فاجعلهم ينفتحون في الداخل ليتقبَّلوا الحقيقة كما هي، ليسعوا وراء خلاص نفوسهم المُعدّ لهم ليكتسبوا الملكوت بأقل تكلفة.

يا ربّ، أنت لَم تضع علينا نيراً،

أنتَ قلتَ: اِقْبَلوا نيري لأنه هيِّن وحِمْلي خفيف.

صليبك؛ صليبك داخل قلبنا وليس خارجنا.

إن حَملناه يَحملنا، إن قدَّسناه يُقدِّسنا، إن تبعناه يقودنا.

فإلى الداخل، إلى الداخل، يا رب. نعم يا ربِّى، إلى الداخل.

ليكن اليوم يوم خلاص يا ابن الله. (٧٣)

---

(٧٣) صلوات الأب متى المسكين ص٢٠٧

يوم الثلاثاء من الأسبوع السادس

(لو٩: ١٨- ٢٢)

[وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ. فَسَأَلَهُمْ قَائِلاً: «مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ أَنِّي أَنَا؟». فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وآخَرُونَ إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ». فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ أَنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ: «مَسِيحُ اللهِ!». فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذلِكَ لأَحَدٍ. قَائِلاً: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيراً، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ].

بعد أن أكمل الرب يسوع تعاليم كثيرة ومعجزات هذا عددها، أراد أن يتعرف على إيمان الشعب، ماذا يقولون عنه. البعض قال إنه يوحنا المعمدان، والبعض اعتقد إنه إيليا، والبعض حسبوه إرميا النبي. طبعاً كان هذا تقريراً مُحزناً للرب. وهنا سأل تلاميذه: وأنتم من تقولون إني أنا؟ فكان جواب بطرس أنه مسيح الله، ويضيف عليها القديس متى إنه قال إنه ابن الله الحي.

ولكن المسيح أراد أن يُصحح لتلاميذه رؤيتهم عنه، قال لهم: إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرذل ويُقتل. كانوا يظنوه مسيا السياسة، الملك العظيم الآتي ليعيد لإسرائيل مُلكها وسلطانها وعلى هذا كانوا كثيراً ما يتشاجرون على الأولوية، من المستحق لمكان الصدارة، من هو السكرتير العام؟

ولكنه، ليس مسيا السياسة؛ إنه مسيا الصليب. كان هذا مصدمة لهم، كانوا يعرفون أن المسيح سيبقى إلى الأبد. لم يكن داخل في اعتبارهم موضوع الصليب، لم يتعرفوا على المسيح في حقيقته.

في الحقيقة إنَّ الكلام عن المسيح صعب للغاية، وهو إن لم يكن عن اختبار وعن شعور صادق ووعي، يكون رغي وبلا قيمة. لذلك صلَّيت كثيراً، وبكيت وطلبت وقلت له: لابد أن أعرفك حتى أستطيع أن أُعلنك. لابد أن تساعدني وتفتح ذهني لكي ينطق لساني بحقيقة نفسك ولاهوتك. فأخذت أكتب قليلاً قليلاً كلمة كلمة وكأنها آتية من وراء الدهور، لكن كنت أكتب وشاعر بكم وأنتم أمامي، فلابد أن آخذ منكم وأعطيكم، بمعنى: لو أنتم غير موجودين، لكان من غير الممكن أن أتكلَّم، ولا كان يأتي لي كلام. قلت:

مناجاة[٧٤]

[يا ربنا يسوع، أنت أعلنت لنا الله في ذاتك، فأنت هو الله المنظور والمسموع لنا.

كل صفات الله التي سمعناها سماع الأذن رأيناها فيك، كل ما كانت البشرية تشتهي أن تعرفه عن طبيعة الله، أعلنتها لنا في ذاتك.

كنا نتحرقُ شوقاً بين أنفسنا أن نعرف ما هي أفكار الله عنا؟ فعرفناها ولمسناها في كلماتك مع السامرية والكنعانية والأطفال الصغار ولمسات يدك

---

(٧٤) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠

وعطفك الفائض على الأبرص والمشلول والأصم والأعمى، كلها أحسسنا بها، ففرحنا بالله، إن كان اللهُ هو أنت.

كل إنسان منا كان يسأل: ما هو شعور الله الخاص من جهة إنسانٍ مولود أعمى؟ فعرفنا ولمسنا شعورَ الله في كلمات حبك ولمسات يدك على عينيه.

كنا نسأل في خجلٍ، كخجل الأطفال، هل اللهُ له سلطانٌ على الرياح العاتية وأمواج البحر الهائجة، هل يستطيعُ أن يوقفها؟؟

فلما انتهرتَ الريحَ، وأبكمتَ البحرَ بكلمة سلطانك وهدأ ذاك وصمت ذلك، فرحنا بسلطان الله المُنحاز لجبلتنا فيك.

كنا نسأل، هل الله يعتني بإنسانٍ تائهٍ في بريةٍ جائعاً عطشاناً؟

فلما أشبعتَ الجموعَ في البريةِ من خبزاتِ الشعيرِ الخمسِ والسمكتين الصغيرتين وفاض عنهم، وثقنا بحنانِ اللهِ في حنانك، وتَمَثَّلت في مشيئتك كل مشيئة الله من نحونا.

كنا نسألُ: هل موازينُ اللهِ كموازينِ البشر؟ هل الخاطئُ المنبوذُ عند الناسِ، يكون كذلك حتماً عند الله؟ فلما قلتَ للزانية: اذهبي بسلام، أنا لا أدينك، تأكدنا إنك أنت أنت هو الله، ولست إنساناً مثلنا، ترى ما لا نراه وتحكمُ بما هو فوق أحكامنا، ففرحنا أن لنا عند الله رحمةً غير موجودةٍ عند بني جلدتنا.

سلطانُ الموتِ علينا كان يُنازع سلطانَ الله في إيماننا، وكان يرعبنا، فلما أقمت الميْتَ من القبر بعد أن أنتن؛ عززَّت إيماننَا بسلطان الله، وآمنا أنه

سلطانك، وتراجع الموتُ بسلطانه من قلوبنا.

ولكن، بعد أن أخليتَ ذاتَك من مجد لاهوتك، عجزنا أن نُلاحق صفات الله فيك، في الحب والحنان والوداعة والاتضاع، بل القوة والسلطان والمعرفة الفاحصة لما وراء الزمن وما خفي في أعماق الإنسان.

فماذا يا رب نحن عاملون، إن أردنا أن نَصفكَ قبل أن تُخلي ذاتك من مجد لاهوتك؟ أو بعد أن أكملت رسالتك في تجسدك وجلست على عرش مجدك؟

شيءٌ واحدٌ يتراءى أمامنا عن يقين؛ إن كان الله الذي لم يره أحدٌ قط مثلك؛ فهو بالتأكيد إلهٌ صالح، ويجدرُ بنا أن نحبه ونعبده فيك من كل القلب والنفس وكل القدرة.

إنْ كان الله هو وحده القادر على تفتيح أعين الأعمى وإقامة الموتى من القبور؛ فأنت هو الله بالحقِّ والحقيقة.

وإنْ كان اللهُ وحدُه الذي له أن يغفرَ خطايا العالم كله، ويمسح الذنوبَ والآثامَ عن بني الإنسان جميعاً، بل ويرفعها بكل ثقلها من القلب ومن الضمير، بل ويغرس عوضَ عنها القداسة والكمال؛ فأنت، بالذي عملته، أثبتَّ أنك أنت هو الله.

يا سيدي يسوع المسيح، أنت وحدُك الذي قدَّمتَ بذاتك أعظمَ تعبيرٍ عن الله، وحملت أصدقَ وأجمل صفات الله، وعملت أجلَّ أعمال الله، بل ومارست حبَّهُ من نحونا وأكملت سلطانَه.

يا سيدي يسوع المسيح، قولٌ أخيرٌ أقوله: نحن وجدنا الله فيك، أنت وحدُك الجديرُ أن تمتلك ليس فقط قلبنا، بل قلبَ العالمِ كله].

يوم الأربعاء من الأسبوع السادس

(لو ١١: ٤٥- ٥٢)

[فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ هذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضاً. فَقَالَ وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُم أَيُّهَا النَّامُوسِيُّون، لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. إِذاً تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ، لِذلِكَ أَيْضاً قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ، لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقُ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هذَا الْجِيلِ! وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ، لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ].

مواجهة بين الحق والرياء (٧٥)

إنجيل هذا الصباح مواجهة خطيرة بين المعلم الإلهي والمعلمين الكذبة.

تعرفون أن الرب عندما بدأ يكرز بالتوبة، صعد بعدها مباشرة على الجبل وأخذ يُعلِّم تلاميذه، وأعطى التطويبات الثمانية للسائرين في طريق ملكوت الله. وهنا، وفي نهاية خدمته، وفي نهاية تعليمه، وقف ليراجع تعاليم المعلمين الكذبة الذين أضلوا الشعب لمدة ١٨ قرناً كاملة في تعاليم كاذبة مسمومة. فلما واجههم، قالوا عنه إنه شيطان وإن تعاليمه هي الخاطئة، يا للعجب!

---

(٧٥) عظة على إنجيل هذا اليوم سنة ١٩٩٠

هنا الرب يعطيهم ٨ ويلات أمام ال٨ تطويبات. ويبدو من كلام الرب إنه عنيف، ولكن أبداً، فقلب المسيح المتواضع كان ينطق بهذه الويلات وهو ينظر إلى الحق الذي زيَّفوه هؤلاء الكتبة والفريسيون، لم يكن ينظر لهم شخصياً؛ ولكن لتعليمهم. لاحظوا أنه قبل هذا العتاب بيومين رأيناه يبكي على أورشليم وعلى كل معلميها. لم يكن المسيح مُختاراً، بل كان مُضطراً أن يواجههم، لأن مصير أمة قد انتهت على أيديهم. ولكن، اعلموا أن هذه الأمور كُتبت من أجلنا، فنحن اليوم نتكلم عن أنفسنا، هؤلاء الكتبة والفريسيون ذهبوا لحالهم، ولكن المهم هو كتبتنا نحن وفريسيتنا نحن....

كل واحد فينا داخله كاتب وفريسي، فالكلام لنا. هو في الحقيقة كلام صعب، سأوجِّهه لنفسي ولكتبة وفريسي ذلك الزمان، ولكن على كل واحد أن يوجِّهه لنفسه كما يشاء.

كان لابد على المسيح أن يكشف الغطاء الخارجي بهذه الويلات العنيفة لكي يظهر الحق. المسيح ليس مغرماً بالسلبيات أبداً، المسيح حق ولا يتكلم إلا الحق، فإذا تكلم عن الباطل؛ فلكي يصل إلى الحق.

في البداية نلاحظ، وخاصة في إنجيل متى، إنه كرَّر كلمة المرائين للكتبة والفريسيين ٧ مرات، وطبعاً عندما يكرِّر المسيح كلمة بحد ذاتها ٧مرات يكون له قصد مُعيَّن شديد. «ويل لكم أيها المراؤون». فالرياء هو الحق مزيف. والمرائي هو الشخص الذي يعمل غير ما يُعلِّم، أو يقول غير ما يعتقد أو يؤمن. والمسيح هنا عندما ينطق بالويلات ويصفهم بالمراءاة، فهو

لا يدين ولا يُعيِّر ولا يُهاجم ولا يُقلل من الشأن، ولكن ليعلن أن الحق أُخفي بواسطتهم.

كذلك لاحظ أن المسيح حينما يُعنِّف، وحينما يراجع مراجعة شديدة، فكل قصده هو التوبة، إنه لا يُفرِّط أبداً في إنسان، هو ينتظره حتى اللحظة الأخيرة، وقدامنا اللص، وكيف خلص على الصليب! ولكن هؤلاء المعلمين سدَّوا آذانهم، ومع أنهم ورثوا معرفة ضخمة جداً، وكان لديهم تمييز قصد النبوة ومعرفة الوقت والزمن الذي يدل عليه روح المسيح؛ وكان منوط بهم تعليم الحق كما هو في تعليم التوراة؛ إلا أنهم أخفوه عن الشعب؛ وضعوا لهم بدلاً منه نوافل الوصايا، كتعشير النعناع والكمون، وتركوا في نفس الوقت أهم الوصايا: الحق والرحمة والإيمان. ووصلت التفاهة بهم إلى عمليات تعقيدية لا يمكن أن يحتملها إنسان وتاهوا عن معرفة الحق.

هنا يظهر كيف استطاع الرياء أن يُزيِّف الحق ويبعده، وفي نفس الوقت يصبح الكذب والتعاليم الخاطئة هي الأساس. وهكذا لم يكن هدف أولئك المعلمين هو خدمة الحق، بل خدمة أنفسهم، وإعلاء شأن تعليمهم، والحفاظ على مراكزهم. كان يريدون أن يستأسروا الحق لأنفسهم، وليس للشعب.

انظروا، هذا القانون روحي: يستحيل أن يُستعلن الحق لإنسان لا يريد أن يوصِّله لإنسان غيره، ولا يريد أن ينقله لآخرين، يستحيل. حق الله يُستعلن فقط لمن أُستؤمنوا على إعطائه.

إن أردت أن تعرف أو أن تتعلم في قلايتك وحدك فقط، أو تكون

رجلاً لاهوتياً متعمقاً لنفسك، دون أن تكون مستعداً أن تعطي ما أخذته لغيرك؛ فهذا لن يكون أبداً. الله يستحيل أن يعطي نعمة لإنسان غير مستعد أن يعطيها للآخرين. الله يعطي سره لقديسيه الذين هم على استعداد أن يشاركوا الآخرين فيما أخذوه.

كلما أُعطيت تأخذ. وإن أخذت وحبست؛ مات الذي فيك.

من المستحيل على إنسان مرائي أن يستعلن الحق، لذلك هم لم يدخلوا. فالذي يعيش على الرياء يعلن شيئاً ويخفي شيئاً، لا يمكنه أن يمشي في طريق الله، أو ينفتح أمامه ملكوت الحق.

صلاة

أعطنا يا رب أن نُحوِّل الساعات المَيِّتَة إلى أوقات خلود، نعم ونشترى منك أيضاً ثياباً بِيضاً نُطهِّر بها عورتنا، نُطهِّر بها خزينا وعورتنا، ليس كشجرة التين الخالية من الثمر، التي غَطَّتْ عُريَها بأوراق فلُعِنَت، ولا كآدم الذي اختشى واختبأ بسبب سقطته فتغطى بورقة التين، فلم تسعفه من طرده خارج الفردوس.

لا تجعلنا، يا ربِّي، نغطِّى عُرينا هنا، بل غَطِّه أنتَ، يا رب بدمك؛ بشفائك وطُهْرك، بغسلك وتطهيرك ومسحتك. لا تَجعلنا نُخفِي عارنا وعورتنا وعيوبنا عن كهنوت شعبك وعن كنيستك وعن إخوتنا وعن العالم الذي نعيش فيه. خَيْرٌ لنا ألف خَيْر أن نُفضَح هنا وتُفضَح عُريتنا، علناً بياناً ونعيش مفضوحين بسبب خطايانا وهفواتنا وعثراتنا، ولا نعيش مُختبئِين وراء ورقة تين تحترق في يوم الدينونة عند مَجيئك، فلا نجد من يسعفنا، وتظهر عُريتنا أمام ملائكتك وشهودك وقديسيك.

أعطنا، يا ربي، اليوم تنبيهاً قلبياً، لنلبس من غناك، من ثروة ملابسك التي لا تنتهي، رداءً وراءً رداءً. نَخلع ونلبس كأولاد غَنِي، عنده الكثير من وسائل التطهير، لكل خطية طُهْرها وثوبها، حتَّى نتغطَّى بالتَّمام، يا سيدي، لا بقدرتنا ولا بقوَّتنا ولكن بنعمتك التي تُسربل مُختاريك وبِحبك الذي يَستُر كل خطية.

نعم، يا ابن الله، لا تجعل فينا خطية مستورة عن عينيك الآن، بل اجعلها كلها مكشوفة بتوبة صادقة. نعم، اجعلنا أيضاً نتاجر كحكماء، أولاداً حكماء قديسين، ونشترى كُحلاً الذي هو معرفة إنجيلك وكلمتك، ونضع في أعيننا كل يوم كُحل الاتضاع، الذي يرفع غشاوة العظمة والكبْرياء والعلم الكاذب، ويعطينا الرؤية والبصيرة الصافية من خلال قلب متَّضع وديع، لأنه بالقلب النقي يُرَى الملكوت، نعم، وتُستعلَن كل مواهبك وعطاياك.

أعطنا كُحلاً يؤول إلى استنارة لكي لا نُوجد عُمْياناً في هذا الدهر، حتَّى لا تختفي، يا ربِّي، وصاياك ومواهبك عن عيوننا، ونعبُر أيامنا بعَمَى وتكاسل، ونفتح أعيننا في اليوم الأخير عن دينونة مُعدَّة، وعن عقاب بسبب جهلنا وبسبب تهاوننا وكسلنا.

إجْلِ أعيننا بالكلمة، يا ابن الله، حتَّى تنفتح لنا مغاليقها، وحتَّى تنفتح علينا أنوارك السماوية، فنستنير ونصير نوراً حسب طلبك وحسب وصيتك.

بالبَرَكة باركنا في هذا اليوم، لأن لك المجد والقوة والكرامة في كنيستك من الآن وإلى الأبد، آمين. (٧٦)

---

(٧٦) صلوات الأب متى المسكين ص٨٥

يوم الخميس من الأسبوع السادس

(يو٦: ٤٧ – الخ)

[اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ». فَخَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَقْدِرُ هذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. هذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». قَالَ هذَا فِي الْمَجْمَعِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كَفْرَنَاحُومَ. فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، إِذْ سَمِعُوا: «إِنَّ هذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟» فَعَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ تَلاَمِيذَهُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَى هذَا، فَقَالَ لَهُمْ: «أَهذَا يُعْثِرُكُمْ؟ فَإِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً! اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئاً. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ، وَلكِنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ». لأَنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدْءِ عَلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ. فَقَالَ: «لِهذَا قُلْتُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يُعْطَ مِنْ

أَبِي». مِنْ هذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ. فَقَالَ يَسُوعُ لِلاثْنَيْ عَشَرَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟» فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ، وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ». أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، الاثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!» قَالَ عَنْ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ، لأَنَّ هذَا كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يُسَلِّمَهُ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ].

أنا هو خبز الحياة

أكل الإنسان الأول من ثمرة الشجرة المحرَّمة، فمات آدم وزوجته، وورث نسلهما جميعاً هذا الموت، فملك الموت من آدم إلى آخر الدهور، إلى أن أتى يسوع المسيح ابن الله من السماء ليعطي الإنسان خبز الحياة ليحيا ولا يموت.

ثمرة الشجرة المحرَّمة كانت بمثابة الخبز المسموم الذي أكله الإنسان كله ومات، أمّا المسيح فقد أتى بخبزٍ من السماء صُنْعِ أبيه، وهو جسده الإلهي الحيّ. كان جسداً سريّاً للغاية، مَظْهَره لحم وعظام، وجوهره حياة أبدية. ولكي يقسمه بالعدل على جميع الناس، صَلَبَه بإرادة أبيه حاملاً كل خطايا العالم، ومات به ودُفن فماتت فيه كل خطايا العالم، وقام من الموت بمجد الآب، فقام فيه كل الناس بمجد أبيه.

هكذا صارت شركة الإنسان الجديد الذي قام بقيامة المسيح شركة

حقيقية في الجسد المُقام. وحينما قدَّم المسيح قبل صلبه مباشرة سرَّ العشاء الأخير بخبز وخمر قائلاً: هذا جسدي وهذا دمي ، وقسَّمه وأعطاه لتلاميذه ليأكلوا من جسده ويشربوا من دمه في سرٍّ إلهيٍّ رهيب لا ينطق به؛ كان هذا بمثابة أكل خبز الله النازل من السماء ودم الابن الوحيد المسكوب على الصليب. وأصبح بالإيمان بجسد المسيح ودمه المأكول والمشروب بمثابة نوال الحياة الأبدية التي فيه. (٧٧)

المسيح هيَّأ جسده ليكون هو سرّ الخبز الأعظم، سرّ الحياة الأبدية، وإن كان لابد أن نأكل خبز القمح لنعيش، هكذا جعل المسيح جسده مأكلاً!! ولكن ليس ليُطعم به إنساناً بل لكي يُحيي به كل إنسان، أي كل العالم.

والفرق بين أكل الخبز الأرضي وأكل جسد المسيح هو أن مأكل جسد المسيح هو مأكل "حق"، والحق الإلهي هو جوهر الحياة، فالذي يأكل جسد المسيح إنما يأكل جوهر الحياة الأبدية وهو هو سرّ المسيح الأكبر، لذلك قيل إنَّه جسد حيّ، وأَكْل الجسد الحيّ سرِّي للغاية إذ ليس له طعم ولا رائحة ولكنه يختفي في شكل الخبز. لذلك عبّر المسيح عن جسده بأنه الخبز النازل من السماء الحيّ الذي إن أكله الإنسان يحيا ولا يموت.

وأصبح على الإنسان أن يصنع خبزاً ويقدمه للمسيح على المذبح لكي يقدسه المسيح ويجعله جسده الحيّ، ويقسّمه الكاهن ظاهرياً وإنما بالسرِّ وبحضور المسيح والروح القدس. والتقسيم لا يؤثر في خبز المسيح الحيّ بعد

---

(٧٧) من كتاب مع المسيح ج٢: ٥٤

أن يتقدَّس، بل قطعة من الخبز تحمل كل الخبز وبالتالي كل جسد المسيح، وبالتالي تحمل المسيح نفسه، فالمأكول على مذبح الكنيسة هو هو المسيح ككل، كل إنسان يأكل كل المسيح، وبالتالي وبالضرورة يأكل الحياة الأبدية، وهكذا تشترك الكنيسة كلها بكل أفرادها في أكل المسيح أي الحياة الأبدية. وهكذا يتم قول المسيح الحرفي أن كل "من يأكلني فهو يحيا بي"، وهكذا بأكل الشعب كله من جسد المسيح يصيرون واحداً في جسد المسيح أي واحداً في المسيح.

وهكذا جاء ليجبر الصورة المكسورة التي تصوّر عليها آدم أصلاً ليكون على شكل الله وصورته، فبدخول الخطية والموت تفتَّت الصورة وتكسّر الشكل، وبنـــزول الخبز الحيّ من السماء أي جسد المسيح، فإنه وَهَب لكل إنسان أن يأكل من هذا الخبز الحيّ أي جسد المسيح ليستعيد الإنسان شكل الله وصورته "على صورة جسد مجده".

وبذلك استطاع المسيح أن يعيد الإنسان إلى الله، كما شاء الله أولاً عندما خلقه على صورته كشبهه(٧٨).

(٧٨) من كتاب مع المسيح ج٢: ١٣

صلاة

أبونا السماوي، السخي في العطاء والغَني في التوزيع، الذي تُعطي ولا تُعيِّر، الذي تُعطى بالكيل المهزوز الملبَّد في أحضان الفاتحين قلوبَهم إليك يا ابن الله.

أتوسَّل إليك يا رب أن تعطى للكلمة ثوباً جديداً في عيوننا، طعماً جديداً في أفواهنا، اجْعَلها مُرَّة في حلقنا ولكن حلوة في جوفنا، حتَّى تستطيع أن توقظ النائم، إنساننا النائم في داخلنا، ليتمتَّع بالأمْجاد التي وضعتَها له.

ربنا يسوع المسيح، ليس بلحم ودم نستطيع أن نرث ملكوت السماوات، وإن كنّا استصعبنا أن نلبس الثوب الجديد لأننا استصعبنا خلع العتيق، فلا تشفق يا ابن الله، مزِّقه من علينا تَمزيقاً. مرِّر العالَم في أفواهنا، اكْشِف، وضِّح الذات التي حَرَمَتنا من صورتك ومن خلاصنا ومن مَجدنا المُعدّ. لا تَجعل ذواتنا حائلاً، تحول بيننا وبين الخلاص المُعدّ. حطِّمها، هذه هي الأوثان الجديدة التي نعبدها.

يا رب، يكفي أيام الجوع، أعطنا أيام الشبع، يا خبز الحياة. أعطنا يا ربِّي ألاّ نجوع وأهراء الحياة ملآنة من الخبز. السماء كلها تفيض بالعطايا للطالبين والرافعين القلوب.

آه... ما بالنا انْحصرنا وانطوينا على أخطائنا، نَجترَّها عِوَض الكلمة وعِوَض الحياة!!

أعطنا بصيرة الروح لنسلك بالروح، أعطنا خَيْط التوبة لنمسكه ونتشبَّث به ولا نرخي أيدينا أبداً، لأننا إن مسكنا التوبة مسكنا الحياة الأبدية [٧٩].

---

(٧٩) صلوات الأب متى المسكين ص٢١١

يوم الجمعة من الأسبوع السادس

(يو٣: ١-١٣)

[كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ. هذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّماً، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ مَعَهُ». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ». قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ». أَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هذَا! اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟ وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ].

المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح

المسيح في هذه الآية يقطع خط الرجعة على نيقوديموس حتى لا يفكر إطلاقاً في الخلط بين خلقة الجسد الآدمية القديمة وخلقة الروح الجديدة. فلا يوجد تطور من الجسد إلى الروح، ولا امتداد ولا تطعيم، ولا بأي عمل يستطيع الإنسان أن يأتيه بقوته أو بإرادته أو حتى بمواهبه! فالمولود من الجسد يبقى جسدياً، حسب أصله، والمولود من الروح لم يعُدْ إنساناً جسدياً بعد، بل روحاً أي روحياً.

فالجسد هنا هو العنصر البشري، والروح هو العنصر الإلهي الفائق. وقصد المسيح هنا بالجسدي والروحي هو الانتهاء إلى: "لا شيء" بالنسبة لنهاية الميلاد من الجسد، وبلوغ "الوجود الحقيقي" بالميلاد من الروح، الوجود مع الله، والخلود، فالمولود من الجسد غريب ونزيل على الأرض، وزائل، سواء أدرك ذلك في نفسه، أو تلاهى عن حقيقة غُربته وزواله.

أما المولود من الروح فقد دخل المعجزة الإلهية ليدرك وجوده الحقيقي، ويتيقن أنه صار غير مهدد بالزوال، ويحس أنه استوطن السماء بالفعل، ويمارس كل يوم وجوده برجاء حي يتجدد باستمرار.

وكل من تأمل في وجوده وحياته وأعماله يدرك حقيقة نفسه إن كان يعيش على لا شيء أو يعيش على رجاء الوجود مع الله، وحينئذ يُقيِّم الميلاد من الروح ويسعى نحوه بكل عزمه وتصميمه.

وكما أن الولادة من الجسد تعطي الإنسان صفات جسدية لإشباع رغبات الجسد؛ هكذا الميلاد من الروح يعطي النفس صفات روحية كالالتصاق بالله خالقها ومحبته من كل الفكر والنفس والقدرة.

وبالتالي كما أن الولادة من الجسد تُهيئ الإنسان للحياة بالجسد في هذا العالم؛ هكذا الميلاد من الروح، من فوق، يُهيئ الإنسان للحياة فوق، في ملكوت الله. ولأن الإنسان أصلاً هو مخلوق من جسد، ونفس عاقلة روحية؛ أصبحت حاجة المولود من الجسد يقابلها بالضرورة حاجة الميلاد من الروح، كما أن تعلُّق الإنسان بالحياة على الأرض، يقابله تعلُّق الإنسان بالحياة فوق، بالروح.

إنه نزوع طبيعي في الإنسان، بحسب حركة الروح التي فيه، التي نفخها الله في أنفه، أن يتطلع إلى الخلود والامتداد في الحياة إلى ما هو أعظم وأعلى وأرقى دائماً. وبالرغم من الخطايا التي تكدست فوق رأس الإنسان؛ إلا أن حنينه إلى الله والسماء والقداسة لم تنطفئ منه قط.

فالإنسان مخلوق أصلاً على صورة الله، والصورة تنزع إلى التقرُّب من أصلها، كما أن الله يحنُّ دائماً إلى صورته ويودُّها بقربه. ونحن لو دققنا الرؤية وتعمقنا الإنسان، وأنصفنا في تقييمه، لوجدناه روحاً لا جسداً. لذلك فالإنسان الذي يحيا بجسده فقط؛ يحيا غريباً عن نفسه النزَّاعة نحو الروح والله.

الإنسان يتأوَّه ولا يعلم ماذا يريد، فقط هو غير راضٍ عمَّا هو فيه، فالأفضل دائماً دائماً هو غائب عنه، مهما أجهد ذاته للحاق به، وكل ما يحصل عليه يبقى ليس هو الذي يريده.

فالميلاد الروحاني الجديد للإنسان هو معجزته التي يعيش على رجائها، مهما كانت مخفية عنه وغائبة عن وعيه. وهو حالما يحصل عليها؛ يصير هو الإنسان الذي يريده، هو نفسه تماماً، وليس أقل ولا أنملة.

ميلاد الإنسان روحياً من فوق هو بداية الوجود الحقيقي له، الذي هو له حقاً، حيث تستقر نفسه على مركزها الثابت الأصيل الذي ليس على أرض الزعازع والأوهام بل فوق.

الإنسان المولود من فوق يتشبث بالأبدية، فلا يعود الزمن يُقلقه، ولا توافه الأعمال تُشغله.

ثم، ألا ترى، يا عزيزي، أن الإنسان ليس حراً أن يختار بين أن يعيش بالجسد أو بالروح؟

فالإنسان، إن لم يعشْ بالروح؛ فهو لا يعيش أصلاً وأبداً.

"المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح".

اعلم أن الجسد لن يوصلنا إلى الله! فالجسد لا يطيق الله: «محبة الجسد عداوة لله»، فلكي يقبل الإنسان معجزة الميلاد الثاني من فوق،

يلزمه حتماً أن يُخضع الجسد لمعجزة الموت، أي أن يكف الجسد أن يحيا لنفسه، ويكف أن يقود بنفسه مسيرة حياته. (٨٠)

أخيراً نقول: إن الأرض لم تعد وطننا، نحن من وطن آخر، نحن من فوق، لم تعد الأرض تصلح أبداً لأن تكون بلدنا، فنحن نبغي وطناً أفضل سماوياً أعدَّه يسوع، وسيأتي ليأخذنا إليه. لذلك فقوله: «ينبغي أن تولدوا من فوق»، هو تحصيل حاصل ، لأننا وُلدنا وأصبحنا أولاد الله، فارتقينا ليس من الأرض فقط؛ بل ومن البشرية التي كنا ننتمي إليها من آدم، وينتقل انتماؤنا إلى المسيح والله.

المسيح يُنبه ذهننا لكي نمسك بواقعنا السماوي، لذلك يقول لنا، إننا لسنا من هذا العالم، لأنه نقلنا بموته وصعوده من الأرض نهائياً إلى السموات. فنحن، في المسيح، نعيش من الآن لوطننا الأفضل، أي السماوي، ونفتخر على كل بني البشر: أننا صرنا أولاد الله في المسيح يسوع. (٨١)

صلاة

أتوسَّل إلى المسيح الذي وقف اليوم معلِّماً في وسطنا يُخاطب نيقوديموس الذي فينا نيقوديموس العقل،

ليُحيي الإنسان الجديد الذي وَلَدَه بالآلام وبالصليب وبالقبْر والقيامة

وأعطانا هذه النعمة الكبيرة المذخَّرة في سرّ المعمودية ثُمّ في الإنجيل،

---

(٨٠) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ص٢١٦

(٨١) من كتاب مع المسيح ج٤: ٢٣

لكي نعيش معموديتنا كل يوم، نعيش إنساننا الجديد كل يوم،

لنعرف كيف نسلك بتدقيق لا كجهلاء فيما بعد بل كحكماء، مفتدين الوقت، نُحوِّل الزمن إلى خلود.

فنتوسَّل إلى الرب أن يعطينا هذه النعمة،

أن يعمل فينا من جديد لنُدرك الملكوت الذي وُلدنا له، والوطن الأبدي الذي دُعينا إليه،

حتَّى لا نعمل فيما بعد لا لأكلنا وشُرْبنا ولِحاجات يومنا فقط،

ولكن نُؤمِّن حياة الأبد بالكلمة؛ بالإنجيل؛ بالسرّ؛ بالقراءة الروحيَّة العميقة التي فيها نتعرَّف على قامتنا،

هل نحن في الإيمان؟ هل نحن في روح المسيح نعيش؟ هل نحن نعمل للملكوت والحياة الأبدية؟ (٨٢)

(٨٢) صلوات الأب متى المسكين ص٥٥

(يو ٩: ١- الخ)

[وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِه، فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيه. يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ». قَالَ هذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ» - الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ - فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيراً. فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلاً أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى، قَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟» آخَرُونَ قَالُوا: «هذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ». فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟» أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِيناً وَطَلَى عَيْنَيَّ، وَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ سِلْوَامَ وَاغْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ». فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ ذَاكَ؟» قَالَ: «لاَ أَعْلَمُ». فَأَتَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ بِالَّذِي كَانَ قَبْلاً أَعْمَى. وَكَانَ سَبْتٌ حِينَ صَنَعَ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْه. فَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضاً كَيْفَ أَبْصَرَ، فَقَالَ لَهُمْ: «وَضَعَ طِيناً عَلَى عَيْنَيَّ وَاغْتَسَلْتُ، فَأَنَا أُبْصِرُ». فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ: «هذَا الإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ اللهِ، لأَنَّهُ لاَ يَحْفَظُ السَّبْتَ». آخَرُونَ قَالُوا: «كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ هذه الآيَاتِ؟» وَكَانَ بَيْنَهُمُ انْشِقَاقٌ. قَالُوا أَيْضاً لِلأَعْمَى: «مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» فَقَالَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ». فَلَمْ يُصَدِّقِ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبَوَيِ الَّذِي أَبْصَرَ. فَسَأَلُوهُمَا قَائِلِينَ: «أَهذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولاَنِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ؟»

أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ وَقَالاَ: «نَعْلَمُ أَنَّ هذَا ابْنُنَا، وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى. وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ فَلاَ نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلاَ نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السِّنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ». قَالَ أَبَوَاهُ هذَا لأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنِ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ. لِذلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ: «إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ، اسْأَلُوهُ». فَدَعَوْا ثَانِيَةً الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، وَقَالُوا لَهُ: «أَعْطِ مَجْداً لِلهِ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هذَا الإِنْسَانَ خَاطِئٌ». فَأَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «أَخَاطِئٌ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئاً وَاحِداً: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ».فَقَالُوا لَهُ أَيْضاً: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» أَجَابَهُمْ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضاً؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلاَمِيذَ؟» فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا: «أَنْتَ تِلْمِيذُ ذَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تَلاَمِيذُ مُوسَى. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَمَّا هذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ». أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ فِي هذَا عَجَباً! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ. مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحداً فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. لَوْ لَمْ يَكُنْ هذَا مِنَ اللهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً». أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ، وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» فَأَخْرَجُوهُ خَارِجاً. فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجاً، فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟» أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ». فَقَالَ: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ. وَسَجَدَ لَهُ». فَقَالَ يَسُوعُ: «لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ». فَسَمِعَ هذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا لَهُ: «أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضاً عُمْيَانٌ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَاناً لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ].

أحد المولود أعمى [٨٣]

فصل إنجيل هذا الصباح، يا أحبائي، هو فصل للنور والإيمان والرجاء ، هو إنجيل رصيد لا ينتهي لكل إنسان وُلد أعمى؛ ولكن العمى ليس عمى العينين، فالرجاء الذي أعطاه لنا الرب في هذا الإنجيل لا يشمل الأعمى فقط؛ بل يشمل كل إنسان غطّته الظلمة من الداخل ومن الخارج، هي بُشرى لكل من وُلد مُشوَّهاً سواء بالجسد أو بالنفس، ضعيفاً سواء بالقدرات العقلية أو الجسدية، لكل من يرزح تحت العَوز سواء من الطبيعة أو من الناس. هذا الإنجيل هو لكل من أُهمل وتُرِك وظُلِم من أبويه مثل هذا الأعمى، أو من المجتمع الذي لا يعرف غير الأقوياء. نعم، اليوم بُشرَى يُقدِّمها الإنجيل لكل شخص واقع تحت ظلمة الخطية، ويجلس في ظلال الموت.

اليوم نحن معزومين في حضرة أعمى شحاذ، نعم شحاذ يستعطي منذ ولادته، يا للعجب! وهكذا يقدم المسيح دائماً في الإنجيل أمثلة عجيبة ليس فيها أي بارقة من القوة لا الداخلية ولا الخارجية، لكي تكون، هي نفسها، بادرة أمل لحياة جديدة، مثل الكنعانية، أو مثل ذلك الأعمى، المولود في عماه في ظلمة لا تنتهي.

ولكن الأمر الذي يُتعجب له، يا أحبائي، أن الكنيسة تُعيِّد اليوم بعيد أحد التناصير والذي يُعمِّدون فيه، فهل هناك تناقض ما بين العماد وبين إنجيلنا

---

(٨٣) عظة مُسجلة على إنجيل هذا اليوم سنة ١٩٧٣

اليوم؟! أبداً، ولكننا سنجد في هذا الإنجيل نموذجاً تطبيقياً سرائرياً لمفهوم المعمودية وما تعمله المعمودية في الإنسان.

«وفيما هو مجتازٌ، رأى إنساناً أعمى منذُ ولادته، فسألهُ تلاميذَه: يا معلم، من أخطأ، أهذا أم أبواه حتى وُلد أعمى؟»

هذا الإنسان كان جالساً لا يطلب شفاء. أرجو أن تتأمل نفسية هذا الأعمى، كان يعلم بالضبط معنى عماه، كان يحس إنه ليس ابن بَرَكَة، ليس ابن نعمة؛ وإلا ما وُلد هكذا، لابد أن خطية أبويه حلَّت عليه. كان ضميره مُثقلاً، داخله مشاعر أنين لسنوات طويلة. لهذا لم يعبر المسيح عليه عبوراً سهلاً. وطبعاً لا يعوزكم الفهم في التطبيق؛ فهذا الأعمى هو أنا وأنت وكل إنسان يرزح تحت ثقل أي خطية. ولكن المسيح لا يحتاج أن يشرح له إنسان ما في الإنسان، لأنه يعلم ما في الإنسان.

«ولكن لتظهر أعمال الله فيه».

كم من أتعاب دخلنا فيها، كم من مظالم لحقت بنا، كم من خسارات جسدية أو معنوية أصابتنا، وكنا في هذه جميعها مظلومين، ولكن ماذا كان دورنا إزاء كل ما لحق بنا؟ علينا، يا أحبائي، أن نعطي في مثل هذه الأوقات والظروف الفرصة لله لكي تظهر أعماله فينا.

ولكن كيف؟ ماذا نعمل عندئذ؟ لا شيء، لا تفعل شيئاً، فقط أعط فرصة لله لتظهر أعماله، احتمل، لا تتذمر، اقبل الظلم. نحن بخسارتنا أو

ضعفنا أو بإعوازنا، في هذه، نعطي المجد لله. علينا أن نشكر ونحتمل، ونحن مظلومين ونحن مُهانين ونحن ضعفاء ونحن مُشوهين في الداخل والخارج. هنا يجد الله فرصة لكي يعمل فينا: إنْ بشفاء، إنْ بتعزية، إنْ بتقوية، إنْ بتعويض. قد لا يكون لنا القدرة أن نمشي؛ ولكن نقدر أن نتكلم، قد لا نستطيع أن نتكلم؛ ولكن نقدر أن نحب، ففي كل الأحوال نحن قادرين على شيء ما.

«ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار، يأتي ليل لا يستطيع أحد أن يعمل».

نعم، يا أحبائي، نهار الإنسان قصير، نهار العمل الروحي قصير. هل ممكن أسألكم الآن سؤالاً مفاجئاً ومحدداً : ماذا عملت أمس من الأعمال الروحية؟ طبعاً لو سألتك ماذا عملت من الأعمال الجسدية؛ فربما تكتب لي قائمة طويلة من إنجازاتك الوهمية! ثم عندما أطالبك بأن تكتب لي أعمالك الروحية التي صنعتها في أسبوعك الماضي؛ سوف تخجل كثيراً، ولن أسألك عن السنة الماضية، أو سنواتك الأخيرة! فكِّر، وأجب بينك وبين نفسك.

أحياناً المسيحُ يريد أن يعمل فينا ولا يستطيع، لأننا نكون في ليل. مكتوب أن المسيح لم يستطع أن يعمل آيات في كفرناحوم، حاول المسيح ، وفشل. كم مرة فشل المسيح أن يعمل عمله فينا، لأننا نكون في ليل. آه، يا لطولِ ليلِ الإنسان، ويا لقصرِ نهارِه. المسيحُ يرجونا أن نكون في نهارٍ ونكون أبناءَ نورٍ حتى يستطيع أن يتمَّ عمله فينا.

«ما دمت في العالم، فأنا نور العالم».

المسيحُ لا يقصد النورَ المادي الذي يميزُ بين الأشياءِ؛ ولكنه هو المعرفةُ القلبية الداخلية، المعرفةُ التي تُميز بين الخير والشر، بين الحقِ والباطل. نورُ المسيح ليس نوراً ظاهرياً، إنه نورٌ داخلي؛ ولكن لكي يؤكد لنا سلطانه أيضاً على النور الخارجي، كما على النور الداخلي؛ كانت هذه المعجزة أو الآية حسب تسمية القديس يوحنا.

يا أحبائي، المسيح جاء كنورٍ، والذي يريد أن يأتي إلى النور ينبغي أن يُضرم موهبة الحياة الجديدة التي أخذها في المعمودية، لكي يستطيع أن يتواجه مع المسيح النور الحقيقي.

لا يمكن أن ندخلَ إلى المسيح والخطيةُ باقيةً في قلوبنا. اليوم دعوة للتطهير، دعوة للرؤية، دعوة لانفتاح العينين مع ذاك الأعمى الفقير الذي صار مُبصراً أكثر من كثيرين يدَّعون البصر والبصيرة.

صلاة

يا ابن الله، يا من أتيت فعلاً لتكون نور العالم،

اطردْ ظلمةَ الخطيةِ من قلوبنا حتى ندرك وجودك ونجري خلفك.

أعطِ يا رب، لكنيستك هذا النور ليبقى معها، ولا تحيا في ظلمة بعد.

اجعلنا، يا رب، نضع أنفسنا بين يديك،

كما وَضَعَها هذا الأعمى الذي كان يستعطي على سلم هيكل أورشليم.

نعم يا رب، نفتح قلوبنا كلنا لكي ما تَمرّ علينا واحداً واحداً،

وتلمس عيون قلوبنا فتنفتح، وحينئذٍ لا نبصر النور الذي في الدنيا فقط، بل نبصرك أنتَ يا ابن الله.

وحينئذ نستطيع أن نشهد لكَ، لا كإنسان يصنع خيراً ولا كنبي يصنع معجزة، ولٰكن كابن الله الذي ينبغي له السجود بالروح والحق.

آمين، يا رب،

لكَ المجد والبَرَكة في كنيستك من الآن وإلى الأبد، آمين.

الأسبوع السابع
من الصوم المقدَّس

يوم الاثنين من الأسبوع السابع

(يو٥: ٣١- الخ)

[إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا. اَلَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ. أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ. وَأَنَا لاَ أَقْبَلُ شَهَادَةً مِنْ إِنْسَانٍ، وَلَكِنِّي أَقُولُ هذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ. كَانَ هُوَ السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً. وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا، هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي. وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ، وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ. فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. وَلاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ. مَجْداً مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ، وَلكِنِّي قَدْ عَرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَتْ لَكُمْ مَحَبَّةُ اللهِ فِي أَنْفُسِكُمْ. أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذلِكَ تَقْبَلُونَهُ. كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟ وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟ لاَ تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الآبِ. يُوجَدُ الَّذِي يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى، الَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ. لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ، فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي؟].

الشهادة للمسيح (٨٤)

إنجيل اليوم يحتاج منا إلى شرح. ففي هذا الفصل يقول: «**إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً**»، في حين أنه في الأصحاح الثامن يقول:

---

(٨٤) عظة على إنجيل هذا اليوم سنة ١٩٩٠.

«**إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق**». فهنا تعارض في الظاهر ينبغي علينا أن نحله أولاً.

نبدأ أولاً بشهادة المسيح عن نفسه إنها حق. كان هذا رداً على الفريسيين الذين عندما سمعوه يقول: أنا هو نور العالم، قالوا له: «أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقاً». كان هذا على أساس أنه لا توجد في الناموس شهادة مفردة. فالشهادة لكي تُقبل يجب أن تكون على فم شاهدين أو ثلاثة. فهنا المسيح يقول: [ولو أنا وحدي ولكني أشهد لنفسي، وشهادتي حق]. ولكن على أي أساس يقول المسيح هذا الكلام؟! على أساس: «لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب؛ أما أنتم فلا تعلمون من أين أتيت وإلى أين أذهب». إذن هو الله، إذن هو الحق. وللحق أن يشهد عن نفسه، ولا يحتاج الحق أن يشهد له أحد. تماماً كما لا يحتاج النور أن يشهد لوجوده أحد، فالنور يشهد لنفسه لكل ذي عينين.

وفي نفس الأصحاح الثامن يقول: «أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني»، قالها يسوع لكي يسد ثغرة الناموس، الذي يطالب بشهادتين، فهنا يعطيهم شهادته وشهادة أبيه. أما بالنسبة لنفسه؛ فهو يشهد للحق الذي فيه والحق الذي في الآب، وهو غير محتاج أن يشهد له أحد.

أما أصحاح اليوم، فيقول: «**إن كنت أشهد لنفسي؛ فشهادتي ليست حقاً**» هنا المسيح ينطلق من مبدأ آخر غير الناموس، وهو: «مجداً من الناس لست

أقبل». فمع أن المسيح يطلب منا أن نمجده؛ إلا أنه لا يشهد لنفسه لكي يُمجد من الناس. فلو أنه كان يشهد لنفسه بقصد أن يُمجد من الناس، تصير شهادته ليست حقاً، لماذا؟ لأنه يطلب مجد نفسه، والذي يطلب مجده لا يمكنه أن يطلب مجد الله طبعاً.

المسيح يعتبر أن شهادة المعمدان بل شهادة كل الأنبياء وكل التوراة هي للإعلان عنه أو لاستعلان مجده فقط؛ ولكن دون أن تكون قادرة أن تضيف إليه مجداً، هو في غير حاجة إلى النبوات لتشهد له لأنه هو الحق؛ فالنبوات جاءت لكي يعرفوا إنه هو الحق، وليس لكي تزيد الحق له أو تزيده مجداً. لذلك هو أردف على الفور وقال: «أنا لا أقبل شهادة من إنسان، لكني أقول هذا لتخلصوا أنتم».

«**كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض؛ والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟**» هنا انقلبت العبادة وانقلب الإيمان عند الفريسيين إلى فرصة لتمجيد الذات، صارت عبادتهم تبدأ بأنفسهم وتنتهي بأنفسهم. المسيح يقول لهم: أنتم سهيتم عن مجد الله، لم تعودوا تطلبون تمجيد الله، فهنا انتهت عبادتكم.

والمسيح يقول لنا: كيف تقدرون أن تؤمنوا بي عندما تصبح عبادتكم تَصُب في اتجاه ذواتكم، ولطلب مجدكم الشخصي؟ هنا يستحيل الإيمان مهما حاول الإنسان وقدَّم من جهادات وصلوات، يستحيل أن يسمح له الله أن يمجده مهما حاول الشخص.

في الحقيقة إن أكبر لوثة تُلوِّث العبادة والإيمان هي أن يطلب الإنسان لنفسه تزكية ومجداً والعجيب: هو من أين يطلبه؟ من إنسان مثله!! نقرأ في إنجيل متى عن أولئك الفريسيين الذين كانت أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس، فيُعرِّضون عصائبهم ويُعظمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتكأ الأول في الولائم، والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي.

ولكن نخشى أن يتبادر للذهن من قول المسيح: «إني لا أقبل شهادة من إنسان» أن المسيح يرفض شهادتنا، في الحقيقة نحن الذين نحتاج لهذه الشهادة جدًّا جدًّا. نحن الذين نحتاج أن نشهد للمسيح بالقول والفكر والعمل في كل موقف من مواقف الحياة: إن أكلنا يكون لتمجيد الله، إن شربنا، إن نمنا... كل أعمالنا لابد أن تكون لمجد الله. ولكن، لماذا هذا الاحتياج؟ لأننا نحن عندما نمجد المسيح ونشهد له؛ فإن الحق يصير معنا، ويكون الحق انكشف واستُعلن لنا.

ولكن هذا ليس كلاماً مُرسلاً في الهواء، كأن نفتخر أننا أبناء الشهداء دون وعي أو معرفة. في الحقيقة إنه ما أسهل أن يشهد الإنسان للمسيح وهو لا يدري عن المسيح شيئاً، يتكلم كلمات لا يعرف عمقها ولا أبعادها. والسؤال: هل شهادتنا في هذه اللحظات تُقبل؟ أبداً، ستكون شهادة بلا قيمة. ولكن الشهادة للمسيح لابد أن تكون عن وعي؛ وهي تستلزم جلسات طويلة أمام الإنجيل. والمسيح طالب مثل هؤلاء الشهود.

يقول: «الروح القدس يشهد لي وأنتم أيضاً»، وأيضاً: «اذهبوا واكرزوا للعالم أجمع». هذه هي الشهادة، هذا هو الإنجيل. والإنجيل ماذا يكون من غير شهادة؟! والشهادة تمجيد. ودائماً الشهادة والتمجيد صنوان عزيزان لا يفترقان، ويستحيل أن تفرق الشهادة عن المجد. فكل من يشهد يُمجِّد، وكل من يُمجِّد الله يبقى شاهداً له.

صلاة

ربنا المحبوب يسوع، ملك المجد، أمام عرشك، تقف جماعتنا الصغيرة.

تتوسَّل إليك من أجل حياتنا، حياتنا المستترة فيك، يا الله، أنتَ الذي تسوسها وليس آخر.

أنتَ الذي تعرف ضعفاتنا، خطايانا كلها مكشوفة أمامك. ليس فينا مَنْ يدَّعِي البِر.

في كل شيء عثُرنا، ولكن أنتَ الذي تغفر. أنت تقف بيننا، لا قاضي تَحكم ولكن كفادي تشفق.

بولس الرسول يُنبِّهنا أن نَحكم على أنفسنا قبل أن يُحكم علينا حتَّى لا نُدان مع العالَم في يوم الدينونة.

فليتنا ننتبه ونُحاكِم أنفسنا. كل واحد مِنَّا يعقد محكمة في قلبه ويحكم على نفسه.

نحن نشعر أننا غَيْر كاملين أمامك، مع أنكَ قلتَ لنا: "كونوا كاملين... كونوا قديسين".

أين نَحن منهما؟ نحن نئن في أنفسنا من أجل سيرتنا الرديئة أمامك.

أنتَ تتعطّف علينا وتُعلّمنا. ولا مانع للمعلّم أن يضرب المتوانِي.

نحن غَيْر معتذرين عن التأديب، يا رب، نحن لا نخاف من تأديبك. أدِّبْ ولا تبغض، أدِّبْ ولا تنسانا.

قطيعك الصغير، لابد أن تكون مسروراً أنه يسعَى لملكوتك. فإن كُنَّا لَم نَسْعَ بعد كما ينبغي فأنتَ راعينا يا رب. إلى مَنْ نذهب؟ أنتَ وحدك الذي لنا في السماء وعلى الأرض.

الروح ليس عنده مانع أن يعمل بكل وسيلة، فليعمل روحك فينا، لأن الروح لا يُميِّز بيْن الخاطئ والبار.

الروح جاء إلى العالم ليكمل رسالتك،

وأنتَ لم تطلب إلاَّ الخطاة، لَم تَجيء إلاّ من أجل الخطاة،

وروحك القدوس لَم ترسله إلا من أجل الخطاة.

نحن خُطاتك يا رب، فأرسل لنا روحك ليطهِّرنا، لينقذنا من آثام ونجاسات العالَم، لينقلنا من سيرة رديئة إلى سيرة مقدَّسة،

لأن الهُوَّة هائلة بيْن الاثنين كما فَصَلَتْ الغني عن لعازر.

نحن لعازرك يا ابن الله. نحن معتازون جدًّا إلى نعمتك ومعونتك لنكمل الطريق.

لا تسمح يا رب بفشل أحد، ولا بأحدٍ في وسطنا يعوزه شيء من نعمتك وحسن صنيعك وأفضالك،

لأنك غنِي ولا يُمكن أن تبخل على إنسان يطلب عطيَّتك. (٨٥)

---

(٨٥) صلوات الأب متى المسكين ص١٩٤

يوم الثلاثاء من الأسبوع السابع

(يو١٢: ٣٦- ٤٣)

[فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ». تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ. وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هذَا عَدَدُهَا، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَهُ: «يَا رَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟» لِهذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضاً: «قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ، وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ». قَالَ إِشَعْيَاءُ هذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ. وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَيْضاً، غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ، لِئَلاَّ يَصِيرُوا خَارِجَ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ].

إنجيل تصفية الحساب (٨٦)

إنجيل هذا اليوم هو إنجيل تصفية حساب. الله يصفي حسابه مع شعبه الذي رفضه، فرفضه الله. لعل يكون في إنجيل اليوم توعية لنا، لأنه إنجيل يحاصر النفس محاصرة لا يمكن أن تفلت منها.

السؤال الذي حيَّر ولا يزال يحيِّر الجميع هو: لماذا لم يؤمنوا بالمسيح؟ المسيح جاءهم خصيصاً، «إلى خاصته جاء»، فكيف رفضوه، لماذا رفضوه؟! جاءهم المسيح بحسب المواعيد تماماً، وفق النبوات بالحرف، كل العلامات التي أشارت

(٨٦) عظة على إنجيل قداس هذا اليوم سنة ١٩٩٠.

إليه تمّت فيه. ولكن العجب أن الرؤساء اجتمعوا به وهو في الهيكل في عيد التجديد، وقالوا له: إلى متى تُعلّق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً. فكان رده في منتهى الوضوح: قد قلت لكم ولم تؤمنوا. والقديس يوحنا يعطي سبباً عجيباً لعدم إيمانهم، يقول: «لأنه قد أعمى عيونهم، وأغلظ قلوبهم، لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم».

واضح هنا أن الشعب وبالأكثر المعلمين والرؤساء أصبحت لهم عيون عاطلة وآذان صماء، فكان أن الرب أسلمهم إلى ذهن مرفوض، فأكمل عماهم وأكمل صممهم وأغلظ قلوبهم فوق غلظتها.

في الحقيقة ، هذا الأمر مهم جداً، وفيه خلاصنا.

الله وضع في الإنسان روحاً، والروح هي المركز. والمركز الروحي للروح الذي تعمل به له أيضاً عينان وأذنان وقلب، ولكن كلها من طبيعة روحية. وهذا المركز، أي جهاز الفطنة الروحية والوعي الروحي، هو جهاز روحي حساس إلى أقصى الحدود، ولكنه مُعرَّض لثلاث ضربات يمكن أن تصيبه:

الضربة الأولى: هي أن الجهاز لا يعمل، أو بمعنى أصح تركناه ليعمل في أمور أخرى كثيرة في العالم، نعم، ربما أشياء ليست رديئة أو بطّالة، ولكن هذا الجهاز الحساس، هو موضوع بالأساس لكي يتحسَّس به الإنسان صوت الله، يفهم كلام الله وماذا يريد أن يقوله. هنا طالما أن الجهاز لا يعمل فلابد أن يفسد ولا يعود صالحاً للعمل. وفي الحقيقة هذا

الكلام ينطبق تماماً على المستوى المادي، فالجهاز الذي يُترك فترة ولا يُستخدم يخرب من ذاته.

الضربة الثانية: هي أن الإنسان يعمل بالخطية. الخطية عنصر سلبي وعنصر فتّاك بالنسبة للجهاز الروحي، وهو قادر أن يؤذيه ويُفسده تماماً لدرجة أنه قادر أن يقضي عليه. فلا يعود يسمع أو يفهم أي كلام روحي، ينصد عن الأمور الروحية، ولا يعود لديه رغبة في الذهاب للكنيسة أو للصوم أو قدرة على محبة الله أو الناس. هنا الجهاز تالف، الخطية ضَرَبَتْهُ بسهمها، جعلته غير صالح.

يقول إشعياء وعنه نقل الإنجيليون: «سمعاً يسمعون ولا يسمعوا، نظراً ينظرون ولا ينظروا». هم رأوا المسيح ولم يستفيدوا، سمعوه وكأنهم لم يسمعوا شيئاً.

الضربة الثالثة: ضربة ملعونة، ضربة مُريعة جداً، هي الضربة القاضية. فإذا استمرأ الإنسان الخطية وأحبها، يبتدئ تتكون فيه عداوة ضد الله، يكره الكنيسة، يكره الإنجيل يكره أن يسمع كلام الحياة، لا يطيق الوعظ، لا يتحمل أن أحداً يوبخه، صار فيه بغضة طبيعية ضد الله، وهذه البغضة تزيد البعد عن الله. وهكذا في دائرة شيطانية لا تنتهي. وهنا الرب يطمس عينيه ويسد أذنيه ويُغلّظ قلبه ويجعله لا يفهم أي أمر روحي على الإطلاق. ولكن لماذا؟! الرب يقول: {لأنه احتقرني، رفضني، أتلف جهازي داخله، جعله يعمل لنفسه وليس لي}.

في الحقيقة، إنَّ الكلام حتى الآن سلبي، ولكن الواقع أن الجهاز يعمل إيجابياً وليس سلبياً. فطالما أن الإنسان يسير مع الله، تزداد حساسية الجهاز، وتزداد قدرته على اللقط وتزداد قدرته على التسجيل، وتنفتح أذنه الروحية بأقصى حساسية، وباختصار ينفتح وعيه الروحي أكثر وأكثر.

في الحقيقة نحن مُعرَّضين كل يوم لمثل هذا: إما أن نغلق الجهاز ونخرج للكلام والرغي والذهاب هنا وهناك ونُضيِّع اليوم، واليوم يصير اثنين وثلاثة، وبالطبع عندما نقف للصلاة لا نجد نفساً، ترفع يدك توجعك، تقف تتعب، لا تجد روحاً، لا تسمع صوتاً... ولو أنت تماديت فإن الأسبوع سيصبح أسبوعين وثلاثة وسنة وأكثر... ماذا يعمل الرب هنا؟ لقد صار الجهاز تالفاً، ويحتاج الأمر إلى صراخ شديد من الله لكي بحنانه ورحمته يُغيِّر القِطَع التي تلفت وتعود للجهاز إمكانياته الأولى.

مع أنه يكفي ولو نصف ساعة كل يوم تشغل فيهم الجهاز، فتضمن عدم تعطله، بل يزداد عافية.

لو كل يوم نراجع فيه صوت الله ونسمع ماذا يريد أن يقوله لنا، يكون من المستحيل أن يحدث أي ضرر للجهاز.

الخطورة، كل الخطورة أن نستهتر، ونستخف بالكلام الذي نسمعه، هنا نسمع ما قاله يوحنا: «لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا» انتهت منهم قدرة الإيمان. لماذا؟ لأن الله أعمى عيونهم. الله يرحمنا.

صلاة

يا رب، يا مَنْ وقعتَ ومُتَّ بإرادتك كحبة حنطة عزيزة علينا جداً، مَلأَت العالم بذبيحة تدوم إلى الأبد لا زلنا نُطعَم منها كل يوم.

يا مَنْ وقعتَ بإرادتك ومُتَّ، اجعل لنا هذا الشعور وهذا الإحساس، بل هذا الاتجاه وهذا الروح، أنَّنا مستعدون كل يوم أن نقع ونموت، بل مستعدين أن نُمات كل النهار من أجلك باعتراف وشهادة حسنة.

يا كلمة الحياة غَيْر المائتة، اُسْكُنْ في قلبنا بِغِنَى، لكي يفيض لساننا كلاماً حسناً وسروراً وترتيلاً وتسبيحاً.

أيها الفعل الحي كُنْ ظاهراً في حياتنا، كُنْ فاعلاً في يقظتنا وفى نومنا. كُنْ عاملاً في أكلنا وصومنا، لكيما نراك في كل فعل، في كل حركة فنستمد منك حياتنا ووجودنا.

وهكذا نزداد نوراً وحياةً، حتَّى إذا اختبأتَ عنَّا لحظة أو لُحيظة، تعود وتفرد ذراعيك التي احتضنتَ بها العالم الخاطئ وتَحتضنّا نَحن كَصغار وتَحتوينا في حنانك ومراحمك التي نذوقها ونفرح بها اليوم كله، فنسعد بك يا ربِّى، ونُسعِد أنفسنا بحبك كل العمر.

يا ربِّى، لا تجعلنا أبداً نقف عند هذه الحافة المهلكة، هذه الهاوية التي تبتلعنا حينما نُرفَض وحينما تختفي. لا، يا رب، لا تجعل لأحد منَّا هذا النصيب المُحزن الكئيب.

أنتَ النور الحقيقي الذي أتيتَ إلى العالم، أعط للقلوب أن تنفتح لكَ، وتنتقل من معسكر الظلمة إلى معسكر النور، حتَّى تفرح بكلمة الحياة وبأعمالك في الحياة، ولا نعُد نسير في ظلمة ولا يعُد لنا راحة في ظلمة، ولا يَهوَى قلبنا مجد هذا العالَم أو مَجد الناس، بل نَهوَى ونشتهى مجدك،

يا ابن الله، فوق كل شيء وقبل كل شيء.

آمين، فليتبارك اسْمك في كنيستك منذ الآن وإلى الأبد وإلى أبد الآبدين ودهر الداهرين، آمين. (٨٧)

(٨٧) صلوات الأب متى المسكين ص٥٧

يوم الأربعاء من الأسبوع السابع

(يو٦: ٣٥- ٤٥)

[فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَداً. وَلكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي، وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً. لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَهذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ». فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ». وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ يَسُوعُ بْنَ يُوسُفَ، الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. فَكَيْفَ يَقُولُ هذَا: إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَتَذَمَّرُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ. لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللهِ. فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الآبِ وَتَعَلَّمَ يُقْبِلُ إِلَيَّ].

مشيئة الآب أن نرى الابن (٨٨)

هدية الآب لنا كانت إرسال الابن وفي يده إنجيل الحياة، ليسلّمنا الكلمة ويهبنا الحياة الأبدية. فأصبحت رؤية الابن وسماع صوته بمثابة تذكرة العبور إلى "ملكوت ابن محبته". فمن يُصدِّق هذه العطايا السخيَّة التي منَّ بها الآب

---

(٨٨) من كتاب: مع المسيح ج٢: ٦٣

على الإنسان بعد عداوة وجفاء وطوفان مريع.

والذي يقرأ العهد القديم يستطيع أن يُقدِّر هذه العطايا السخية التي يخرج منها عبيق الحب.

نعم، هكذا أحب الله العالم ووهبه ابنه وحياته وملكوته، فمن يصدّق؟ الإنسان الذي اختبأ وراء الشجرة لأنه عريان ولم يحتمل أن يراه الله وهو في خزيه ومذلّته، نعم هذا هو الإنسان الذي يتكلم بلسان ابن الله ذاته ويتحدّث عن رسالته التي أتى بها من الله أبيه، حتى أنه بمجرد أن الخاطئ ينظر الابن ويرى هيئته، تكون له حياة أبدية. بل وابن الإنسان هذا يَعِد الموتى بخطاياهم، أنه بالإيمان به سيقيمهم في اليوم الأخير عابرين الدينونة بشبه ملائكة الله.

افرحي، يا مريم، التي ولدت لنا ابن الإنسان الذي جاء ليُعيد لآدم بنوته لله وميراثه الأبدي لملكوت الله، ليسلّمه لبنيه تسليم ميراث فائق عن الحدّ، لأن نسل آدم صار في ابن الله وارثاً لكل ميراث الله. هكذا، وكما قَلَبَ الشيطان الحقائق وجعلنا أعداء الله وعبيد العالم، شاءت إرادة الله أن يقلب لنا عداوته إلى محبة صادقة، وعبودية العالم إلى سيادة عليه، لندوس الشيطان تحت أقدامنا ونعبر العالم كله إلى الله.

فمشيئة الآب صارت لنا قطب الحياة الجديدة الذي يجذبنا نحو الله، أما الإيمان بالمسيح ابن الله فقد صار لنا كقوله بمثابة الطريق والحق والحياة، طالما نحن نراه رؤيا الحق والإيمان، ونمسك بكلامه، نكون قد ضَمَنَّا الوصول إلى

بيت الله وصرنا من أهله وأحبائه.

وكما أُعطِي لنا أن نمسك بالمسيح في حياتنا حينما نحفظ وصاياه؛ هكذا بالتالي سيصير المسيح نفسه ممسكاً بنا ونحن أموات، ليُقيمنا مغفوري الخطايا لميراث حياة لا تزول.

فانظروا، يا إخوة، إلى أين أَوصلتنا مشيئة الآب. امسكوا بالمسيح ليمسك المسيح بكم. فتمسُّكنا اليوم بالمسيح ما أهونه وما أسهله، فهو أن نحبه ونحفظ وصاياه في نظير أن يمسك هو بنا ونحن أموات في خطايانا، ليعبِّرنا هوة الموت، ويرتفع بنا إلى أعلى السموات، لنحيا مع الله!

والإيمان بالمسيح ابن الله ينقلنا من عبيد للخطية والعالم والشيطان إلى أبناء الله وورثة في ملكوت ابن محبته. والإيمان لن يزيد عن الثقة به، وترديد اسمه في قلبك وفمك، والاستغاثة به وقت الضيق، ليُظهر ذاته ويأتي إلينا وينقذنا.

ولا أحد يستطيع أن يأتي إلى المسيح إن لم يجتذبه الآب أولاً.

فلنضعْ هذا في قلوبنا، ونُسلِّم حياتنا ومشيئتنا للآب، طالبين ومتوسلين إليه أن يجعلنا من مختاريه، لأن العالم يمضي وشهوته، أما من يطلب مشيئة الآب ويتوسل إليه يكون قد ربح الابن والآب معاً.

أما محبة الابن فهي رهن حفظ وصاياه، ووصاياه ليست ثقيلة علينا، لأنه يُشجعنا بقوله: "احملوا نيري عليكم... لأن نيري هيِّن وحملي خفيف".

ومن يحفظ الأَلْفَا في وصاياي أُكمِل له الأُمجَا.

صلاة

أبونا السماوي، الآب الكلّي الحب، الذي بالحب خلقنا وبالحب فدانا.

يا مَنْ جعلتنا أبناء حُبِّك، وولدتنا في المسيح مَجَّاناً، لنصير أولاداً بعد أن كُنَّا أعداء.

نتقدَّم إليك اليوم من أجل هذه المحبة، التي هي أحوج ما يحتاجها العالم، هذه المحبة التي نُسِيَ اسْمها ورائحتها ومفعولها وعملها.

يا الله الكلّي الرحْمة والحب، يا مَنْ تشرق شَمْسك على الأشرار وغَيْر الشاكرين،

أتوسَّل أن تشرق حُبَّك على شعبك وأولادك في كل العالم؛ ليعود إليه هدوءه وسلامه.

أنت، يا ربي، مسئول عن أولادك في كل العالم، ليس للكنيسة فقط لأنكَ لستَ أنانياً، وليس للمسيحيين فقط بل للذين يرفضونك والذين يجحدونك والذين يشتمونك؟!

أتوسَّل إليك من أجل المسيحيين والمسلمين والبوذيين والبَراهميين والذين في كل مكان وكل عبادة، إنَّهم دون أن يعرفوك يعبدونك، ودون أن يفهموك يُسمُّونك بأسْماء كثيرة، ولكن أنتَ الله أبو الكل؛ كل إنسان في العالم.

اظْهِر مَحبَّتك وعرِّفهم مرَّة أخرى بأبوّتك، أعلنها منكَ لهم، حتَّى الغرباء عنكَ، عرِّفهم بأبوَّتك وبمحبتك المنسكبة على الكل مجَّاناً. (٨٩)

---

(٨٩) صلوات الأب متى المسكين ص٢٥٨

يوم الخميس من الأسبوع السابع

(مر١٢: ١٨-٢٧)

[وَجَاءَ إِلَيْه قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ، وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لأَحَدٍ أَخٌ، وَتَرَكَ امْرَأَةً وَلَمْ يُخَلِّفْ أَوْلاَداً، أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ امْرَأَتَهُ، وَيُقِيمَ نَسْلاً لأَخِيه. فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ. أَخَذَ الأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ، وَلَمْ يَتْرُكْ نَسْلاً. فَأَخَذَهَا الثَّانِي وَمَاتَ، وَلَمْ يَتْرُكْ هُوَ أَيْضاً نَسْلاً. وَهكَذَا الثَّالِثُ. فَأَخَذَهَا السَّبْعَةُ، وَلَمْ يَتْرُكُوا نَسْلاً. وَآخِرَ الكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضاً. فَفِي الْقِيَامَةِ، مَتَى قَامُوا، لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً للسَّبْعَةِ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَلَيْسَ لهذَا تَضِلُّونَ، إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ الله؟ لأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأَمْوَاتِ إِنَّهُمْ يَقُومُونَ: أَفَمَا قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى، فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ، كَيْفَ كَلَّمَهُ اللهُ قَائِلاً: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ؟ لَيْسَ هُوَ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ. فَأَنْتُمْ إِذاً تَضِلُّونَ كَثِيراً!].

«تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله» (٩٠)

كلمة الله ليست ككلمة الناس، لأن بمجرد أن ينطقها الله تصير ذات مفعول وتأخذ كيانها في الوجود إلى ما لانهاية: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول».

وكما أن الله خلق كل شيء في العالم بكلمته لمّا نطقها. وكل ما في الوجود لا يزال مُتقناً ويستمد قانون نظامه المُتقن ومساره من قوة

---

(٩٠) من كتاب: كلمة الله شهادة خدمة وحياة ص٢٦

الكلمة بخضوعه المطلق لسلطانها الذي لا يزول؛ كذلك فكلمة الله أرسلها إلى قلب الإنسان منذ القديم منطوقة روحياً، ومسموعة ومُدركة عقلياً، ليبعث فيه هذا الإتقان عينه إنما على مستوى الروح، فيستمد الإنسان من قوة الكلمة نظام تفكيره وشعوره وسلوكه حسب رأي الله وتدبيره، وذلك حينما يخضع لسلطان الكلمة خضوعاً كاملاً، كما تخضع الخليقة الأخرى لناموس وجودها وتحركها.

هذا الناموس الروحي الذي نطقه الله على جبل سيناء وكشفه وأكمله الرب نفسه بتجسده وحياته وموته وقيامته، لا يزال يسري مفعوله في الخليقة البشرية كلها بسلطان الكلمة المنطوقة التي منذ أن نطقها الله لم تكف عن فعلها الخلاّق المستمر.

وأمَّا بالنسبة لكلمة الله المرسلة للإنسان خاصة، فسلطانها الروحي الخلاّق والمُنعِم لا يسري إلا على الذين أخضعوا قلوبهم وعقولهم وآمالهم ومشيئتهم لتدبير الله الفائق لقبول حياة جديدة وشركة في عالم الروح. فكلمة الله الروحيَّة المنطوقة للإنسان خاصة لا تدخل القلب عنوة ولا تتسلط على مشيئات الناس، بل على العكس تحتاج لمن يغصب نفسه بها.

وكل من خضع لقوة سلطانها يدخل في تدبير إتقانها، وتزال تعمل عملها فيه بهوادة وتؤدة وإنما بيقين إلى أن يبلغ إلى منتهى قصد الله: «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سُررتُ به وتنجح فيما أرسلتها له».

كلمة الله كما خلقت الحياة على الأرض من العدم أي الموت، كذلك إذا استقرت في قلب الإنسان وارتاحت فيه فإنها تحييه أي تقيمه من الموت وتُدخله دائرة الحياة الأبدية، أي عدم الموت: «من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة».

ولكن المسيح لا يزال يؤكد أنه ولو مات الإنسان وصار رِمَّة وأنتَن أو انمحت أعضاؤه، فإنه إذا ما استقر عليه صوت ابن الله فإنه حالاً يقوم من الموت ويحيا: «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة».

كلمة الله قوة محيية بصورة عملية جسدية كما رأيناها في لعازر، وبصورة روحية سرية كما رأيناها في جميع التلاميذ والرسل وبالأخص في شاول وفي جميع الذين تغيرت حياتهم مثله على مدى العصور، فعاشوا حياة البر والقداسة والتقوى شهادة للروح والحياة الجديدة التي صارت فيهم.

قوة الحياة الكائنة في كلمة الله لم تضعف، هي لا تزال تساوي خلق العالم كله من العدم مرة أخرى، ولا تزال تساوي قيامة لعازر من الموت، وهي هي القوة المذخرة التي ستقيم البشرية كلها في اليوم الأخير.

هذه القوة المحيية لا تزال تباشر عملها حتى الآن بكلمة المسيح، وطوبى لمن يسمع لها ويخضع لسلطانها ليتقبل فعلها ببساطة الإيمان ويقين الفهم: «تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون»، حيث الموت الآن هو الموت الروحي الذي يتم سراً بالانفصال عن الله، أما السمع هنا فليس هو سمع الأذن العادي؛ ولكن سمع القلب، أي الخضوع الداخلي.

وصوت ابن الله هو فاعلية الحياة التي في الكلمة.

والسامعون يحيون أي يدخلون سراً في مجال الحياة الأبدية.

حياتنا الجسدية مُخضعة لسلطان كلمة الله شئنا أو أبينا، كما يخضع لها كل الوجود. فليس الطعام وحده هو الذي يقيم حياتنا الجسدية: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان؛ بل بكل كلمة تخرج من فم الله». فقانون الكلمة الحتمي الذي يضبط الخليقة كلها يسري على أجسادنا إلزاماً، فيعيش الإنسان ويموت تبعاً لتدبير القوانين التي تسري فيه وعليه، ولكن إذا آمن الإنسان بكلمة الله الروحية وتقبلها في قلبه ينتقل الإنسان من حتمية القوانين الطبيعية ولا يصير بعدُ تحت اضطرارها سواء في داخل الجسد أو خارجه كما رأينا في قيامة المسيح.

نحن نتقبل من الآن شيئاً من هذه الحرية بواسطة الكلمة، إذ يشعر أولاد الله أنهم أصبحوا ليسوا تحت اضطرار الجسد وإلحاحات غرائزه وحتمية مطالب الطبيعة وميولها. الإنسان يستمد من قوة الله ومن

استسلامه لسلطانها قدرة جديدة يتحرر بها من ميول كثيرة طبيعية غير نقية: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به»، أي أن الكلمة إذا استقرت في قلب أمين باشرت عملها ككلمة قداسة لحساب الحياة الأبدية.

صلاة

افتقد كنيستك وشعبك في هذه الأيام، افتقدنا بالنعمة.

لا يصح يا سيدي أبداً أن نُدعَى لكَ بنين ونأخذ اسْمك ونصير مسيحيين، ونحن فاقدون للتقوى وفاقدون للقداسة والطهارة.

ألا تفتقدنا في وسط السنين، يا رب؟

إن كنَّا أثمنا وبَعُدنا عنك لضياع نعمتك فينا؛ فافتقدنا في ضيقتنا التِي صارت لنا، والظلمة التِي أحاطت بنا، فأنتَ النور الحقيقي.

وإن كنَّا لم نتبعك كما ينبغي، ولكن أنتَ لا تستطيع أن تتركنا، لأننا دُعينا باسْمك كأولاد للنور.

آه يا رب، لا تترك كنيستك، أنتَ الذي فديتها بالدم وغسلتها ومسحتها لنفسك لتكون عروساً لكَ ملء الحياة.

لماذا صارت الكنيسة غَيْر قادرة على النطق بكلمة الخلاص واجتذاب النفوس وتغييرها؟

لماذا تركتَ شعبك هكذا يَهزأ بنا العدو؟ وليس لنا عدو؛ إلاَّ الشيطان،

أمَّا إخوتنا بنو وطننا فهُم أحباؤنا ولو قتلونا، أحباؤنا ولن نفرِّط في حبهم

ولو كان سيفهم على رقابنا. لأن هذه علامتنا الوحيدة، أن كل مَنْ يُهيننا نعطيه الخد الآخر والقلب كله والحب.

يا ربِّي، تحنَّن على هذا الشعب الذي لكَ، خليقتك التي خلقتها من جديد.

جدِّد قلوب عبيدك يا رب، أقِمها من الموات،

لا نقول بمعجزة، لا. لأنك، يا سيدي، أنتَ بقوتك تتحدَّث مع كل قلب وتعاتبه: أين صليبي؟

أزعِج قلوبَهم يا رب، أقِمهم بالليل منْزعجين جدًّا والصوت يرنّ في قلوبِهم: أين صليب الرب؟ دستموه؟ لِماذا دستموه؟

أين مجد القوَّة التي أعطاها الله من على الصليب؟ "وأنا إن ارتفعتُ أجذب إليَّ الجميع".

عُدْ، يا سيدي، وافتقد كنيستك وشعبك، ولتكن أيام عودة من عندك وعودة من عندنا.

أنتَ تعود إلينا بالمراحِم، ونحن نعود إليك بالتوبة وقرع الصدر والندامة على ما فعلنا، لكي يأتي روحك ويسكن في قلبنا، ويُعيد أيام النعمة؛ أيام القداسة والبِرّ؛ أيام التقوى ومخافة الله. (٩١)

---

(٩١) صلوات الأب متى المسكين ص٢٤٦

جمعة ختام الصوم

(لو١٣: ٣١- الخ)

[فِي ذلكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: اخْرُجْ وَاذْهَبْ مِنْ ههُنَا لأَنَّ هيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ. فَقَالَ لَهُمُ: امْضُوا وَقُولُوا لِهذَا الثَّعْلَبِ: هَا أَنَا أُخْرِجُ شَيَاطِينَ، وَأَشْفِي الْيَوْمَ وَغَداً، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُكَمَّلُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَغَداً وَمَا يَلِيه، لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجاً عَنْ أُورُشَلِيمَ. يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً! وَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتٌ تَقُولُونَ فِيهِ: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ].

أردتُ ولم تريدوا (٩٢)

يشير الرب بهذا القول إلى المرات الكثيرة التي حاول الله فيها أن يجمع شعب إسرائيل إليه بحبه وحنانه بواسطة الأنبياء الذين أرسلهم مبكراً ومؤخراً. ولكن كانت النتيجة دائماً، كما في مَثَل الكرامين، أنهم رفضوه وأهانوا كل من أرسلهم...

كذلك فالرب يشير بهذا الكلام إلى تعاليمه وآياته ولطفه وإحسانه الكثير، الذي قصد به أن يجمع قلوبهم بكل إشفاق ومودة، فكانت النتيجة أنهم رفضوه ورذلوه.

---

(٩٢) من كتاب: مع المسيح في آلامه حتى الصلب ص ٥٩

«أن أجمع أولادك»

الرب هنا يتكلم عن سر مشيئته التي من أجلها جاء ليجمع المتفرقين إلى واحد، إلى صدره الحنون وتحت ستر جناحيه وفي ظل منكبيه، ولكن انظروا ماذا فعلوا به: عروا صدره الحنون وطعنوه وفردوا ذراعيه الحانيتين وسمروها على الصليب، والأرجل التي كانت تجول تصنع خيراً دقوها بالمسمار على الخشبة!

وهكذا عوض أن يتجمع إلى صدره وستر جناحيه هؤلاء الأولاد الأشقياء بنو إسرائيل، تركوه: «تركوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول»، وذهبوا وراء شهواتهم، وهكذا تركت الفراخ حضن الدجاجة ولم تعبأ بتوسلها وبندائها، فوقعت في مخلب الصقر المتربص، وانتهت إسرائيل إلى خراب ولعنة.

ولكن الدعوة مجددة لك هنا أيها الصديق العزيز، فالجناحان الحانيان مفرودان على الصليب، والجنب الحبيب يسيل بدم الشفاء والفداء. المسيح لا يزال ينادي خرافه ويرسل صوته مبكراً كل يوم ليجمعهم تحت ظل جناحيه إلى أن يعبر الشر، وهو لا ينادي فقط؛ بل ويجري وراء الخروف الضال ليُبطل جهالته؛ ولكن، ليس إلى ما لا نهاية.

«أردت ولم تريدوا»

ربما تقول في نفسك: من هو هذا الشخص المجنون الذي لا يريد ما يريده الله؟؟ ولكن رؤساء الكهنة ومجمع السنهدريم وشيوخ الشعب

وحكماء إسرائيل لم يكونوا مجانين! بل كانوا متأكدين أنهم حكماء وعلى حق وكل الناموس في صفهم، وأنهم على صواب كل الصواب حينما يحكمون بأن يُرفض المسيح بل يُصلب!...

ولكن من أين جاء هذا الالتباس الخطير؟ جاء من حيث أنهم كانوا يعيشون حياتين: حياة خارجية ظاهرها التقوى والتدين والتدقيق في أصغر طقوس العبادة، ثم حياة أخرى داخلية منحلة، كلها انتهاز فرص وأطماع وتكالب على الدنيا. وهكذا ضاعت منهم إرادة الحق، ورفضوا، بل استهزأوا بإرادة القدوس، لأن إرادتهم لم تكن في ناموس الله أبداً، ولا هم كانوا في ناموسه يلهجون.

والآن، هوذا الصوت يأتينا مجدداً اليوم.

المسيح في ختام صومنا يسألنا: هل تريدون ما أريد؟

أنا أريدكم من نصيبي وأن تكونوا دائماً حيث أكون أنا، فهل تريدون؟؟

أريدكم بقلب وديع مثل قلبي، أريدكم تطلبون ملكوتي وبري، فهل تريدون؟؟

أريدكم أن لا تهتموا بهموم الدنيا؛ بل أن تحملوا نيري وأنا أحمل كل همكم؛ فهل تريدون؟؟

أريدكم أن لا تطالبوا بحقكم ولا تنتقموا لظلمكم، وأنا أرد لكم مائة ضِعف؛ فهل تريدون؟؟

أريدكم أن تحبوا أعداءكم وتباركوا لاعنيكم وتحسنوا إلى مبغضيكم وتصلُّوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، وأنا أجازي، فهل تريدون؟؟

أريدكم أن تحملوا الصليب ولا تجزعوا من الصلب كما حملت أنا صليبي وصُلبت عليه، فهل تريدون؟

أنا جزت هذا كله من أجلكم وغلبت العالم لتتشجعوا وتسيروا ورائي، فهل تريدون؟؟

والآن، لكي ننتقل من إنجيل اليوم لكي ندخل أسبوع الآلام، لابد أولاً أن نصغي حسابنا أولاً مع صوته القائل: «كم مرة أردت ولم تريدوا؟»، لأنه إذا انتهت إرادتنا إلى هذا التعارض، فلا مناص من الدينونة الرهيبة، وسماع الصوت المحزن: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً»! وإذ قد تمَّ بالفعل خراب الهيكل وبقى خراباً إلى يومنا هذا، آية لصدق كلمة المسيح، فلا أقل من أن نُشفق على أنفسنا من هذا المصير عينه، لأن هيكله هو نحن.

صلاة

أيها الآب السماوي،

نتقدَّم إليك معترفين بعجزنا، طالبين منك ما هو ليس عنا بعيداً، لأن الدم المسفوك من أجلنا قائم، وأن المسيح الذي يتشفَّع يتكلَّم، والروح يئن في جنباتنا ويصرخ، لا ليقول يا أبَّا الآب، ولكن يصرخ فينا أننا قد أطلنا الرقاد.

متى يوقظنا روح الله الذي أرسلتَه لنا يا ابن الله؟ أنتَ الذي وعدتَ أن كلمتك في وسط السنين تُحييها، ووعدك أنتَ متمِّمه. فهل تتمِّم وعدك فينا يا ابن الله؟

التجأنا إليك طالبين لأنفسنا عودة إليك يا ابن الله، توبة صادقة حقيقية من حياة ميِّتة؛ ضمير مُلوَّث بأعمال ميِّتة؛ أفكار انحازت ضدك وانحازت للعالَم ورئيس هذا العالَم؛ نفس مبعثرة مفتتة؛ قلب لا إحساس فيه من جهتك.

فهل، يا ربِّى، كل هذا يتغيَّر لحسابك؟

انتهر موتنا الذي متناه هذه السنين الطويلة يا ابن الله لنقوم، مع أننا نسمع كل يوم أخبار الحياة الجديدة.

ألا يأتي يا ربِّى اليوم الذي تنخس فيه قلوبنا كما نَخستَ جنب بطرس في السجن وتقيمه لكي ما يَخرج ويبشِّر؟!

إلى متى يا ربِّى نكون في سجن أنفسنا التي سَجنّا فيها ذواتنا لنداعب الشيطان وحركاته وأعماله؟

إلى متى لا تفك أسرنا يا ابن الله؟ موتنا بين يديك، أقم لعازرك، يا رب، ونحن لعازر. أنتنَت نفوسنا فينا. إلى متى؟ تعالَ وأصلِح ما فسد، تعالَ وجدِّد يا ابن الله، لأن هذا هو عملك، بل نحن عملك. (٩٣)

---

(٩٣) صلوات الأب متى المسكين ص٢٠٥

سلسلة كتب

عظات مختارة للأب متى المسكين على أناجيل القداسات:

❖ الجزء الأول: آحاد السنة القبطية

❖ الجزء الثاني: صوم يونان والصوم الكبير

❖ الجزء الثالث: الخمسين المقدسة

اُطلب أيضًا

❖ الإنجيل في واقع حياتنا - قراءات يومية من كتابات الأب متى المسكين

❖ أقوال خالدة للأب متى المسكين

السعر : ١٢ جنيهاً

الأب متى المسكين

لقد أحبَّ كلمة الله وأخلص لها،
وتعمَّق في أسرارها، وجعلها طعامه وشرابه،
ونوراً لطريقه حتى آخر يوم في حياته على الأرض. ولم يكُفَّ قط
عن اللهج بها حتى صار لسان حاله يقول مع المرنِّم في المزمور:
«لكل كمال رايت منتهى. أما وصاياك فواسعة جدا.. ناموس فمك
خير لي من الوف ذهب وفضة» (مز١١٩).

لذلك أفنى حياته في البحث والتنقيب في الأسفار المقدَّسة
بشغف شديد وحبٍّ متدفِّق.. يخرج من كلمة الله كل يوم جُدُداً
وعُتقاء، وكان هدفه دائماً هو الحياة حسب الوصية، والطاعة
الكاملة لها، والبذل، والمحبة لكل إنسان، عدوًّا كان أم
صديقاً.

هذه السلسلة الجديدة
(٣ كتب)
هي اقتباسات مختارة من كتبه
وقَّعْناها على أناجيل قداسات السنة القبطية على مدار العام.

Design: (S.Ph & Ph.M)
Newgoldenheart@yahoo.com